سر إسلام الأمريكيات

DAUGHTERS OF ANOTHER PATH

تجارب ٥٣ أمريكية اخترن الإسلام دينًا
تعكس نبض الإسلام في قلب المجتمع الأمريكي

تأليف
CAROL L. ANWAY
الباحثة الكهنوتية المسيحية

ترجمة
محمد عبد العظيم علي





سِرُّ إسلام الأمريكيات

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م



للنشر والتوزيع والترجمة

المنصورة - مصر - ت : ٣٨٤٢٥٤ - ف : ٣١٠٥٠١/٠٠٢٠٥٠ - ٣٦٠٥٠٤٩/٠١٢

سر إسلام الأمريكيات

DAUGHTERS OF ANOTHER PATH

تجارب ٥٣ أمريكية اخترن الإسلام ديناً
تعكس نبض الإسلام في قلب المجتمع الأمريكي

تأليف

CAROL L. ANWAY

الباحثة الكهنوتية المسيحية

ترجمة

محمد عبد العظيم علي



المنصورة - مصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المترجم

هذا الكتاب يشبه نافذة تطل على قلب المجتمع الأمريكي تكشف لنا من الداخل نبض الإسلام وإرهاصات الإيمان بالإسلام وبعقائده وبأحكامه وبنظمه، وكيف تتحرك قلوب الأمريكيات المسلمات بعد أن ألهمها الله الصواب، وأمدها بنوره وهدايته، وباليقين والثبات، كيف تتحرك هذه القلوب في ظروف يحفها العداء والكراهية، والمقاومة والاضطهاد بالإضافة إلى ما تذكره المؤلفة عن التشويه الذي يشيعه الإعلام الأمريكي ضد الإسلام وما ينشر في الكتب والصحف والمجلات والأفلام المعادية للإسلام التي تتعمد:

١ ـ تصوير سلبيات المسلمين بحيث لا تتاح الفرصة على المستوى الفردي للتعرف على حقيقة الإسلام أو على الجوانب الإيجابية منه.

٢ ـ الترويج بأن زواج الأمريكيات من مسلمين ينتهي إلى كوارث.

٣ ـ وصف مكانة المرأة في الإسلام بأنها ذليلة ومستعبدة ومواطنة من الدرجة الثانية وليس لها حقوق.

٤ ـ تحريف معنى الجهاد (وهو العمل بعزم في العبادة وفي الدعوة السلمية إلى الله). بأنه إرهاب وبأن المسلمين إرهابيون.

٥ ـ تنسب وسائل الإعلام الأمريكية أي انفجارات أو أعمال إرهابية إلى

المسلمين بلا دليل أو بينة مما يعرضهم في أمريكا لسوء المعاملة والاضطهاد. وكأنهم مسئولون عن هذه الحوادث لمجرد أنهم مسلمون.. وذلك قبل أن تظهر نتائج التحقيقات. إلخ.

* * *

المرأة والحجاب والنظرة المحرمة والاختلاط

ذكرت أم إحدى المسلمات رأيها الشخصي في أن الرجال يخشون على أنفسهم من نشاطهم الجنسي، وأنه يقع على النساء عبء مساعدتهم في السيطرة على أنفسهم.

ونحن لا نوافق على هذه الرؤية ونورد فيما يلي تفسير آيتي سورة النور (رقم ٣٠ ـ ٣١) كما جاء بتفسير «في ظلال القرآن»[1] مختصراً:

إن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي، لأن الله قد أناط به امتداد الحياة على هذه الأرض.. فهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود. وإثارته في كل حين تزيد من عرامته، وتدفع به إلى الإفضاء المادي للحصول على الراحة. فإذا لم يتم هذا تعبت الأعصاب المستثارة، وأصبحت عملية تعذيب مستمرة. والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات. بحيث يبقى هذا الميل في حدوده الطبيعية، ثم تلبى تلبية طبيعية. وهذا هو المنهج الذي يختاره الإسلام، مع تهذيب الطبع، وشغل الطاقة البشرية بهموم أخرى في الحياة، حتى لا تكون تلبية دافع اللحم والدم هي المنفذ الوحيد.

فغض البصر من جانب الرجال أدب نفسي ومحاولة للاستعلاء على الرغبة في الاطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام، وإغلاقاً لنوافذ الفتنة والغواية. وبالنسبة للنساء، فلا يرسلن بنظراتهن الجائعة، أو الهاتفة المثيرة، تستثير

---

(١) «في ظلال القرآن» سيد قطب، ص٢٥١١.

كوامن الفتنة في صدور الرجال. وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر ولتحكيم الإرادة.

والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها، أساسها الرغبة في تحصيل الجمال وتجليته للرجال. والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية، ولكنه ينظمها ويضبطها، ويجعلها لرجل واحد هو شريك الحياة. ويطلع معه على بعضها المحارم المذكورين في الآية.

لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي، وطهر إحساسه بالجمال، فأصبح جمال الحشمة هو الجمال النظيف، الذي يجعل الذوق الجمالي لائقاً بالإنسان، ويحيط بالنظافة والطهارة في الحس والخيال.

وهذا التحشم وسيلة لوقاية الفرد والمجتمع وفي النهاية يرد القرآن القلوب كلها إلى الله، ويفتح لها باب التوبة مما ألمت به ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

* * *

اللحم الحلال المذبوح إسلامياً وتحليل طعام الذين أوتوا الكتاب

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ﴾ [المائدة: ٥].

وهنا نطلع على صفحة من صفحات السماحة الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين. والإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية، ثم يعتزلهم - فيصبحوا في المجتمع الإسلامي معزولين أو منبوذين وإنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية، والمودة، والمجاملة والخلطة. فيجعل طعامهم حلاً للمسلمين وطعام المسلمين حلاً لهم كذلك. ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة، وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة. وكذلك يجعل

العفيفات من نسائهم طيبات للمسلمين، ويقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمين. وهي سماحة لم يشعر بها إلا أتباع الإسلام.

وهكذا يبدو الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالمي، لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية التي تظللها راية المجتمعات الإسلامية فيما يختص بالعشرة والسلوك.

(ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين).

إن هذه التشريعات كلها منوطة بالإيمان، وتنفيذها كما هي هو الإيمان، أو هو دليل الإيمان[1].

* * *

وهذا الكتاب يقدم لنا تجارب ٥٣ امرأة أمريكية بذلن هذا الجهد الإنساني البطولي، واستعن بالله للتغلب على العقبات وبتوفيق الله توصلن إلى الحق. فآمن به وتمسكن به. فوجدن راحة البال وراحة الضمير.

فهل آن الأوان أن نؤمن بالله ونتبع الهدى ونتمسك بدين الحق.

نرجو والله المستعان.

محمد عبد العظيم عليّ

---

(١) نفس المرجع ص٨٤٨.

شكر وتقدير المؤلفة

يتركز تقديري العميق أولاً وقبل كل شيء إلى ابنتي Jodi Anway Mohammadzadeh التي كانت السبب في اتساع رؤيتي للعالم من خلال نافذة جديدة. كما ازدادت عائلتنا بأكملها ثراء وسعة بتجربتنا معها حتى أصبحت ترى الحياة من زوايا أكثر بعداً وأشد وضوحاً. وكان لمشاركة ابنتي في مشروع كتابة وإخراج هذا الكتاب قدر عظيم من الفعالية (في تنقيح المراجعة وإعادة الكتابة وتحديد العناوين الداخلية والمراجع الذاتية المشتركة feedback).

انطلقت الشرارة الأولى لتشجيعي على هذا العمل ولحماستي له من كل من Dr. Jamilah Kolocotronis Jitmoud و Susan Elsayyad وكل منهما أمريكية بالمولد اعتنقت الإسلام؛ ولا زالت تعمل بالتدريس في Kansas City Islamic School . ولقد تقابلتا مع جودي ومعي وعاونتانا في إنهاء مشروع هذا الكتاب، وأعربتا عن مدى الحاجة إلى هذه الدراسة التوفيقية في حياتهما.

وكم كنت أود أن ألتقي شخصياً بكل من الـ ٥٣ سيدة اللاتي أسهمن بقصص اعتناقهن للإسلام، وبإرسال الرد على أسئلة البحث. فقد كانت كل واحدة منهن مصدر إلهام وشاهدة على قرار إسلامها وخضوعها وطاعتها لإرادة الله.

وكان من دواعي سروري العمل في مراجعة نص الكتاب مع صديقة العمر الحميمة Talitha Penington ، فقد طلبت مني الكثير بقدر ما ساعدتني في إخراج هذا الكتاب بهذا الشكل الموجز والمنظم. لقد كانت حاجتي إليها ماسة!

وشكري إلى Joe زوجي وحب عمري، لتأييدي وتشجيعي على هذا الكتاب وعلى مدى السنوات التي عشناها معاً طوال عمرنا.

* * *

شكر وتقدير المترجم

يسعدني أن أعبر عن شكري وتقديري لصديق العمر وزميل الطفولة الأخ الأستاذ فتحي محمد حجازي المدير بالمركز الإسلامي بنيويورك وأحد العاملين بحقل الدعوة الإسلامية لغير المسلمين بأمريكا وذلك عن جهوده المباركة واتصالاته العديدة بناشر الكتاب بالولايات المتحدة من أجل الحصول على تصريح بهذه الترجمة.

فجزاه الله خير الجزاء وأثابه مثوبة عظيمة.

المترجم

إهداء المؤلفة

العالم في نماء وتغير مستمر. وكل إنسان له طريق يسلكه واتجاه يبحث عنه لكي يعطي لحياته معنى. ونحن في الولايات المتحدة وكندا ربما تهزنا معلومات ترد إلينا عن طريقة غيرنا في معيشته في هذا العالم؛ إلا أننا بطريقة أو بأخرى لا نتفهمها. لأننا نميل إلى الانكفاء على ما يخصنا من تجمعات اقتصادية أو دينية أو عرقية، ونقاوم الاحتكاك بثقافات غيرنا وأفكاره.. إننا نميل إلى أن نتشكل حسب عناوين وتقارير الأخبار اليومية التي ربما تزيد من مخاوفنا، وتعزز في فكرنا القوالب النمطية التي ربما تكون مضللة في كثير من الأحيان.

إهداء هذا الكتاب هو لك - أيها القارىء العزيز - لأنك قضيت وقتك تتطلع إلى ما هو أبعد مما تعرف. وتبحث في موضوع السيدات الأمريكيات بالمولد اللاتي اخترن حظيرة الإسلام. وقد تكون إحداهن زميلتك في الدراسة أو في العمل، أو بائعة لك، أو قد تكون جارتك أو قريبتك.. بل قد تكون ابنتك..!؟.

* * *

مقدمة المؤلفة

عندما شاهدتُ لأول مرة فيلم Fiddler on the Roof (عازف كمان فوق سطح البيت) كنت منزعجة مثلما كان الوالد Tevye المستمسك بتقاليده، فقطع العلاقة التي كانت تربطه ببناته لأنهن اخترت «تقاليد» أخرى. وكان ظني وقتها أن «هؤلاء البنات شخصيات طيبات سوف يعشن حياة طيبة ولو في ظل تقاليد غير تقاليد آبائهن. فلماذا لا يتركهن لحالهن؟» ثم تعلمت بعد ذلك كيف يكون النضال عند انفصال أحد الأبناء عن التقاليد.. وعانيت الرفض والغضب والحزن مثل الأب Tevye .

ويبدو أن ابنتنا جودي كانت تستمسك بفكرة كنت قد لقنتها لها.. وهي أن منطقة «ميسّورى» ليست المكان الوحيد الموجود في هذا العالم. بل إن هذا العالم متكامل ينبغي اكتشافه. وبما أن الله يحب كل الناس، فإننا نحتاج أن ننفتح عليهم وأن نكوّن فكرة عالمية عن الحياة. وكنت سعيدة أن ابنتي جودي كان لها أصدقاء من بلاد أخرى.

وبدأت وقتها ألاحظ جدية ارتباطها برضا Reda. وهو شاب من إيران ثم ما لبثَ أن أعلنت عن نيتها في الزواج منه، وعن احتمال أن تعيش معه بإيران. والحقيقة أن معرفة هذا الشاب كانت مصدر سعادة لنا. أما أن تتزوج منه ابنتنا وأن تطير معه إلى بلد أجنبي.. فقد أعاد ذلك إلى ذاكرتي مشهد الوالد Tevye في الفيلم وهو يراقب ابنته الثانية تركب القطار، وهو يعلم احتمال ألا يراها بعد ذلك أبداً.

ومع ذلك ففي الوقت المناسب استطعت ـ أنا وزوجي ـ أن نتقبل الفكرة وأن ندرك أنه لا مفر منها. ورغم أن رضا كان مسلماً، فقد كان يبدو متفتحاً ومقبولاً. ولقد شعرنا أن جودي كانت قوية الإيمان بالمسيح وبالكنيسة، وتصورنا أن زواجها

بكنيسة Warrensburg سيكون من أسعد مناسباتنا. وطالما أن رضا وجودي لا يزالان في الدراسة للحصول على الماجستير، فقد قلت لنفسي أنه قد تنقضي سنوات قبل سفرهما إلى إيران وحتى ذلك الحين قد يتغير رأيهما.

وظلت مخاوفي من سفرها تراودني مدة سنتين، إلى أن جاءت الطامة الكبرى التي طغت عليها ألا وهو قرار جودي أن تعتنق الإسلام. فلم يخطر أبداً ببالي أن تختار ابنتنا بنفسها تقاليد دينية غير تقاليد أهلها.. ولكنه حدث..

وهذا الكتاب يروي قصتي مع جودي، والتغييرات التي طرأت على علاقاتنا بسبب تمسكها بالإسلام.

ويقدم الكتاب تجارب عدد من الأمريكيات بالمولد اللاتي اخترن التحول إلى الإسلام مع توضيح جذورهن الثقافية، وأسباب تحولهن، وقبول مبادىء الإسلام التي وجذنها على قدر كبير من الجاذبية. ومدى تأثير ذلك على حياتهن وعائلاتهن. فبعد أن ألقيْن وراء ظهورهن بالمجتمع الغربي الحديث الذي تشكلن فيه كرسن أنفسهن لحياة تتفق مع المبادىء الإسلامية كما تفسرها التجمعات المسلمة التي يشاركنها في العبادة وفي النشاط.

وأملي أن تتضح الرؤية لقارىء هذا الكتاب لكي يتفهم تلك الشابات، كيف ولماذا تحولن هذا التحول؟ وما هي القوة التي اكتسبنها من هذا الاختيار ؟ وسوف يتبين للقارىء غير المسلم من الطريقة التي تصف بها النسوة حياتهن اليومية في ظل المبادىء الإسلامية ليس فقط طريقة الإسلام وإنما يكتشف أيضاً كم هو جميل أن يتعرف الإنسان على حال هؤلاء النسوة في مكان عملهن وعلى حالهن كأقارب أو كأصدقاء أو كمعارف.

بالنسبة لكثير منا ـ فهن بناتنا وأخواتنا وحفيداتنا، وبنات عمومتنا أو خؤولتنا وصديقات أو زميلات عمل، اخترن مسلكاً دينياً آخر في الإيمان بالله.

ليكن هذا الكتاب فرصة ننتقل به ـ في وقت قصير ـ إلى حيث نتفهم كيفية اقترابهن وتمسكهن بهذا الطريق الآخر ألا وهو الإسلام.

١ ــــ بناتنا على درب ديني آخر.

نساء يعتنقن الإسلام في أمريكا..

قد تكون هذه المرأة مشترية من محل تجاري، أو قائدة أو راكبة لسيارة، أو طالبة في إحدى الجامعات أو موظفة في أحد المكاتب. ثيابها بسيطة، غطاء رأسها يكسو شعرها ولا يبدو منها سوى الوجه واليدان (بل قد يكون وجهها مغطى بوشاح).. إنها متميزة في مجتمعنا، وكثيراً ما تثير بعض الأفكار.. «دين غريب».. «إرهابية»..، «أصولية».. «غامضة».. «غريبة».. «بترول». وقد تجعلنا نشعر بعدم الراحة أو بالغربة أحياناً.

وعند توقعك أن تسمع منها لهجة ثقيلة وغريبة، تصدمك بلهجتها الأمريكية النقية. فيسألها الفضولي :«من أين أنت؟» فقد ترد: «من توليدو أوهايو». فيرد السائل :«حقاً؟» ثم يلاحظ فيها ما يدل على أنها أمريكية مثلنا تماماً.

إنها حقيقة أن عدداً متزايداً من الأمريكيات بالمولد في الولايات المتحدة وكندا قد اعتنقن الإسلام، ويطلقن على أنفسهن اسم «مسلمات» كأي تابع للدين الإسلامي، وكثيرات منهن يرتدين «الحجاب» التقليدي في الطريق العام. وهناك منهن من لا ترى ضرورة للحجاب، وبالتالي لا يلفتن الانتباه وإن كنّ ضمن عداد مسلمات الولايات المتحدة وكندا المتزايد.

ولا أحد يعلم على وجه اليقين كم يكون من البليون مسلم في العالم عدد من يعيشون منهم بالولايات المتحدة وكندا. إلا أن مجلس المسلمين الأمريكان بواشنطن American Muslim Council of Washington D.C يقدر عددهم ما بين ٦ و٨ ملايين. منهم أمريكان بالمولد، ومهاجرون وعدد متزايد من الأطفال المسلمين بالمولد بأمريكا. وبالتالي يكون للإسلام أتباع في الولايات المتحدة أكثر

من اليهود الذين يبلغون ٥,٥ مليون مما يجعل الإسلام الديانة الثانية الرئيسية بعد المسيحية. ويعكس عدد المساجد ومراكز التعليم المتنامي حضور الإسلام الظاهر للعيان. ففي عام ١٩٨٥ تقريباً كان عدد المساجد ومراكز التعليم والمراكز الإسلامية قد بلغ ٦٠٠.

وتاريخ الإسلام بالولايات المتحدة قصير للغاية. إذ توضح نشرة «قرن من الزمان للإسلام بأمريكا»[1] A Century of Islam in America أنه كانت هناك ثلاث موجات هجرة للمسلمين. كانت الأولى عام ١٨٧٥ واشتملت على عمال بلا تعليم وبلا خبرة وإنما كان لديهم العزم على العمل الجاد. بقي منهم الكثير، غير أن الذين عادوا إلى بلادهم شجعوا غيرهم على الهجرة إلى أمريكا. وتوقفت الموجة الثانية عام ١٩٣٠ بسبب الحرب العالمية الثانية. أما الموجة الثالثة في الخمسينات والستينات فقد تكونت من متعلمين تعليماً جيداً من عائلات ذات نفوذ. وفي الغالب كانت الهجرة هروباً من ضغوط سياسية أو للحصول على درجات علمية أعلى.

ويميل المسلمون إلى التجمع في المدن الكبرى حيث يساند بعضهم بعضاً. وتضم أكبر الجامعات جماعات نشطة من المسلمين. فقد كانت الجامعات المكان الذي يتعلمون فيه ويتعاونون فيه لممارسة حياتهم حسب النموذج الإسلامي الذي قد يتعذر أن يختلط ببرامج ونشاطات المجتمع الأمريكي. إذ يلتزم المسلمون باتباع التعاليم الإسلامية العملية بكل دقة في حياتهم اليومية. وهي مقررة في القرآن الكريم والسنة المنسوبة إلى النبي محمد ﷺ إن حق ممارسة الدين طبقاً لرغبة كل فرد من المقررات القوية التي تنفرد بها بلاد الغرب، مما يتيح للمسلمين الفرصة لكي يعيشوا حياتهم بالطريقة الإسلامية.

وبلاد الغرب التي كان تصنيفها على أنها بلاد يهودية مسيحية، قد ينبغي الاعتراف بأنها أصبحت مجتمعات يهودية مسيحية إسلامية. إذ أن سرعة نمو الإسلام في نصف الكرة الأرضية الغربي أصبح من الموضوعات الهامة لوسائل

---

(١) إيفون حداد (واشنطن نشر مركز الشرق الأوسط ١٩٨٦).

الإعلام الأمريكية. وصار انتشار الإسلام من القضايا الرئيسية المعاصرة التي تشمل كل الأمريكيين بشمال أمريكا على الرغم من أن أغلب الأمريكان لا يعلمون إلا القليل عن مبادىء الإسلام أو عن تاريخه.

كانت بداية الإسلام بالجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي حين تلقى محمد ﷺ الوحي الإلهي من الله بواسطة جبريل. ولقد تلقى محمد ﷺ الوحي وقرأه مشافهة. ثم دُونت القراءات وتكوّن منها مصحف القرآن الكريم، وهو كتاب المسلمين المقدس، وكلام الله تعالى الحرفي، وآخر وحي من الله للعالم.

الإسلام يدخل دنياي

منذ ١٤ عام مضت تزوجتْ ابنتي جودي من الشاب الإيراني ثم تحولت كما ذكرت إلى الإسلام. ثم بدأت ترتدي الحجاب وتعيش وتمارس حياتها كمسلمة. وكانت السنوات القليلة التالية مليئة بالحزن ومحاولات إعادة التوافق داخل عائلتنا. ثم بدأنا بعدها نقدر مدى قوة واستمساك ابنتنا وصديقاتها المسلمات الأمريكيات.

وانطلاقاً من هذه التجربة الشخصية، قررتُ أن أجمع تجارب أمريكيات أخريات اعتنقن الإسلام. فأعددت قائمة بأسئلة البحث ووزعتها. وبعد برهة بدأت أتلقى الردود التي عكست لي مدى القوة والإيمان عندهن.

هذا ويألف كثير من الأمريكان بالشمال (بما فيهم الولايات المتحدة وكندا) الكتب والأفلام والمقالات وتعليقات وسائل الإعلام الأمريكية المليئة بتصوير سلبيات المسلمين. ونادراً ما تتاح لنا الفرصة على المستوى الفردي كي نتعرف على خصائص الحياة التي تستمسك بها هذه الأمريكيات المسلمات. مما جعلني أشعر بالحاجة الماسة إلى تقديم صورة أكثر موضوعية، وأن أجمع وأعرض قصص بعض الأمريكيات المسلمات، لكي أحقق الرغبة التي بداخلي. ولم أكن أنوي تقديم كل قصة بأكملها وإنما فكرت في الاكتفاء برواية أجزاء منها للكشف عن تجارب ورحلات إيمان المشتركات المسلمات. ومن بينها قصتي أنا كأم لإحدى هذه المسلمات. وكانت فرصة أيضاً لإلقاء الضوء على عقائد الإسلام. وعلى

مبادئه العملية العامة التي يمارسها أتباعه يومياً.

نظرة عامة على نتائج البحث

تم توزيع قائمة الأسئلة (الموضحة بالملحق بآخر الكتاب) في عدة مؤتمرات إسلامية. وأرسلت بالبريد إلى الذين علموا بالبحث وطلبوها، أو سُلمت عن طريق الغير. فمن ٣٥٠ قائمة أسئلة تم توزيعها، قامت بالرد ٥٣ سيدة مسلمة من مناطق متفرقة من أمريكا الشمالية مثل أوكلاهوما، كنساس، ميسورى، فرجينيا، نيوجرسي، إنديانا، أوريجون، ألاباما، تكساس، كاليفورنيا، لويزيانا، واشنطن، إللينوي، بنسلفانيا، أركنساس، فرمونت، أونتاريا. . وقضت هذه المشتركات الـ ٥٣ عدة ساعات من التفكير العميق لإعداد الإجابة على الأسئلة الصعبة التي بالقائمة.

وكان مستوى المشتركات التعليمي ما بين الثانوية والدكتوراة كالآتي: ٥٣٪ بكالوريوس أو أعلى، ٣٥٪ بكالوريوس في العلوم (B.S) أو الآداب (B.A)، ١٢٪ ماجستير في العلوم (M.S) أو الآداب (M.A)، ٦٪ دكتوراه في الطب (M.D) أو الكيمياء (PH.D) وفي وقت البحث كانت هناك ٧ مشتركات ما زلن طالبات بالكليات للحصول على درجة علمية أعلى.

وكان مستوى الأعمار ما بين ٢١ سنة و٤٧ سنة: منهن ٤٠٪ في العشرينات، و٤٨٪ في الثلاثينات و١٢٪ في الأربعينات. وكانت فترة الانتماء إلى الإسلام ما بين ٦ شهور و ٢٢ سنة: ٣٢٪ منهن من ٦ شهور إلى ٣ سنوات، و٢٤٪ من ٤ إلى ٦ سنوات، و٢٠٪ من ٧ إلى ١٠ سنوات، و٢٤٪ مدة إسلامهن ١١ سنة أو أكثر، منهن مشتركتان مدتهما ١٩ سنة و ٢٢ سنة.

وكانت حوالي ٤٠٪ من المشتركات يعملن خارج المنزل كل أو بعض الوقت. ومشتركتان كان لهما عمل بالمنزل. و١٢٪ يدرسن من أجل الحصول على درجات علمية بالكليات. ونصف المشتركات ربات بيوت فترة كاملة: منهن ٢٥٪ يعلّمن بالمنزل home school أولادهن في سن المدرسة. و٧٥٪ أنجبن أولاداً (ليسوا كلهم في سن المدرسة)، ٤٧٪ يرسلن أولادهن إلى مدارس التعليم العام،

و١١٪ أولادهن في مدارس خاصة غير إسلامية، و٢٦٪ أولادهن في مدارس إسلامية، و٢٦٪ يدرّسن لأولادهن في المنزل. ويكون المجموع أكثر من ١٠٠٪ لأن بعض العائلات لها أولاد في نوعين أو ثلاثة أنواع من مختلف المدارس.

وعند دراسة مدى الممارسة العامة للإسلام، اتضح أن اثنتان فقط من المشتركات غير محجبتين فترات كاملة، والغالبية منهن يؤدين الصلاة، ويصمن رمضان ويشتركن في دراسات لمبادىء الإسلام. و١٨٪ يأكلن لحماً ذبحه غير إسلامي، ولا يأكلن الخنزير.

و٩٠٪ من المشتركات متزوجات زواجاً ناجحاً وسعيداً وقت البحث. وتعرب بعض غير المتزوجات بسبب الطلاق أو الترمل أو لم يسبق لهن الزواج عن عدم راحتهن أحياناً في التجمعات الإسلامية، ويعتقدن أن الزواج يتيح لهن وضعاً أفضل في هذه التجمعات. باعتبار أن الزواج هو «الوضع الطبيعي». وعدم الزواج يفقدهن بعض القوة التي تتحقق لهن من خلال الزوج بمزيد من الاتصال والمشاركة في القرارات التي تتخذ بالمسجد.

وتعبر إجابات المشتركات عن ردود فعل غاية في الإيجابية عن اختيارهن أسلوب الحياة الإسلامية. بعكس القصص ذات السلبية المتزايدة التي نسمعها في وسائل الإعلام الأمريكي. وكما هو الحال في المجتمع الأمريكي بصفة عامة، فإن قصص زواج معظم الأمريكيات المسلمات تتراوح ما بين السعادة، والتكيف Welladjusted وبين بين و«الحياة طيبة ولكن»، إلى غيرها من قصص مليئة بالحزن وعدم السعادة.

وفي هذه الدراسة أكدت غالبية المشتركات أن الحياة حسب النموذج الإسلامي تفي بمتطلبات الحياة المفعمة بالسعادة.

* * *

٢ ــــ بداية الطريق..

نشأة مسيحية في أسرة أمريكية

انفصلت جودي عنا في خريف السنة الثانية من كليتها وذهبت لتعيش مع جدتها بسبب أنها لم تكن متأكدة من أنها سوف تستطيع أن تستمر في معيشتها معنا. فقد كانت في حالة من الاضطراب الوجداني والروحي.

وبعد هذا الخريف سافرت جودي مع فريق صغير من الشباب البالغين في جولة كنسية تحمل مزيداً من اللاهوت إلى عدد من التجمعات الدينية، ولتكتشف مواقع بعض الكنائس التاريخية. وبعد عودتها من الرحلة حكت لنا تجربتها في شفائها العاطفي فقالت: «أمي وأبي.. إنني أدرك الآن ما كنتما تقصدان بأن هناك إله موجود، لقد مررت بتجربة مع الله. فعندما جلست مع الفريق نصلي، حدث أن شعرت وكأن الدفء يسري في روحي. كان هذا تأكيداً بأن الله موجود بالفعل.. لقد كانت لحظة شفاء بالنسبة لي.. والآن أنا مستعدة أن انطلق لكي أعيش حياتي..».

لم تكن جودي مستعدة للعودة إلى منزلنا. لهذا وفرنا لها شقة صغيرة في أحد بيوتنا المستأجرة. بينما كانت تتابع الدراسة في الكلية المشتركة حيث كان والدها يعمل بالتدريس.

في هذه الفترة توطدت المعرفة بين جودي ورضا. وكان هو طالباً في الهندسة بنفس الكلية، وكان شاباً جاداً يتحلى بقيم أخلاقية مماثلة لما كانت جودي تريد لحياتها.. كان هو الشخص الذي يستطيع أن يساعدها على أن تكون ما كانت تريد حقاً أن تكون.

كنا في وقت عيد الفصح نئوي السفر خارج المدينة لزيارة الأقارب. ودعونا

جودي ورضا لمرافقتنا. وفي صباح عيد الفصح ـ وقد كنا نتأهب للذهاب إلى الكنيسة همست لي جودي بطريقة مثيرة: «أمي إن رضا يرغب في الزواج مني.. وأن نذهب إلى إيران لنعيش معاً هناك.. أليس هذا شيء رائع؟!» فقلت في نفسي: لا ليس هذا شيء رائع.. فقد وقعت أزمة الرهائن الأمريكان في إيران. لا.. هذا لا يمكن أن يحدث.. وظلت دموعي تغمر وجهي طوال صلاة الفصح.

ودعانا رضا يوم الخميس التالي إلى شقته للعشاء. كان هذا شيئاً جميلاً. وكان من الممتع أن نكون مجتمعين معاً. وانتهز رضا المناسبة وقال: يا جو ويا كارول.. لقد دعوتكما هنا لأنني أرغب في الزواج من جودي.. وأود أن أحصل على موافقتكما قلنا: «ومتى ذلك؟» قال: «في أقرب وقت ممكن. آمل أن يكون في هذا الصيف» ثم أخذ يشرح مشاعرهما، وصداقتهما، وتوافقهما في القيم والأخلاق.

لم نكن نستطيع الموافقة، فقد كان عليها إنهاء دراستها بالكلية. كيف يمكن أن يتم ذلك! لا.. لا!..

ولكن مع مرور الوقت استطعنا أن ندرك أن الزواج سوف يتم سواء بموافقتنا أم بغيرها. وركعت لله أناجيه: «يا رب.. إنني لم أحاول أن انظر إلى أي شيء في رضا.. إنني قاومت فقط.. وسوف أبحث عن نورك داخل عينيه لكي أجد القبول..».

وعندما رأيت رضا.. بعد عودتي، أخذت أنظر إليه نظرة مختلفة. فقد عكست لي عيناه الداكنتان الجميلتان الحب واللطف والنور، ثم غمرني شعور بالموافقة والقبول. وتوصل زوجي أيضاً إلى ذات الرأي. ولهذا خططنا لزفافهما في أول أغسطس. لقد كان رضا رجلاً طيباً، سوف نشاركه قراءة الإنجيل وربما يصبح مسيحياً عن قريب.

* * *

المشاعر والعواطف الأبوية مألوفة لدى كثير من الأسر التي لها أولاد بلغوا سن الشباب ويختارون ما لا يوافق عليه الآباء. إننا كآباء نعتقد أننا نربي أولادنا

لكي يحملوا قيمنا الأخلاقية ولكي يتخذوا القرارات التي تناسب أسلوب حياتنا.

غير أن الأمور لا تسير على هذا المنوال. إذ أن لهم اختياراتهم. وقد يرغبون في أساليب للحياة مغايرة لما كنا نأمل أن يختاروه لأنفسهم.

وفي قصص الأمريكيات المسلمات، وصفت الغالبية الساحقة نشأتهن أنها كانت في ظل ارتباط ديني سواء بناء على طلب الأسرة. أو بسبب رغبة البنت نفسها. وهناك حالتان فقط لم يكن للدين أهمية في سنوات تكوينهما، بل إن واحدة منهما لم تكن مسيحية في أي وقت. فضلاً عن أن كثيرات من المشتركات انفصلن عن الكنيسة بعد ذلك بسبب شعورهن بعدم إمكانهن الحصول على إجابات شافية على أسئلتهن، أو أنهن عندما تركن منزل الأسرة، لم يعد هناك ما يدعو إلى ذهابهن إلى الكنيسة حيث لا وجود لإلحاح العائلة. وكان بعض هؤلاء إما بنات أو حفيدات لرجال كنيسة.

انتسبت المشتركات إلى طوائف دينية أصولية أو متحررة. وعلى الرغم من أن ٢٨٪ من المشتركات لم يذكرن طوائف معينة إلا أن اللاتي ذكرن انتماءهن الديني، أوضحن أنهن كن من الكاثوليك، والمعمدانيين الجنوبيين Southern Baptist ومنهجيين Mehtodist ، ومسيحيين أتباع المسيح، أعضاء في الكنيسة الأسقفية Episcopalian، وكنيسة عيسى يسوع للقديسين العصريين Reorganized Church of Jesus Christ of Latter Day Saints والكنيسة الناصرية، والمشياخيين Presbyterian ، واللوثريين، وشهود يهوه والصاحبيين Quaker، ويونانيين أرثوذكس، وسبتيي اليوم السابع Seventy- Day Advantist ، وكنيسة العالم الواسع لله. وأيضاً الساحرين Charismatic، والمسيحيين المولودين من جديد. Born- again Christians . وكانت إحدى المشتركات مسيحية ثم اعتنقت الهندوسية، وأخرى كانت تبحث في اليهودية. إذن الغالبة لها جذور دينية وكانت في بحث عن معنى لحياتها خلال فترة الشباب والشك.

وفيما يلي وصف بعض المشتركات لمدى فهمهن للمحيط الديني في حياتهن المبكرة.

عائلات كانت صارمة

انتمت بعض النسوة إلى عائلات كانت عازمة على أن تكون بناتها منتظمات في الحضور إلى الكنيسة، ليس فقط أيام الآحاد بل وفي خلال الأسبوع أيضاً. ووردت كلمة Strict (صارمة) كثيراً في وصف توقعات بعض الأسر بالنسبة إلى الدين.

● نشأتُ كاثوليكية.. وكنت أؤخَذُ إلى الكنيسة وإلى مدرسة الأحد كل أسبوع. لأن أبي كان يصر ويجبرني بدنياً أنا وإخوتي وأخواتي على الذهاب. وكان يقول لنا :إن لم تذهبوا إلى الكنيسة فإنكم ستدخلون النار. كنت أؤمن بالله وأخشاه، وكنت أسأله العون. ولما بلغتُ سن السابعة عشر توقفت عن الذهاب إلى الكنيسة، وكانت تنتابني أحلام مخيفة ليلاً عن الشيطان وكأنه آت لكي يأخذني، وذلك مدة ستة شهور أو أكثر.

● نشأتُ مسيحية (من سبتيي اليوم السابع Seventh- day Advantist)يي أذهب إلى الكنيسة، وإلى المدارس الخاصة التي تديرها. نشأتُ في جو حازم: لا وجود لأي عمل غير ديني من غروب يوم الجمعة إلى غروب يوم السبت، نشاطات كنسية متعددة، ونظام غذائي صارم (الامتناع عن أكل لحم الخنزير فضلاً عن أشياء أخرى مذكورة في العهد القديم)، لا خمر، لا تدخين، لا حُليّ.. إلخ. وفي المرحلة الثانوية تحررت من وهمي عن الكنيسة لأني رأيت فيها نفاقاً كثيراً. وتوقفت عن الذهاب إليها وإلى المدرسة الثانوية في سن السابعة عشر.

كانت هذه العائلات تطالب بما كانت تراه الأفضل لنشأة بناتها. وفي أحوال كثيرة تكوّن لدى تلك البنات إيمان عميق بالله. أما الذهاب إلى الكنيسة فقد كان مفروضاً عليهن، وتحررن منه عندما سمحت سنهن باتخاذ القرارات الشخصية الخاصة (بالذهاب إلى الكنيسة أم لا).

آباء كان اقتناعهم الديني متقلباً أو ضعيفاً

وبرغم أن كثيراً من الآباء كان عندهم اقتناع ديني عميق فإنهم امتنعوا عن الذهاب إلى الكنيسة أو كان حضورهم إليها في أوقات محدودة. بينما كانت أسر أخرى منقسمة حول مدى الإخلاص في الانتماء الطائفي. . أو أنهم غيروا طائفتهم في فترة نمو الطفلة. وبعض المشتركات أكدن عدم الرضا عن جذورهن الدينية.

● عندما كنت طفلة كانت أسرتي تنتمي إلى (كنيسة العالم الواسع لله (World Wide Church of God) ثم انفصلت عنها وأنا في سن مبكرة. وكان أبي يشعر أن معظم الكنائس يدب فيها الفساد، غير أنه كان (في رأيي) متديناً إلى أبعد الحدود. ونظراً لنشأتي هذه فقد كنت أبحث عما يملأ عندي الفراغ الديني.

● كنت من (المسيحيين المولودين من جديد Born- again Christian) وغير ممارسة. لم أذهب إلى الكنيسة لعدم اهتمامي بجو التدين المبالغ فيه والمليء بالضغوط. ولقد انضمت والدتي إلى نفس الطائفة وأنا في الصف الثالث. وقبل ذلك كنا كاثوليك.

● كان تمسكي الديني عميقاً. ولم يكن أبواي يذهبان إلى الكنيسة، وإنما كانا يرسلان بي مع العائلة أو مع الأصدقاء منذ بلغتُ سنتين. وكان لأبواي مستوى أخلاقي معين كانا يحرصان على تلقينه لي في شبابي برغم عدم حضورهما إلى الكنيسة. كان جدي لوالدتي واعظاً تابعاً (لعيد الحصاد) (Pentecostal) وكانت والدتي دائماً غير راضية عن جدي لأنه كان يجبرها على الذهاب إلى الكنيسة ثلاث مرات في الأسبوع.

● عندما كنت طفلة كنت أذهب إلى (كنيسة الله) (Church of God) التي كان أبي ينتمي إليها. وحين بلغتُ سن المراهقة ذهبتُ إلى الكنيسة الأسقفية (Episcopal Church) مع أمي. وكان سبب التغيير رغبة أمي في العودة إلى جذورها الدينية الأولى. ولم أكن راضية عن اتجاه أي منهما.

يتضح كما رأينا من بعض إجابات البحث أن درجة من الاضطراب وعدم الراحة كانت سائدة في عائلاتهن بشأن الدين. وبالتالي كان الموقف به تشويش وشك.

نساء شعرن بانجذاب نحو التجربة الدينية

تحرر من الوهم.. تشويش.. أسئلة بلا إجابة.. هكذا كان وصف التجربة الدينية المبكرة لكثيرات من المشتركات. ومع ذلك وعلى الرغم من الإحباط وخيبة الأمل، أوضحت القصص مدى ورعهن، وأنهن كن في «مرحلة بحث» وتنقيب عن الاستقرار في حياتهن الدينية.

● أبي من (المشياخيين) (Presbyterian) وأمي كاثوليكية. ولم يكن أبي نشطاً في أية كنيسة بينما حاولت أمي أن تنشئني كاثوليكية. وتم تعميدي في الكنيسة الكاثوليكية وتلقيت (عشائي الرباني الأول) (First Communion) في حوالي سن الثامنة. بعد ذلك كنا نذهب إلى الكنيسة مرة كل سنة. ولما بلغت حوالي العاشرة صرت عضوة نشطة جداً في كنيسة مشياخية مجاورة. وفي الصف التاسع، كنت أساعد زوجة الكاهن في التدريس بمدرسة الأحد. وفي المرحلة الثانوية كوّنتُ مجموعة شباب كنسية، وطلبت من أربع من صديقاتي الانضمام لي. كانت جماعة صغيرة ولكنا كنا سعيدات بالاجتماع معاً لدراسة الكتاب المقدس. والتحدث عن الله والإنفاق في أوجه البر.

وكنا ـ صديقاتي وأنا ـ نجلس معاً ونتحدث في القضايا الروحية. وكنا نتجادل حول أسئلة محددة في أذهاننا: ما مصير الناس الذين عاشوا قبل مجيء عيسى (أيذهبون إلى الجنة أم إلى النار؟) ولماذا يذهب تلقائياً أناس طيبون جداً إلى النار لمجرد أنهم لم يؤمنوا بعيسى؟ (كنا نفكر في غاندي). وعلى العكس، لماذا يحظى بالثواب رجال أشرار (مثل والد صديقتي الفاسد) ويدخلون الجنة لمجرد أنهم مسيحيون؟ ولماذا يطلب الله وهو المحب الرحيم التضحية بالدم (دم عيسى) لكي يغفر ذنوب الناس؟ لماذا نحن مذنبون بخطيئة آدم الأصلية؟ ولماذا لا يتفق

كلام الله (Bible) مع الحقائق العلمية؟ كيف يمكن أن يكون عيسى هو الله؟ كيف يكون الله الواحد ثلاثة أشياء مختلفة؟ كنا نجادل في هذه الموضوعات دون أن نتوصل أبداً إلى إجابات وافية. حتى الكنيسة نفسها لم تكن قادرة على تقديم الإجابة الشافية. وكل ما كانت تقوله لنا أن يكون لدينا: «الإيمان».

● نشأتُ كاثوليكية واستمتعت بتقاليد الكنيسة الكاثوليكية وأعجبت بالقيم المحافظة. كان هناك دائماً كثير من الأسئلة بلا إجابة وأنا طفلة. لم أكن أقبل الإجابات المبهمة أو التي لا معنى لها. وأدركتُ وأنا طفلة صغيرة أن هذه المساحات الغامضة في العقيدة والفلسفة التي تعتمد على الطاعة العمياء لرجال الدين ليست صواباً.

● ولدتُ مسيحية. وكنت دائماً أحب مدرسة وكنيسة الأحد. وفي أسرة تعرضت لعدم الاستقرار والطلاق والاضطراب الوظيفي، كنت أبحث عن الاستقرار ليس فقط في المجتمع وإنما مع الله. وبعد سن الثامنة عشر أخذت أبحث من كنيسة إلى كنيسة عن «الإجابة» فلم أجد سوى مزيد من الغموض في ردود كل كاهن وكل قس. وأذكر أنني كنت أقول لإحدى أعز صديقاتي أنني كنت أتمنى أن أجد كنيسة تشفي غليلي. لقد كنت دائماً أشعر بمساحة فراغ بداخلي.. ولما بلغت الثانية والعشرين أدركت أنني أمام دين «من صنع البشر» وليس من الله.

● نشأت كاثوليكية. كانت أمي تمارس الإيمان. ولكن أبي لم يكن يحضر القداس بانتظام. ومنذ أن كنت في المرحلة الابتدائية، كنت أسأل المدرسات (راهبات) ووالداي عن الثالوث (من الذي أتوجه إليه في الصلاة: عيسى.. أم الله الآب.. أم روح القدس؟ وماذا عن القديسين؟). ولقد قيل لي أنه لا يوجد تفسير. وأن عليّ أن أتقبل ذلك كما هو. كان هذا غامضاً في نظري. لم أرض أبداً عن الكاثوليكية. وتوقفت عن الذهاب إلى الكنيسة في سن السابعة عشر، ولكني كنت أداوم على الصلاة لله. كما كنت أفعل وأنا في طفولتي المبكرة جداً.

● لم أكن أشعر بأي انتماء حقيقي إلى الكنيسة الكاثوليكية. وفي سن

المراهقة، كنت دائماً أبحث عن الصواب.

● كنتُ أتنقل لعدة سنوات من كنيسة إلى أخرى. لم أكن سعيدة مع أي منها. ولما كنت لا أجد راحة نفسي مع إحداها كنت أذهب إلى غيرها. وتأكدتُ أن هذا كل الموجود.. وربما أكون قد تحررت من الفكرة برمتها.. لم أكن أرى سوى النفاق في كل مكان. فتوقفت عن الحضور إلى الكنائس كلها معاً.. عندئذٍ بدأت دخول مرحلة الظلام في حياتي. لقد غرقتُ بكل معنى كلمة الغرق في قاع المجتمع المظلم.

لم تتفق هؤلاء النسوة مع ما كان موجوداً بالكنيسة، وكنّ يسألن ويبحثن عن الشيء الذي يملأ فراغهن الروحي. كان لديهن الرغبة لإشباع حاجاتهن الدينية والروحية التي كانت تلح عليهن.

نساء نشأن في ظل نوع من الالتزام الديني

كان الدين بالنسبة لكثيرات من المشتركات في قلب رحلتهن الإيمانية خلال سنوات نشأتهن. لقد كنّ يعملن بجدية في الكنيسة كمدرسات، وعازفات على البيانو، وعازفات المنفرد ومتعبدات. وكان شعورهن أنهن متفانيات في التوجه إلى الله وفي التمسك بالدين في حياتهن.

● ولدتُ ونشأتُ كأخت لكاهن ناصري (Nazarene)، وكنت متحمسة جداً في نشاط الكنيسة الموسيقي. وكنت لسنوات عازفة للبيانو وأمثل وأغنى في مسابقات كثيرة محلية.

● نشأتُ معمدانية (Baptist) لكني درست أدياناً مختلفة بعد ترك بيت العائلة. كانت أسرتي مسيحية تحاول أن تعيش على دينها، من القلب وليس باللسان.

● نشأتُ كاثوليكية. وطوال فترة شبابي كنت أتمنى أن أكون راهبة، حتى أني قضيت وقتاً مع قسيس الأبرشية، بل واتصلت بالدير للاستعلام. وأستطيع أن

أقول أنني كنت كاثوليكية متفانية، أحضر القداس يومياً وأمارس الأعمال بأكملها.

● قبل تحولي الديني، كنت مسيحية أذهب إلى مدرسة الأحد منذ سن الثانية، وأحضر مع أسرتي أعمال الكنيسة كل يوم أحد منذ سن السادسة. كنت مخلصة جداً. وتم تعميدي في سن الثامنة بعد سؤالي بمعرفة كاهن كنيستنا. وقد كان متشككاً في تعميدي لصغر سني. ولكن بعد أن أجبت على جميع أسئلته، قرر أنني على استعداد لأن أكون عضوة رسمية في الكنيسة. وبعد تعميدي ظللت عضوة مخلصة إلى أن قابلت زوجي. وعندئذ بدأت دراسة الإسلام.

● كنتُ حتى سن الثامنة عشر منهجية (Methodist) وبعد الثامنة عشر أصبحت كاثوليكية. وكنت نشطة جداً في كلتا الحالتين، إلى درجة حصولي على الجوائز والميداليات والشهادات.. إلخ. وكنت أعتبر نفسي نشطة ومتدينة جداً. وكنت أرغب في أن أكون راهبة. وتعرفتُ على كثير من الراهبات في دير محلي واستعلمتُ عن حياة الرهبنة. وقبل إسلامي قرأت عن جميع «أديان العالم».

بالنسبة لكل هؤلاء النساء، كان الدين أسلوباً طبيعياً لحياتهن. ولم ترضيهن إجابات قيادات الكنيسة. لقد كنّ في «هذا الطور» يمارسن حياتهن الدينية وأثناء ذلك يحاولن تقرير من هنّ، وكيف تكون حياتهن. كنّ شابات بالغات وعلى قدر من الاستقلال في الاختيار. وتم في هذه النقطة من البحث اتصالهن بطريقة أو بأخرى بالإسلام.

* * *

٢ ـــ تغيير الطريق الديني..

نساء أمريكيات يخترن أن يكن مسلمات..

كنا في صحبة جودى لمدة يومين من أيام الصيف لحضور زفاف أحد الأصدقاء. كانت جودي ورضا قد تزوجا منذ سنتين. وكانا يدرسان بجامعة أركنساس على بعد ثماني ساعات بالسيارة من منزلنا. كانت تبدو مختلفة إلا أن طريقتها الناضجة ولطفها حازا إعجابي. وكانت عندما تحدد ميعاداً لتصفيف شعرها، تحرص على أن يكون مصفف الشعر سيدة وليس رجلاً. مع أننا كنا في منتصف فصل الصيف الحار، فقد كانت تلبس القفاز الطويل. كان حديثها جاداً عندما تتكلم عما تعلمته عن الإسلام.

وفي طريقنا إلى حفل الزفاف، كنا نثرثر. وجلست جودي في السيارة بجانب والدها على الكرسي الأمامي. والتفتت إلى الخلف لتنظر إلي وأنا على الكرسي الخلفي وقالت: «يا أمي من هو عيسى الذي تؤمنين به؟» قلت: «يا جودي إنك تعرفين.. لقد ذهبت إلى الكنيسة طول حياتك» قالت: «ولكن يا أمي أريد أن أسمع منك الآن».

فقلت لها ما هو أساسي في العقيدة المسيحية عن ميلاد المسيح، وعن دوره، وأنه ابن الله، وعن موته وقيامته من أجل خلاصنا.

فسألت: «إذن.. عيسى هو الله؟» قلت: «نعم عيسى جزء من الثالوث، ومن خلال وعظه ورسالته كان يوجهنا إلى الله».

ثم شعرت أني محبطة. فبطريقة ما، كانت إجاباتها تجعلني أشعر بعدم الراحة.. فسألت نفسي لماذا لا أكون أحسن؟ وبرغم أنها لم تقل، فقد كنت أشعر أنها تتحرك نحو وجهة إسلامية. فكنت أهون على نفسي قائلة في نفسي أن لا أمل

في أن تستمر على الطريق إلى آخره.

عادت جودي إلى عالم الدراسة الجامعية مع زوجها رضا. ورجعنا نحن أيضاً إلى منزلنا وإلى أعمالنا. وكنا على اتصال بها تليفونياً. ومع كل اتصال تليفوني كنا نشعر إن الهوة بيننا تتسع. كان طبيعياً لها أن تقلد الآخرين. وأحياناً كثيرة كنا نشعر أن لهجتها تشبه لهجة السيدة الإيرانية التي تتعلم الإنجليزية. فقد كانت تقلد لهجة صديقاتها. ولما كانت تتكلم عن الطبخ كانت تصف الأكلات الإيرانية لا الأمريكية. ولم تكن تتحدث سوى عن صديقاتها المسلمات.. لا المسيحيات ولا حتى الأمريكيات. كان هناك تغيير قد حدث، وإن كنا لا نستطيع تحديده.

في عيد الشكر في نوفمبر حضرت جودي ورضا إلى منزلنا. وكنا نتوجس من اللقاء ولكننا كنا ننتظر. إننا حقاً نحب هذين الاثنين ونشتاق إليهما. وحضرت جودي إلى الباب. كانت ترتدي ثوباً طويلاً يغطي الجينز وسويتر. وكانت تحمل وشاحاً في يدها وشعرها مسطح برأسها. قبلناهما وجلسا وتحدثنا بتكلف وسطحية. لقد كان الوقت متأخراً ووقت النوم قد حان. خرج رضا لإحضار الحقائب وعندما هممت بالصعود، جاءت جودي نحوي وقالت: «أمي.. أحتاج إلى التحدث إليك».

أدرت لها ظهري واتجهت إلى المطبخ. كانت الدموع تنهمر من عيني. لا.. لم أكن أرغب في التحدث معها. لم أكن أتحمل تصور ما سوف تقوله لي. فقلت لها دون أن أوجه نظري إليها :«ليس الآن».

كان اليوم التالي هو عيد الشكر. وكنا جميعاً في طريقنا إلى منزل الجدة على بعد ساعة بالسيارة. «يا أمي.. سوف لا نأكل الديك الرومي أو المرق.. إننا لا نأكل سوى اللحم المذبوح حلالاً».

طيب يا شاطرة.. سوف ترين إن كنت أهتم بذلك! سوف لا أنظر إليها أو أوليها أي اهتمام. لقد عادت إلى ارتداء الثوب الطويل فوق الجينز. وكنا نسير في

اتجاه الباب فوضعت الوشاح بحيث غطى شعرها كله. جلست على الكرسي الأمامي وعبست طوال الطريق. أما باقي أفراد الأسرة فقد كانوا يتصرفون بتلقائية. وتعمدت أن أتجنبها طوال اليوم حتى المساء عند العودة إلى المنزل. «أمي.. أريد أن أكلمك» ـ قلت: «لا أريد أن أسمع شيئاً» ـ قالت: «يجب أن تسمعيني يا أمي.. أرجوك». وأخيراً استجبت لها وجلسنا.

ثم قالت: «يا أمي لقد اعتنقت الإسلام، وكنت مسلمة منذ فصل الصيف.. ولكن لم أكن مستعدة لأن أبلغك بذلك وقتها، كنت بحاجة أن أزداد قوة قبل أن أقول لك هذا الخبر».

* * *

الدلائل ظاهرة في أحوال كثيرة على أن أولادنا البالغين قد غيروا الطريق الديني الذي كنا نريده لهم. ولا ندري كيف نتصرف معهم. وبالتالي هل نتجاهلهم؟ ونهرب من الموقف حتى لا نضطر إلى التعامل معه.. غير أن أولادنا صاروا شباباً بالغين، وأصبحوا بعيداً عن سيطرتنا. إنهم يصادفون أفكاراً كثيرة جديدة، ومنظوراً مختلفاً لأبعاد العالم، ويتخذون قراراتهم بأنفسهم.

بناتنا يتعلمن من الدرب الجديد

كان ٦٣٪ من المشتركات متزوجات من رجال مسلمين قبل اعتناقهن للإسلام. وتراوح موقفهن تجاه الإسلام وقت الزواج ما بين الخوف من الإسلام إلى بحث الإسلام ودراسته بجهودهن الخاصة. ٢٣٪ تحولن إلى الإسلام قبل الزواج وفيما بعد قابلن وتزوجن الرجال المسلمين. بينما ٦٪ ممن أسلمن لا زلن غير متزوجات. وواحدة فقط من المشتركات تحولت إلى الإسلام برغم زواجها من رجل أمريكي أبيض غير مسلم.

لم تشعر واحدة من هؤلاء النسوة بأن زوجها أجبرها على دراسة الإسلام واعتناقه. بل في كثير من الأحيان كانت دراسة الزوجة هي التي أعادت الزوج

المسلم إلى ممارسة دينه. وهؤلاء الرجال المسلمون (في الغالب غير ممارسين) هم في أغلب الأحوال متمكنين من فهم دينهم. فلم يكن جهلهم بالإسلام وبما يفرضه عليهم سبباً لعدم الممارسة، وإنما كان البعد عن العائلة والإقامة في بلاد ليس من اليسير العمل فيها بالإسلام. ثم جاءت مسئوليات الأسرة. والزوجة الباحثة والمساندة مما جعل الزوج يعود بطريقة تلقائية إلى حظيرة الدين.

وعلى الرغم من أن قصص المشتركات تختلف في التفاصيل إلا أن هناك قاسم مشترك بينها في التمهيد إلى دخول الإسلام وفي اعتناقه. كان دخول أغلب المشتركات إلى الإسلام عن طريق الأزواج. وأخريات عن طريق الدراسة في الكلية، وقليل منهن عن طريق التعارف الشخصي بجيران مسلمين، أو على إثر زيارة إحدى البلاد الإسلامية. لقد مس الإسلام فيهن حاجة كن يشعرن بها. فقبلتْ كل واحدة منهن وبطريقتها الخاصة اعتناق الإسلام.

والقصص التالية تساعدنا على إدراك معنى تنوع الطرق التي توصلن بها إلى تعلم الإسلام، وتجارب التحول التي انتهت بهن إلى نقطة إعلان إسلامهن.

شهادة الطرف الآخر ذي الشأن الخطير

كانت الرغبة في توثيق العلاقة مع المسلم الذي أصبح ذا شأن في نظرها هي الحافز بالنسبة إلى بعض المشتركات على البحث في العقائد الإسلامية بشكل أكثر جدية.

● قابلت زوجي عام ١٩٨٣. وقبل ذلك اطلعت على الآراء المتكررة ضد الإسلام.. إنه من القرون الوسطى.. يستعبد المرأة. يستخدم العنف. ولم أطلع على أي عرض منهجي للإسلام برغم مستوى الماجستير الذي بلغته في دراستي. وكان زوجي لا يصلي ولا يصوم ولكنه كان على ثقة تامة بأن الإسلام هو دين الله الحق. ولقد كنت مدركة على الرغم من أنني غير ملتزمة باعتناق الإسلام أنه سوف لا يتزوجني قبل أن ألتزم بتربية أي طفل يكون لنا تربية إسلامية. كنت أشعر أن

زوجي يتمتع بقيم أخلاقية راسخة. وكان أول اطلاع لي على القرآن الكريم غير مقنع. وكنت لا أعترض على تنشئة أولادنا على الإسلام.

في عام ١٩٨٨ كان عمر ابننا ١٨ شهراً. وكان زواجنا يمر بعاصفة لأسباب متنوعة. فعدت إلى القرآن أبحث فيه عن حل للتشاور عليه مع زوجي. وبلغ نزاعنا الذروة في سبتمبر ١٩٨٨ فطالبته بالانفصال. شعرت أنه لا مجال للخيار أمامي على الرغم من أنني كنت لا زلت أحبه. كنت أقود سيارتي بهدوء متجهة إلى عملي. فانتابني من خارج روحي ألم شديد وصرخت بصوت عال إلى الله طالبة منه العون. في هذه اللحظة أدركت رغبتي في أن أكون مسلمة. ولم يكن يهمني أيتحطم زواجي أم لا. فقد كنت أريد أن أكون مسلمة لنفسي.

● قابلت زوجي بجامعة لويزيانا التقنية. كان لا يقبل أن تكون لي معه علاقة جنسية غير شرعية. ولهذا عرض علي الزواج. وسألني إن كان يهمني القراءة عن الإسلام وأن أصبح مسلمة. وطلب مني أن أغطي شعري. شعرت أنه يسبني بالطلبين الأخيرين. وكان عمري ١٨ سنة ولم أكن متأكدة من رغبتي في الزواج منه. غير أنني كنت منجذبة إليه. وكنت أريد أن أكون معه. وقطع اتصاله بي. وعدت إلى المنزل وأخذت أقرأ من تلقاء نفسي عن الإسلام. فتغيرتُ ورغبتُ في الزواج منه.

● (من مشتركة لم تتلق أي طقوس في الكنيسة). كان زوجي يعاونني على أن أستعيد توازن حياتي. فقد كنتُ أتماثل مرة أخرى من مشاكل عاطفية. الحق أن دوره في إسلامي كان ضئيلاً للغاية. فقد عرّفني بالإسلام ولم يطلب مني التحول إليه. فالإسلام لا يطالبني بذلك. ولكنه عاد إلى دينه بكل كيانه. وعندما رأيته يتحقق لديه تدريجياً الأمن والسلام النفسي، غبطته على ذلك. فقد كان الأمن والسلام الذاتي مطلبي. فطلبت أن أقرأ وكلما ازددتُ قراءة ازددتُ رغبة في التعلم. الإسلام يعني «الخضوع لإرادة الله» أو «السلام الذاتي». شعرتُ أن الله ذاته هو الذي يقودني.

تعلم الإسلام في بلد إسلامي

بعض المشتركات زرن بلاداً إسلامية، وتأثرن بعمق إيمان الناس وبممارستهم للإسلام. ولاحظن أسلوب الحياة، ومبادىء السلوك أثناء إقامتهن في ظل ثقافة إسلامية حقيقية.

● كان عمري ١٨ عاماً عندما تزوجت من صديقي لأنه كان ذاهباً إلى فيتنام. وقررت أن أتطوع في الخدمة الطبية. في هذا الوقت كنت أدرس الديانة اليهودية (برغم أني كنت ما زلت مسيحية) بسبب أن اليهود لا يعتقدون أن المسيح مخلص. غير أني اكتشفتُ أنني أتقبل أن يكون المسيح نبياً بخلاف اليهود. واقتنعت أيضاً بالميلاد العذري للمسيح، بعكس اليهود أيضاً. أما باقي عقائدهم فقد كانت مقبولة عندي. مع شدة اختلافها عن الحجج التي كنت أسمعها من قبل من القسس والكهنة. وبناء على ذلك كنت اعتبر نفسي يهودية غير يهودية.

كنت ممرضة قتالية مدربة. وحضرت الأيام الأخيرة قبل سقوط سايجون بفيتنام.. وفي عام ١٩٧٨ أرسلتُ إلى المملكة العربية السعودية لأن الأمم المتحدة طلبت موظفين مدربين لقيادة حملة تطعيم ضد الكوليرا ولعلاجها والتي كانت قد انتشرت في جنوب السعودية وعُمان واليمن، وهلك فيها كثير من الأطفال وكبار السن. وكنت كلما سنحت لي الفرصة راقبت الأعراب يصلون عدة مرات في اليوم. والكلمة الوحيدة التي استطعت التقاطها كانت: «الله»، ولقد تأثرت بورع هؤلاء الناس.

وفي بداية عام ١٩٨٠ قمت بجولة في الشرق الأوسط مع زوجي. وفي القاهرة تحول «مصباحي» من الظلمة إلى النور أثناء استمرار دراستي للإسلام. وكان زواجي في طريق نهايته حتى إذا جاء الطلاق أصبت بانهيار عصبي لأن عائلتي وعائلة زوجي كانتا تحاولان «فك برمجتي» من هذه العقيدة الدينية الخطيرة التي أصبحت مغرمة بها. لقد التويت وتحطمت تماماً بفعل هذا الارتباك.

وبعد علاج مكثف، عدت جنوباً إلى الكلية حيث استكملت درجة

البكالوريوس. وبالكلية قابلتُ طلبة مسلمين كثيرين اندهشوا من غزارة معلوماتي عن دينهم. وبعد ستة شهور كنتُ أقرأ القرآن الكريم طوال الوقت، ونطقتُ بالشهادة في رمضان عام ١٩٨٩.

● بدأ تحولي إلى الإسلام عندما حضرتُ حلقة دراسية دينية بجامعة Purdue . هزني هذا المدخل إلى الإسلام، ومنحني مزيداً من المعنى (وفيما بعد كل المعنى) أكثر من أي ديانة أخرى درستها. وعندئذ قررت الانضمام إلى جولة دراسة صيفية إلى مصر لزيارة بلد إسلامي أصيل لكي أرى المساجد وأتحدث إلى الناس. مما فتح عقلي بشكل هائل. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً أصبح الإسلام هو الطريق الوحيد الذي أسلكه. ولما عدت من مصر إلى أمريكا ذهبت إلى المسجد المحلي، وساعدتني الأخوات في أولى خطواتي في تحصيل العلم وممارسة الحياة. وفي نوفمبر ١٩٩٣ تحولتُ إلى الإسلام ووجدت السلام في حياتي. لم أكن متدينة قبل إسلامي. فقد كنت أشرب الخمر، وكنت «همجية». فعلمني الإسلام أن الحياة الدنيا هي أساس الحياة الآخرة، وأن إرضاء الله (سبحانه وتعالى) هو أهم شيء.

● درستُ الإسلام كجزء رئيسي في دراساتي الإفريقية والشرق أوسطية.. وكنت أعتقد أنه لا يوجد أي إنسان يعمل حقيقة بالإسلام في هذا الزمان.

سافرت إلى غرب إفريقيا كمتطوعة حيث أقمت ثلاثة شهور. وقابلت في هذا الوقت مسلمين حقيقيين. كانوا إذا سمعوا الأذان للصلاة هرعوا إلى المسجد. وإذا توفر لدى أحدهم بعض المال أكثر من حاجاته الأساسية، أعطاه إلى من هو أقل منه مالاً. كانت كلمة الله دائماً على ألسنتهم. وكلما طالت مدة إقامتي معهم كلما ازدادت رغبتي في اعتناق الإسلام.

كانت حالتي يائسة لما عدت إلى الولايات المتحدة. فلم أكن أستطيع التعامل مع مجتمع بعيد عما كنت أريد. وقابلت كثيراً من الأصدقاء الأمريكان والعرب المسلمين الذين شجعوني بكل لطف بأن أذهب وأخضع لله. كنت منهكة

جداً من مقاومتي الانجذاب إلى الإسلام حتى أسلمت في ٢١ يناير ١٩٨٩.

يبدو أن هؤلاء النسوة فتن بما لاحظنه في البلاد الإسلامية، ثم تحركن بمقتضى ما رأين وما شعرن به. وكانت الإجابة أن أصبحن جزءاً مما قدم إليهن (وهو الإسلام).

شهادة الجيران المسلمين والتعرف عليهم

بعض الشابات المشتركات قابلن مسلمين في أمريكا وتأثرن بممارسة حياتهن اليومية والعملية. لقد لمسن وجود قوة في شخصية المسلمين تبدو نابعة من عقيدتهم. وكانت شهادة المسلمين أحياناً شفهية بإجابتهم على الأسئلة ولكن الأغلب أن التأثير جاء من اختيار المسلمين لكيفية ممارسة حياتهم.

● كنت في سن الخامسة عشر عندما بدأت أتعلم الإسلام. ولقد جاورتنا عائلة سعودية، وكنت معجبة بطريقة سلوكهم وملبسهم ولغتهم ودينهم. وكانت الزوجة قريبة جداً مني ولكن تحولي إلى الإسلام اقتضى أربع سنوات. ولم تحاول أبداً أن تدفعني إليه، وكل ما كان في الأمر هو أنهم كانوا يجيبون عن أسئلتي بلطف وكرم. وخلال دراستي في المرحلة الثانوية كلها لم أكن مسلمة وبقيت بعيدة عن تأثير أية عناصر سلبية. وجاء التأثير من صديقاتي السعوديات. ولما اعتنقت الإسلام اقتصر التغيير الحقيقي الذي حدث لي على طريقة ارتداء ثيابي وقضاء أوقات فراغي مثل الموسيقى والسينما والرياضة.

● قبل إسلامي كنت ملحدة وانسحبت من الكنيسة. ومع ذلك لم أنقطع عن المناقشات الطويلة والعميقة عن الله والكون. وبعد عدة سنوات، بدأت جولة سفر في جنوب وسط أمريكا انتهت بي إلى تكساس. ولقد استضافتني جماعة مسلمة وسمحت لي بالإقامة معها، وانتزعت مني كل اضطرابي بتمامه وبؤسه. وشاء الله أن أهتدي إلى الإسلام وأن أنطق بالشهادة وأن أرغب في الزواج. ولقد رسخ هذا شخصيتي الجديدة واتجاهي إلى حياة مختلفة ولكن دون أن أفقد تماماً «أنا» القديمة.

● لم يكن زوجي المسلم يمارس دينه وقت أن قابلته، ولهذا لم يعترض على عودتي إلى الكنيسة وأن آخذ معي أولادنا. والشيء الوحيد الذي طلبه مني كان عدم أكل الخنزير. ولقد أتاح لي زوار أبي الآتين من مصر للعمل، أتاحوا لي أن أرى لأول مرة الإسلام في كامل ممارساته. عندئذٍ بدأ زوجي يفكر في أن يمارس دينه في حياته بطريقة أكثر جدية.

وفي هذا الوقت تزوجت عمتي من رجل مسلم، وكنت أقضي معها كثيراً من الوقت أسألها عن الإسلام. في عام ١٩٩٠ أنجبت للمرة الرابعة. وكنت غير مدركة لحقيقة عقيدتي، أقصد أنني لم أكن أعرف تماماً أنني آمنت بالإسلام. وفي إحدى الليالي جعل الله الحقيقة تظهر لي. شعرت وكأن اهتزازاً يهزني فصرخت هذه الليلة كطفلتي ذات الثلاثة أسابيع، وجلست أحدق في لوحتي المنقوش عليها الصلاة لله.

واحتفظت بسر إيماني حتى عن زوجي لمدة أسبوعين آخرين. ثم أخبرته ذات يوم هاتفياً عندما طلبني من جهة عمله. فانطلق يسألني: لماذا؟. وقال لي أن هذا الموضوع في غاية الجدية ولا ينبغي التسرع فيه. وعلى الإنسان أن يكون مقتنعاً به لا مجبراً عليه. وأنهى الحديث قائلاً: «سوف نتكلم في هذا الموضوع عند عودتي إلى البيت». ولقد قال لي فيما بعد أنه بعد أن أنهى المكالمة معي أنه بكى وشكر الله. ولقد وعدني أن يبدأ حياة جديدة وأن يمارس الإسلام ممارسة كاملة. وقال لي في هذه الليلة إنه كان قد همس في الأذن اليمنى لطفلتنا حديثة الولادة «بأذان الصلاة». . وبنداء «إقامة الصلاة» في أذنها اليسرى. وهو ما لم يكن قد فعله مع غيرها من أولادنا.

● في عام ١٩٨٣ قابلت عن طريق الأصدقاء امرأة عربية وأصبحنا أصدقاء. وذات يوم سألتني إن كنت أقبل أن أكون جليسة لأولادها Babysitter. وفعلت. وذات ليلة وقبل أن يذهب الأولاد للنوم قالوا لي صلاتهم وأرادوا أن يعلموني إياها. وفي اليوم التالي سألتني صديقتي إن كنت أعتبر عيسى ابن الله،

فأجبتها قائلة: «حقيقة ليس لي دين.. ولكن قولي لي المزيد عن دينكم الإسلام». ولقد استغرق إسلامي عامين من ذلك الحين.

● تطوعت لمساعدة سيدات سعوديات في تعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية. وتعجبت أن ترفض هذه السيدات أن يدرس لهن رجل. ولكن بعد مراجعة وقراءة عدة كتب عن الإسلام من المكتبات العامة والمدرسية، بدأت أتفهم هذه السيدات «العجيبات» المتوشحات بالسواد. وبدأت هذه السيدات ينفتحن رويداً رويداً، ودعونني إلى منزلهن وبسطن لي معلومات عن الإسلام. والحق أنني احترمت هذا الدين الذي رأيته يمارس من أتباعه يومياً.

كان ربيع عام ١٩٨٨ هو الوقت الذي بدأت فيه ممارستي للإسلام. واتصلت بالجمعية الإسلامية المحلية Local Islamic Association وانضممت إلى مجموعة أخوات يدرسن القرآن الكريم، وهناك قابلت أخوات كن ولا زلن نماذج ذات دور فعال وقوي في هدايتي.

كان لورع وتجرد المسلمات الأثر البالغ على حياة هؤلاء النسوة مما يعزز المبدأ الكنسي المتنامي أن التحول إلى النصرانية يكون في الغالب بسبب شخص معروف له تأثير في قبول المسيح والكنيسة[١]. ولقد شعرت هؤلاء النسوة أن ممارسة الحياة كمسلمة يشبع روحانياتهن، وأنهن رغبن أيضاً أن يشعرن بشدة القرب من الله بأن يكنّ مسلمات حقيقيات.

تعلم الإسلام في حرم الكلية

كثيرات من المشتركات اتصلن بالإسلام لأول مرة في محيط الكلية. سواء من خلال دروس ومحاضرات دينية محددة، أو كتب قرئت في دراسات عامة بالكلية أو عن طريق طلبة أو أصدقاء مسلمين اشتركوا في معسكرات. وكان مما

---

(١) أثر الإسلام بمبادئه يأتي في المقام الأول، وبعده يأتي تأثير الاتصال الشخصي. وليس هذا في المسيحية (المترجم).

يثير اهتمامهن سماع أي شيء عن الإسلام.

● كنتُ أتقابل مع مجموعة دولية من الطلبة كجزء من برامج مجموعة تحادث لممارسة اللغة الإنجليزية. وعند سماعي لرجل فلسطيني يتحدث عن حياته وعن أسرته وعن عقيدته هز هذا الحديث وتراً حساساً عندي. وكنت كلما زاد تعلمي للإسلام كلما زاد اهتمامي به كإمكانية لحياتي الخاصة.

وفي الفترة الدراسية التالية term انحلت هذه المجموعة. فسجلت اسمي في حلقة أخرى بعنوان «دراسة تمهيدية عن الإسلام» (Introduction to Islam) لكن هذه الدراسة أعادت إلى ذاكرتي همومي مع المسيحية. وأثناء دراستي للإسلام كانت جميع أسئلتي تجد الإجابة الشافية.. إننا جميعاً لا نعاقب على خطيئة آدم الأصلية. فقد طلب آدم من الله المغفرة وعفى عنه ربنا الرحيم المحب. ولا يطالب ربنا بتضحية بالدم للعفو عن خطيئة.. علينا أن نطلب المعرفة بإخلاص وأن نصحح سلوكياتنا.. لم يكن عيسى إلهاً، وإنما كان نبياً كسائر الأنبياء. وكانت رسالتهم واحدة.. الإيمان بالله الحقيقي الواحد، وعبادته والخضوع له وحده، والاستقامة في الحياة طبقاً للهداية التي أرسلها.

وكان في ذلك إجابة على جميع الأسئلة حول الثالوث وطبيعة عيسى (كله إله أم كله بشر أم مركب). والله حكمٌ عدل متصف بالكمال المطلق، سوف يثيب أو يعاقب كلاً منا بحسب عقيدتنا واستقامتنا. لقد وجدت تعاليم الإسلام تضع كل شيء في إطاره الصحيح، وتلبي حاجة قلبي وعقلي. إنها تعاليم الفطرة. ليس فيها غموض. قد كنت أبحثُ عنها. لقد وجدت مكاناً تتحقق فيه الراحة لعقيدتي.

● كنت في الكلية أدرس علم النفس وعلم الاجتماع. فشعرت بحاجتي إلى الرجوع إلى الدين برغم أنني لا أتفق مع المسيحية في أمور كثيرة. ولا سيما في الطريقة التي عُرضت بها عليّ. وبعد أن «تسوقتُ» في مجال الأديان المختلفة مثل الهندوسية والبوذية، انخرطتُ في دراسات دينية بالكلية، ودرستُ مجموع ما كتب عن العهد القديم. ومن الأشياء التي خطرت لي هي العودة إلى دراسة جذور

المسيحية. وكانت المسيحية في مرحلتها الأولى على ما يرام إلا أن تغييراً حدث بها إلى درجة أن المرأة صارت غير مقبولة. فضلاً عن تغييرات أخرى. وأثناء قراءتي للنصوص، عثرت على أشياء لم يحدثنا عنها القسس في كنيستنا أبداً. ولقد صدمني هذا. وجعلني أبدأ من جديد في سؤال الكتاب المقدس Bible.

أهداني زوجي نسخة من القرآن الكريم كهدية زواجنا. فوضعته على الرف طوال الوقت الذي كنت أتابع فيه دراساتي الدينية. وبعد ذلك سافرنا إلى سوريا لزيارة العائلة. لم أكن أتحدث لغتهم، مما أتاح لي متسعاً كبيراً من الوقت أنفقته في قراءة كل شيء. وأثناء قراءاتي كنت أبحث عن الأشياء التي كانت تبدو لي غير صحيحة أو كانت تمثل مشاكل في نظري. وعثرت على أشياء في الترجمة الإنجليزية ضايقتني مثل «Lightly beat your wife» (اضرب زوجتك ضرباً خفيفاً). فسألت زوجي: «كيف يمكنك أن تؤمن بهذا؟» فقال لي: «لا.. في النص العربي ليس هذا كذلك». وأخذ يشرح لي من الأصل العربي. واطلعت على كل شيء ولم أستطع أن أجد شيئاً به علة.. وقلتُ في نفسي: «حسناً.. هذا أحسن من أي شيء رأيته من قبل». واعتنقت الإسلام عام ١٩٨٨.

● كنتُ من أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (Roman Catholic). وكنت أبحث في دراسات إفريقية أمريكية كجزء من عملي في رسالة عن العلوم الاجتماعية. وبعد أن قرأتُ (السيرة الذاتية لمالكولم إكس) (The Autobiography of Malcolm X) شعرت بانجذاب نحو فهم القوة التي كانت وراء تطور (الأخ ملكولم) (Brother Malcolm) بعد أدائه الحج وعودته إلى الولايات المتحدة ليقول إن «العنصرية ليست من الإسلام». وما أن بدأتُ أقرأ، حتى شعرتُ أن نوراً يرشدني إلى دراسة دين آخر، فدرست مصادفة لمدة ثلاثة شهور ثم درست بكثافة ثلاثة شهور أخرى. وعندئذ أسلمت قبل أن أخطو خطوة نحو مسجد لأول مرة في ٢٩ مايو ١٩٩٣. وفي ٣٠ مايو ١٩٩٣ نطقتُ بالشهادة بالمسجد أمام شهود.

لم يكن التغيير محض اختيار بالنسبة لي وإنما كان يمثل العودة إلى فطرتي،

لقد أجاب الإسلام على كل الأسئلة التي كانت عندي والتي لم تكن. إنني أحب الإسلام. وأحب فكرة «الأمة». الحمد لله أن رآني أهلاً للاختبار.

البحث من أجل ملء الفراغ الروحي

كثيرات من المشتركات كن يبحثن عن شيء ما في المجال الروحاني لملء الفراغ في حياتهن. ومن خلال هذا الانفتاح شعرن بالانجذاب نحو الإسلام. هذه الحاجة واضحة وجلية في معظم ما كتبت المشتركات في وصف تجربتهن في التحول إلى الإسلام. وربما كان وصولهن إلى نقطة التحول هذه من جراء مواقف متنوعة. إلا أن أغلبهن كن متسمات بنزعة التقبل. بسبب حاجتهن الداخلية، وبسبب الإقناع الرقيق الآتي من جانب الشخص المسلم أو من المرجع العلمي، الذي مس قلوبهن وأرواحهن.

● تزوجتُ من شخص لم يكن مسيحياً. وكلانا لم يكن يمارس أي دين. وكنت حتى ذلك الحين أظن أني مسيحية، مجرد ظن. وكنت لا زلت أؤمن بالله وبأنه خلق الأرض. غير أنني لم أكن متأكدة من المعتقدات الأخرى التي تعلمتها في صغري.

وبعد عام من طلاقي في ١٩٩٠، انطلقتُ أفكر فيما كنت أحتاج إليه، وفيما كنت أعتقد. وفي بداية ١٩٩١ بدأت مراجعة الكتب التي في المكتبة العامة وأقرأ عن الإسلام ببطء، بينما كنت أمارس حياتي كما كنت أفعل في الماضي. وفي خريف ١٩٩٢ قررت أن أفعل شيئاً بشأن الإسلام. إما أن آخذ دراسته جدية، وإما أن أصرف النظر عنه. ووجدت كثيرات من الأخوات المسلمات الأمريكيات في منهاتن Manhattan على بعد عشرين ميلاً من المدينة الصغيرة جداً التي كنت أقطنها. درستُ معهن وتعلمتُ الممارسة العملية لما كنت قرأته في العام ونصف العام الماضيين. ونطقتُ بالشهادة في ديسمبر ١٩٩٢.

● بدأت نضالي منذ عدة سنوات مضت مع البحث عن هويتي الذاتية.

وكان يصاحب نشأتي في أمريكا كسوداء تحديات ذات مغزى بالنسبة لي في الستينات والسبعينات (١٩٦٠ و ١٩٧٠). وبعد تحالفي مع بعض القضايا العنصرية، ومع شعوري بالضغوط التي مورست من أجل الدمج المبكر بالمسيسبي وتكساس، بدأت أتساءل عن «دوري» في الحياة كامرأة سوداء.

كنتُ ناجحة في مهنتي. ولكن حياتي الخاصة كانت سيئة: زواج فاشل، علاقات هزيلة مع الأهل والأقارب، غير راضية عن الكنيسة وعن الله.. كل هذا دعاني إلى أن أتسائل من أنا، ولماذا.. وماذا يمكن عمله لتحسين العلاقات مع كل هؤلاء ومع العالم بصفة عامة؟

بدأت أبحث عن الإجابة بالتنقيب في تاريخ السود. وذهلت عندما وجدت أن معظم الشعب الأفريقي بأمريكا جاء من دول إسلامية. وأخيراً قابلت بعض المسلمين السنيين الذين أمدوني بمعلومات مثيرة جداً (للخشية والإعجاب) عن الجنة والنار مست شغاف قلبي الصوفي. كنت أدرّس الخطابة والتمثيل بمدرسة كاثوليكية ثانوية بواشنطن في ذلك الوقت.

أسلمتُ عام ١٩٧٤. وطُلب مني الاستقالة في نهاية السنة لأن كثيراً من الطلبة اعتنقوا الإسلام.

ألقى الإسلام برداً وسلاماً في نفسي. وعاونني على أن أجد الله دون كل الاختناقات ومشاعر الذنب وأنا نصرانية. لقد كنتُ دائماً أحب الله، وكان علمي بأنني أستطيع أن أتحدث مباشرة مع الله من أمتع الأشياء.

● لقد اتصلت بالإسلام وأنا في سن الرابعة عشر، إلا أنه بسبب المضايقات العائلية لم أتمكن من أن أتعلمه أو أمارسه. وبعد أن غادرت منزل عائلتي للذهاب إلى الكلية، تحقق لي حرية متابعة الدين الإسلامي. وكان أكبر التغييرات التي كان عليّ أن أواجهها (إلى جانب تغيير الملبس والمأكل.. إلخ) هي أن أبتعد بعض الشيء عن عائلتي وعن أصدقائي القدامى. ولقد فعلت ذلك بقصد

حماية نفسي حتى أزداد قوة في ديني دون مشاغل. وكان شعوري بالخسارة قليلاً لأني ملأت الفراغ بأصدقاء مسلمين جدد وفيما بعد بزوجي.

الإحساس بسلطان القرآن الكريم

كثيراً من المشتركات عبرن عن شعور الاحترام والحب المتزايد نحو القرآن الكريم. الذي يعتبر كلام الله الحرفي وآخر وحي إلهي. ولقد كان القرآن الكريم بالنسبة لبعض المشتركات جزءاً هاماً في تجربة اعتناقهن الإسلام.

● بدأ تحولي إلى الإسلام نتيجة تحدي من جانب أحد المسلمين بأن أقرأ القرآن الكريم من أجل عقد مناظرة عن مكانة المرأة في الإسلام. وقمت بدور المرأة المسلمة المضطهدة التي في مركز أسوأ من وضع المرأة المسيحية. كنت من حيث الاسم مسيحية، ونشأت في وسط كاثوليكي. غير أني لم أكن أمارس الدين. وكنت مستاءة من أن أسمي نفسي مسيحية لولا أني لم أكن أرغب في أن أبدو أكثر تمرداً في نظر عائلتي الموسعة (كانت عائلتي أيضاً مسيحية بالاسم وليس في «الحقيقة»).

أسرتني قراءة القرآن الكريم والأحاديث النبوية. لقد مررت بتجربة غريبة. حيث أمضيت الأسبوع كله في قراءة القرآن الكريم. لم أكن أستطيع أن أنام وكنت أتقلب في فراشي طوال الليل، وكنت أتصبب عرقاً كالمحمومة. وانتابتني أحلام غريبة ومثيرة عن موضوعات دينية. وعندما كنت أستيقظ كان الشيء الوحيد الذي كنت أريده هو الاستمرار في قراءة القرآن الكريم. حتى إني أهملت مذاكرتي لامتحاناتي النهائية التي عقدت في نفس الفترة.

● بدأت حلقة دراسية عن تاريخ الشرق الأوسط التي غاصت بي في دراسة الإسلام. وعندما قرأ الأستاذ آيات من القرآن الكريم ليوضح مدى قوته «كأداة» في نشر الإسلام في العالم، طرب له قلبي. وعلمت أنني وجدت «الحقيقة». لقد كنت دائمة البحث عن الله منذ بداية الثمانينات. وعندئذ أدركت أنني سوف أكون

مسلمة يوماً ما. وبعد انتهاء الدراسة واصلت بحثي ودراستي للإسلام. واشتريت ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم وكنت أقرؤه يومياً. كنت أعيش مع عائلتي ولهذا كنت أخفي كل ذلك عنها. وكنت أجتمعُ كثيراً بصديقاتي المسلمات الجدد. وبدأ أسلوب حياتي يتغير تغييراً شاملاً.

اتخذ تحولي إلى الإسلام طريقاً مطولاً. لقد تركت المسيحية منذ أن كنتُ في الصف قبل الأخير من المرحلة الثانوية. . نشأت منهجية Methodist . وكان والدي كاهناً في وقت ما، وكان متشدداً إلى حد ما في طفولتي، ترك والداي الكنيسة. فاتخذتْ أمي طريقها مع American Indian Lakota ، بينما والدي ترك الكنيسة فقط. لقد بحثتُ عدداً من العقائد ولم أنجذب إلى شيء منها. وكنت نشأت على أن أنظر إلى الثقافات الأخرى من منطلق الفهم ومحاولة الابتعاد عن ثقافتي لإمكان معرفة رؤية الآخرين. ولقد أثارت الثورة الإيرانية عندي كثيراً من الأسئلة. فقررت أن أدرس المزيد عن الشعب والثقافة الإيرانية. فبدأت أقرأ تاريخ إيران مما أفضى بي إلى تاريخ الإسلام. وهو مجال لم أكن قد طرقته في المدرسة. وهداني ذلك إلى قراءة القرآن الكريم. ثم تعرضتُ لأزمة عاطفية عندما انقطعت علاقتي (بعربي)، ووجدتُ نفسي أعودُ إلى القرآن الكريم. وشعرتُ بحاجتي إلى الاعتماد على شيء ما غير الناس. كانت أمي متوفاة. . وعائلتي بعيدة. وكنت لا أدري إلى مَنْ من الناس أتوجه أو فيمن أثق. ولقد مس القرآن الكريم فيّ وتراً حساساً. واتصلت بمجموعة دراسية من السيدات (المسلمات). وكنّ لي خير عون وخير معلم. لقد أحببت في الإسلام بصفة خاصة الأساس المنطقي في تعاليمه. واستغرق إسلامي عاماً إلى أن نطقت بالشهادة.

هذا القرآن الكريم الذي يجلّه المسلمون إجلالاً عظيماً كآخر وحي من كلام الله، وآخر هداية للإنسانية ـ قد أثر في هذه السيدات وكأنه نداء إلى المؤمنين بأن يجيئوا ويأن يسلموا أنفسهم إلى ما هو مقدس ورباني. ولقد استجبن بهمة وانفعال إلى التعاليم الإسلامية.

العثور في الإسلام على إجابة الأسئلة

حاولتْ بعض السيدات إثبات صحة المسيحية لأزواجهن المسلمين. وبحثن عن مساعدة من جانب رؤساء الكنيسة ولكن خابت محاولتهن. ولقد كافحت بعض النسوة لكي لا يصرفن النظر عن المسيحية برغم شعورهن بأنهن «مسلمات». وظلت عدة أسئلة دينية بدون حل في نظرهن. بينما كان لدى الإسلام «الإجابة». وكانت هناك بلبلة في اللاهوت المسيحي. ففي الإسلام ليس هناك سوى إله واحد. فكيف يمكن أن يكون عيسى أيضاً إلهاً؟ هكذا كان يسأل المسلمون.

والكتاب المقدس Bible وإن كان في نظر الكثير من المسيحيين كلام الله الحرفي كان محلاً للشك. ويبرز المسلمون التغييرات الكثيرة - على مر القرون التي طرأت على العديد من المخطوطات التي يتكّون منها الكتاب المقدس. وبأنه كتب بالإلهام بعد عدة سنوات من الأحداث التي وقعت. ويشيرون إلى ما يشعرون بأنه «متناقضات» في ذات الكتاب المقدس.

والمسلمون متمكنون في فهم عقيدتهم، وفي الغالب قادرون على ملء الفراغ لدى الأشخاص الحائرين الذين يتوقون إلى الله، بالإجابة على أسئلتهم، وبإرشادهم إلى ما ينبغي عمله لتحقيق السلام لهم. وتتضح درجات متفاوتة من عدم الرضا مع اللاهوت المسيحي في كثير من قصص هذه السيدات. وبعض هذه المشاكل تتمركز في مفاهيم الثالوث والخطيئة الأصلية وعيسى كإله أو كابن لله. وكانت خيبة الأمل في بعض هذه المفاهيم من الأسباب التي ساعدت على فتح الباب لمفاهيم دينية «جديدة».

● بعد إنجاب ابنتنا الثانية قررتُ العودة إلى الكنيسة. كنت مفعمة بالحماسة، وانطلقت أغني وأقرأ الكتاب المقدس وأقول لزوجي أن عليه العودة إلى الله. ومع بعض الممانعة ذهب معي ومع ابنتنا عدة مرات.

وذات يوم قال لي: «إنني لن أستطيع أن أذهب بعد ذلك. ولا أريدك أن تصطحبي ابنتنا معك». ووقعت مشاجرة كبيرة بيننا، وكدنا نصل إلى درجة

الانفصال. ثم توصلنا إلى قرار بأن نطلع على كلتا الديانتين. فإذا استطعت أن أقنع زوجي بالمسيحية فسوف يتحول إلى النصرانية. وفي نفس الوقت أقوم أنا بدراسة الإسلام مرة ثانية (وكنت قد طلبت من زوجي بعد سنتين من زواجنا أن يشرح لي الإسلام غير أنه لم يكن نشطاً وتبدد اهتمامي بسرعة).

وبدأت أطرح كماً من الأسئلة على الكهنة واللاهوتيين وكبار السادة في هذا المجال لمساعدتي في إثبات صحة المسيحية إلى زوجي. كنت أفتقد ذلك بشكل سيىء. وبكيت أمام كثير منهم لكي يساعدوني، إلا أن أغلبهم قال لي: «آسف.. لا أعلم، أو سوف أكتب إليك» غير أنني لم أسمع منهم شيئاً. ومع زيادة الصعوبة في محاولة إثبات صحة المسيحية لتنصير زوجي، كان يزداد تحركي نحو الإسلام بسبب منطق حججه، إلى أن أذعنت أخيراً إلى الإيمان بالله ووحدانيته.

وأخذت الأحداث تتوالى إلى أن أصبحنا أنا وزوجي مسلمين عاملين بالإسلام. ولقد منحني الإسلام راحة البال (Peace of mind) لأنني لم أعد مطالبة بفهم الثالوث أو كيف أن الله «واحد من ثلاثة» أو أن الله مات على الصليب. وبالنسبة لي كان الإسلام يقدم الإجابات الشافية.

● كنت أقول عن نفسي أنني «لا أدرية»[١] (agnostic) وأنا أدرس بالكلية. كنت أظن أنني أؤمن بوجود الله، ولم أكن أريد أن أفعل شيئاً في هذا المجال. وبعد عدة سنوات، كنت على استعداد لأن أعود ثانية وأكون «متدينة». وفي ذلك الوقت قابلت رجلاً من لبنان (الذي صار زوجي بعد ذلك). وانطلق كل منا يدرس مزيداً عن الإسلام. وبعد حوالي ستة شهور اعتنقت الإسلام ثم تزوجنا بعد ذلك بستة شهور. وكانت أصعب الأشياء عندي هي أن أغير فكرتي عن عيسى. ولقد استلزم ذلك مني وقتاً طويلاً حتى تمكنت أن أقول إن عيسى ليس ابن الله دون أن أشعر بأن ذلك كفر. ومع ذلك فقد أيقنت أن العقائد متقاربة في حقيقتها في بعض

(١) أي لا سبيل إلى فهمي للعقائد (المترجم).

الأمور.. كانت مريم عذراء. وكان عيسى نبياً عظيماً. والفرق كان في ألوهية عيسى.

● لم أكن أعلم شيئاً قط عن الإسلام سوى «أن محمداً كان سفاحاً، وأن الإسلام انتشر بحد السيف». كنت أعيش مع زوجي قبل الزواج (ولم يكن يمارس دينه كمسلم) إلا أنه بعد الزواج وبعد أن أبلغ عائلته بزواجنا، كان شرط والد زوجي أن أعتنق الإسلام. فقلت له: إنني لا أستطيع أن أغير ديني من أجل رجل، لأني كنت دائماً قريبة من الله دون أن أعرف طريقاً مباشراً إلى ربي. ولما بدأت أتكلم عما كنت أؤمن به في حقيقة الأمر، عاهدت الله أن أبحث في الإسلام، وطلبت من الله الهداية إليه.

وعلى مر عدة شهور بدأت أتحدث إلى صديق لزوجي كان قد أسلم وكان متواضعاً في ممارسته لدينه حيث وجهت إليه أسئلة كثيرة. وأخفيت هذا الموضوع عن زوجي لأني كنت أريد أن أكون أكثر ما أكون موضوعية. وكانت أصعب العقبات أمامي هي أن أتجاوز الصور النارية التي ترسمنا ونحن نتلظى في جهنم ونحترق، والتي تعلمتُها في كتب وتدريبات مدرسة الأحد. لقد قيل لي كثيراً وكثيراً أنني إذا لم أؤمن بأن عيسى مات من أجل خطاياي، وأنه مخلصي أنا شخصياً، أنني سوف أدخل النار إلى الأبد. غير أن الله أرشدني إلى الطريق الحق. كنت أقرأ كتباً كثيرة عن الإسلام. وكان كل شيء أقرؤه يتجاوب مع ما كنت أشعر به في داخلي. كانت الإجابات كلها متوفرة. وقد لا أكون فهمت كل شيء إلا أن الذي فهمته كان مقبولاً ومعقولاً. اعتنقت الإسلام وشاركت زوجي بعد ٦ شهور في صومي الأول في رمضان بعد أن كان لا يمارس دينه.

فكرة أن عيسى هو الله كما يقول النصارى لم تكن قد أصبحت حقيقة عند كثير من المشتركات. وكان المسلمون قادرين على أن يفندوا هذه العقيدة بالتأكيد على أن وضع أي شيء أو أي شخص على نفس المستوى مع الله هو من أكبر الذنوب. وقد تكون هذه النقطة هي السبب الأساسي للفرقة بين أتباع الديانتين.

ففي نظر المسيحيين إنه لذنب عظيم إنكار أن عيسى جزء من الثالوث، أما في نظر المسلمين فإن من أكبر الذنوب وضع عيسى في مقام الألوهية (وما عيسى في نظرهم سوى نبي موقر وعظيم).

● طلبت من صديقي أن يحضر القداس معي. فقال لي إنه لا يحضر إلى الكنيسة لأنه مسلم. فسألته: «وما المسلم؟» ولم يكن يخطر ببالي أن حياتي على وشك أن تتغير وإلى الأبد بمجرد أن يبدأ في الإجابة على سؤالي. في البداية استمعت بإنصات وتركيز إلا أنه بعد أن وصل في حديثه إلى حيث ينفي فيه ألوهية عيسى حتى أنه أنكر تضحيته من أجلنا على الصليب اعتذرت لهذا الصديق وثرت على نفسي لأنني أضعت كل هذا الوقت حتى فاتني القداس، وأنه علي أن أذهب لأعترف للكاهن[1].

وفي مرة أخرى عاد إلى الحديث عن عقائده. فكان يبدو لي أننا متشابهان أكثر فأكثر، الجنة والنار، الملائكة، واجبنا نحو الغير، الكتب السماوية. كانت «قضية عيسى» فقط هي التي جعلتنا على طرفي نقيض. وزاد على ذلك تعقيداً أنه على الرغمِ من كل شيء لاحظت أنني مغرمة بهذا الصديق.

لم تكن القضية الخلافية هي الإسلام. وإنما كانت المسيحية. لقد كنت في حالة «توما الكثير الشكوك» في كل شيء، وكان يغمرني الشعور بالذنب. وبدأت أبحث عن كل نصيحة لكي أتحرر من هذا الشك الشيطاني. وعندئذٍ وقعت ثلاث أحداث في ظرف أسبوع واحد كانت السبب في أني قررت أني أهجر المسيحية بكل ما فيها.

الحادثة الأولى، أنني ذهبت إلى راهبة أثق بها ثقة كبيرة وفتحت لها قلبي. فأجابتني بحنو ورقة ثم سلمتني نسخة من القرآن الكريم عند مغادرتي. كنت مضطربة غاية الاضطراب. والثانية أني ذهبت إلى مدرسي في الدين وقد كان

---

(١) (ليغفر لها ما أذنبت).. وهو الغرض من الاعتراف (المترجم).

علمانياً. وكان كلما تكلم كلما زاد ارتباكي حتى قلت له في النهاية: «انظر إنني أريد منك فقط أن تقول لي بلا شك وبكل الإيمان إن عيسى ابن الله». لم ينظر إلي وهو يقول: «لا أستطيع أن أقول لك هذا». وتضاعف غضبي. فما هو الخطأ عند هؤلاء الناس الذي يجعلهم يرفضون أن يعطوني الإجابات التي كنت أبحث عنها؟

وأخيراً عدت إلى الله. فعلى الأقل كنت واثقة أنه ما يزال هنا من أجلي. وأنه سوف يساعدني. ودعوت الله أن يفتح عقلي وقلبي، وأن يرشدني إلى الإجابة التي أبحث عنها. واستخدمت طريقة كنت استعملتها مرات كثيرة من قبل. فقد كنت أدعو الله بالشيء المهم الذي في قلبي ثم أفتح الكتاب المقدس Bible عشوائياً على أية صفحة، فكنت أجد الإجابة. وفعلت ذلك ثم فتحت الكتاب المقدس، فانفتح على محاكمة عيسى أمام بيلاطس. وكان بيلاطس يحاول أن يجعل عيسى ينطق بشيء يدينه حتى يستطيع بيلاطس أن يخفف عن نفسه من ذنب إصدار الحكم على عيسى بالإعدام استجابة لطلب الشعب. فسأله بيلاطس: «هل أنت ابن الله؟» فأجابه عيسى كما ذكر متى ومرقص ولوقا ويوحنا: «أنت الذي قلت». وفجأة شعرت بالسلام.

● عندما كنت في الثامنة عشر من عمري ذهبت إلى كلية نصرانية دراستها سنتان. كانت هذه الكلية هي المكان الذي اتصلت فيه لأول مرة بالمسلمين. فقد كان بالكلية عدد كبير منهم. وكانت فكرة وجود مجموعة من شعب آخر لا أعلم عنه شيئاً، ومنهم أناس من «الأرض المقدسة»، كانت الفكرة مثيرة عندي. وتابعت حلقة دراسية بعنوان «الديانات العالمية الحية» (The World's Living Religions) وتعلمت القليل عن الإسلام. وقابلت زوج المستقبل هناك وأنا في التاسعة عشر من عمري. وتزوجته بعد أربعة شهور.

وسافرنا بعيداً للذهاب إلى الجامعة. وهناك قابلت سيدة أمريكية مسلمة ترتدي الحجاب. . أعطتني الكتب والكتيبات عن الإسلام. قرأت بعضاً منها.

وتابعت بعض المناظرات بين المسلمين والمسيحيين حول ألوهية عيسى. ومدى صحة الكتاب المقدس Bible.

كانت المرة الأولى التي أسمع فيها أن النصارى (بما فيهم الكاثوليك) يعتقدون أن المسيح هو الله، وأن الكتاب المقدس (Bible) طرأ عليه تغيير بمعرفة البشر. وأن أغلبه من كلام البشر وليس كلام الله. لقد صُدمتُ بسماع ذلك. وعندئذٍ أيقنت أنني لم أعد «واحدة منهم».

أمور مألوفة في الإسلام

التطابق التام في الإسلام في قضية الأنبياء، وفي التأكيد على الله باعتبار أنه ذات الإله المعبود من النصارى واليهود، وفي الاعتراف بعيسى كمعلم وكنبي عظيم، وفي ربط جذور الأنبياء بإبراهيم.. كل هذا يجعل من المألوف أن محمداً ﷺ جاء يحمل الكلمة الأخيرة، لتجديد تعامل الناس المباشر مع وحي الله على الصراط المستقيم.

هذه البساطة والألفة قد تكون من أسباب سهولة الانتقال بالنسبة لبعض السيدات الأمريكيات عندما تم شرح العقائد الإسلامية لهن.

● بعد مقابلتي لزوجي تقاسمنا العقائد الدينية التي كانت متماثلة. وانطلقت أتكشف مشاعري الدينية بعد أن سألني عن اعتقادي في كون عيسى إله، وشرح لي النبوة ومحمد ﷺ.. لقد اتفقت مع هذه التفسيرات الإسلامية. وبدأت أدرس باهتمام ما يتعلق بالإسلام. وبعد ستة شهور من زواجنا بدأت أصلي. وبعد ستة شهور أخرى، صمت رمضان. وعند هذه النقطة وجدت أن الإسلام يتجاوب مع عقيدتي. لم أكن أستطيع بعد ذلك أن أنفي إيماني بالإسلام لمجرد تلافي الحرج في مشاعر الناس.

● لما قابلت الرجل الذي سوف يكون زوجي علمت أنه مسلم.. لقد ذُعِرتُ.. وبدأتُ أطرح جميع الأسئلة التي كانت سبب خوفي. والتحقت بحلقة

دراسية بعنوان «الإسلام والمتغيرات الاجتماعية» (Islam and social changes) وتعلمت الكثير عن الإسلام. وكلما ازداد تعمقي في الدراسة، ازدادت الأسئلة التي تراودني، وزاد خوفي. غير أن هذا الخوف كان يختلف عن الخوف من المجهول، إذ كان هو خوف اكتشافي لذاتي. لقد وجدت أنني طوال عمري كنتُ أشارك العقائد التي كان الإسلام يعلمها دون أن أعرف لهذه العقائد اسماً محدداً. وهذا القرآن الكريم وزوجي ساعداني على أن أوقن أنني لعديد من سنوات مضت كنتُ أحيا حياة مسلمة دون أن أدري (لم يكن تعلمي أركان الإسلام الخمس هو بداية ممارستي للإسلام). ولهذا كنتُ إذا سألني الناس عن بداية إسلامي لم أكن أستطيع إجابتهم. إلا أني أظن أنها منذ أحد عشر عاماً. وإذا سألوني متى اعتنقت الإسلام كنت أستطيع أن أقول في عام ١٩٩٢. في الواقع، كان زوجي يعرف قبل إسلامي، أنني كنت مسلمة وتركني حتى أتوصل إلى اكتشاف ذلك بنفسي.

وهكذا كانت بداية رحلة الإيمان بالنسبة لهذه السيدات مما كان له أثر على من كان حولهن: العائلات التي نشأن فيها، أصدقائهن، زملائهن في العمل والمدرسة. والأهم هو أن هذا التغيير لم يحدث فحسب في اتجاه وانسياب حياتهن ذاتها، ولا في مجرد المعنى الديني وحده. وإنما كان في كل وجه من وجوه وجودهن.

* * *

٤ ــ التخلي عن الطريق القديم..

رد فعل الأقارب

جلسنا أنا وجودي وحدنا في غرفة العائلة مساء يوم عيد الشكر. وفهمتُ مؤخراً أن عليّ أن أنصت. وكنتُ شديدة الاضطراب مما قد لا يجعلني منطقية معها. فأدرت جهاز التسجيل لأسجل حديثنا، حتى تتاح لي الفرصة لاحقاً لكي أفحص ما تقوله لي جودي. والمقتطفات التالية منقولة من هذا الحديث المسجل.

بدأت حديثها قائلة: «قررتُ في شهر يوليو الماضي أن أتحول إلى الإسلام. ولم يكن ذلك صعباً منذ البداية. وفي الشهر الماضي عزمت على ارتداء الحجاب. وأنا أرتديه يومياً وبناءً على رغبتي الشخصية. كان كل هذا بمحض إرادتي.. ولقد سعد رضا بذلك، لكنه لم يطلبه مني. وأنا حريصة على تأكيد ذلك لك، وأن أتركك تسألين ما تريدين. لقد اخترت ذلك لنفسي. وسوف أعمل إلى آخر لحظة على أن نبقى معاً، إن كنت تريدين ذلك.. هذا كل ما أردت قوله.. وأنا مستعدة لتحمل أي تعليقات قاسية أو أي فعل مهما كان. ولن يكون من السهل علي أن أوضع في جانب «الخطأ».. ورغم أني غير ميالة لأقول من فينا في جانب الخطأ، أكتفي بالقول أن اختيارنا مختلف. ولدي أشياء أخرى أقولها ولكني أفضل أن أستمع إليك أولاً».

فرددت عليها بقولي: «إنني متألمة جداً بسبب ذلك. فقد سبق أن طلبتُ منك أشياء كنت أريدك أن تفعليها وهي أن نستمع عن المسيحية إلى رأي ناضج.. من شخص يعرف ما يقوله حق المعرفة. وأشعر أنك لم تبذلي أي جهد لإنجاز ما طلبته. وأنا في غاية الإحباط من عدم متابعتك لهذا حتى النهاية. ومنذ وقت طويل وأنا غاضبة بشدة.. وخلال الشهور القليلة الماضية كنتِ كأنك تموتين أو تنفلتين

بعيداً عنا.. كأننا في حزن متواصل».

قالت: «يا أمي.. إنه اختياري الشخصي.. وليس رفضاً لكما.. ولا أريد أن أجرحكما. إنما أشعر أني أعبر عن ذاتي من خلال ذلك.. لقد قطعت طريقاً طويلاً من حيث كنت في الماضي» قلت: «وماذا تنتظرين منا كآباء؟» قالت: «أنا لا أعرف إن كنت أنتظر منكما شيئاً. ربما لأني لا أعيش بالقرب منكما. ولا أعرف إلى أي مدى ستطول حياتي. وربما كان كل ذلك مجرد حلم. ولكني أشعر أن هناك أشياء عليّ إنجازها في الإسلام. ولقد سألت غيري من الناس عما إذا كان لديهم نفس الشعور فقالوا: لا. إن لديهم آمالاً وأحلاماً. أما أنا فإنه أكثر ما يكون شعوراً بأن أمامي طريقاً علي أن أسير فيه. قد تعترضني الصعوبات. ولهذا علي أن أكون قوية، وإذا ما كنت قوية بالقدر الكافي سوف أنجز ما أريد».

فسألتها: «وكيف نتكيف نحن مع حياتك يا جودي..؟» ـ قالت: «أراكما وكأنكما بعيدان جداً.. وأراكما كما لو أنكما عوائق عالية تعترض هويتي».

قلت: «وأنا أشعر كما تقولين وإن ما تحصلت عليه منا، وما أعطيناه لك ـ ليس جيداً بالقدر الكافي. وإنك تقومين بإلقاء كل هذا بعيداً، وبرفض أي شيء يخصنا.. إنك تحطمين كل روابطنا كما لو أن الماضي لا يهمك في شيء».

قالت: «يا أمي.. هذا الشعور عندي منذ البداية.. منذ كنت في معسكر الكنيسة الشبابي وأنا في سن المراهقة. كانوا يتكلمون عن الاتباع. وكيف يتخلصون من كل شيء ويتبعون عيسى. ومع أن الأشياء المادية لم تكن على قدر من الأهمية فقد تركوا حتى الأهل. وبدأت أفكر وقتها أن لدي أشياء كثيرة لا يمكنني الاستغناء عنها. فلم أكن لأتخلى عن تسجيلاتي التي كنت أحب سماعها.. كنت امتحن ضميري في هذه النقطة.. لا.. لا أستطيع أن أعطي الكثير. كان لا بد أن أكون قوية كي أتخلى عنها ولكي أتبع عيسى على هذا النحو.. لا.. لم يكن في إمكاني ذلك وقتها. ولهذا كنت حزينة. حتى جاء الوقت الذي أيقنت فيه لأول مرة في حياتي أنني لم أعد أهتم بالماديات، وأن

هناك أموراً أخرى أهم: مثل الحياة الروحية وصلة القربى».

واستمر حديثنا وأنبتها بشدة عن التغيير الهائل الذي حدث بارتدائها الحجاب. وأبديت ملاحظات مهينة عن ملابسها القذرة وعن الوشاح. واتهمتها مراراً وتكراراً بأنها ترفضنا.

ولقد حاولت هي أيضاً مراراً أن تؤكد: «إنني لا أرفضكما.. ولكنني أتصرف بطريقة مختلفة. أنت وأبي مثلي الأعلى.. أحب طريقتكما في مساعدة الناس وفي نصح من يحتاج.. لقد اخترتُ طريقاً مغايراً. وكل ما يمكنني أن أفعل هو أن أساعدكما على التعامل مع طريقتي».

وأخيراً فقدتُ السيطرة على أعصابي وانفجرتُ أصرخ وأقول: «إنني محطمة تماماً. لم أتصور يوماً مقاومتي على هذا النحو. لقد بذلت جهداً جباراً حتى أتكيف وأقبل كل هذا.. ولم أعد أفعل. كم تألمت في هذه الأيام الأخيرة. إنني لا أعرف ماذا أفعل. لقد ظللت مذهولة ونحن نسير في الخطأ. غير أن بعض الأشياء التي تفعلين غريبة.. إنني لا أريد أن أفقدك.. وإن كنتُ أريد أن أبعدك عني إلى أقصى حد. ولولا أنني حريصة عليك بشدة، لرغبتُ ألا أراك بعد ذلك أبداً. إنني أكره ذلك.. ولكنني سوف أظل أحرص على تعاملنا معاً إلى آخر لحظة».

والتصقنا ببعضنا البعض وأخذنا نبكي وقتاً طويلاً. ثم أضافت جودي: «رضا يحبكما ويحترمكما بشدة أنت وأبي. لقد اخترنا طريقاً مختلفاً. ونعتقد أنه صحيح. ونراكما طيبيْن وقوييْن. ونأمل أن ينجح زواجنا كما نجح زواجكما. وأن نساعد الناس كما تفعلان. إننا نعيش ببساطة وأمامنا معارك كثيرة على قدر ما تستطيع أن تتحمله صحتنا ودراستنا وعملنا. وهذا يتطلب منا الاتحاد والتساند.. إننا نريد أن نتعامل معاً حتى آخر لحظة».

وفي النهاية لم يبق ما يمكن أن نقوله. وذهبتُ إلى غرفتي وأخذتُ أتنهد معظم الليل. لم يحدث في حياتي أن عانيت مثل هذا الحزن كل هذا الوقت. كان

ألمي من الشدة بحيث جعلني أشعر كأن شيئاً عضوياً يُنتَزع مني. وفي ظهر اليوم التالي، جثوت عند نافذة غرفة نومي ودعوت «يا رب المسيحيين والمسلمين والكون. . ماذا أفعل؟ كيف أستطيع أن أتحمل كل هذا؟». وما أن جلستُ انتظر العون حتى سمعت موسيقى يعزفها أولادي بالغرفة المجاورة، كانت الأغنية تقول: «بالأمس جميع مشاكلي كانت تبدو بعيدة جداً/ كان الحب لعبة سهلة لمن يلعبها/ كم كنت أشتاق إلي يوم أمس حيث كنت أدعو «يا رب هذا هو ما أشعر به: إنني أشتاق إلى يوم أمس، كانت الحياة أسهل بكثير مع جودي».

ثم غنوا أغنية أخرى تقول: «هاي جودي Jude لا تكوني حزينة/ خذي الأغنية الحزينة واجعليها أحسن». لقد هزتني الأغنية لأني كنت فعلاً أريد أن أجعل من الأغنية الحزينة أغنية مرحة. وغمرني شعور إيجابي. كانت مرحلة التعافي قد بدأت. ولما حان وقت رحيل جودي ورضا للعودة إلى أركنساس، كنت قادرة على تطويقهما بذراعي وأقول: «إنني أحرص على أن نعمل معاً حتى آخر لحظة. أرجو مساعدتي. إنني أحبكما كثيراً جداً. وأريد أن تعود ابنتي إلي. . سوف أتعلم كيف أتقبل اختياركما». لم أكن أستطيع المجازفة بفقدان ابنتي وزوجها. إنني علي استعداد لعمل أي شيء لإعادة العلاقات إلى أحسن ما يكون.

* * *

القرارات الدينية في الغالب من أشد أنواع الصدمات كثافة في الحياة العائلية. . فالانفعال يشتد بسرعة، ورد الفعل يؤدي إلى تغييرات قد تتسبب في حدوث انفصال في العائلات. والرحلة في اتجاه القبول ـ على فرض أن ذلك ممكن ـ قد تكون طويلة وشاقة.

وروايات المشتركات عن ردود الفعل المبدئية من العائلة تعكس كل الدرجات ابتداءً من القبول حتى القطيعة والرفض: ٤٦٪ كانت ردود فعل الآباء في البداية سلبية مع ممارسة الضغط. بينما ٢٣٪ كانت بالقبول بطريقة (okay manner) (الموافقة ببساطة) ودون كثير من الضغط أو الغضب. ١٤٪ تلقى فيها الآباء

الموقف بالقبول والدعم الشديدين. وقالت بعض العائلات إن الآباء ليس لهم شأن بالقبول أو الرفض أو التدخل فيما يختاره الأبناء البالغين لأنفسهم.

ومع مرور الزمن وحيث كان الشفاء مطلوباً بدأ في غالبية العائلات، كما لاحظت ذلك أكثر المشتركات ـ تحسناً كبيراً في علاقاتهن، وقبولاً من أفراد العائلة برغم أن قليلاً منهن انقطعت معهن العلاقات. وأحياناً كان بعد المسافة سبباً في وجود مشاركة إيجابية في دعم العلاقات لأن عدم القرب يغني عن التعامل والاتصال اليومي. بينما في حالات أخرى أبقى بعد المسافة العلاقات مجمدة على ما هي عليه دون التحرك نحو الانفراج.

كتبت المشتركات عن مختلف ردود الفعل والمراحل التي اتخذتها العائلات في مواجهة قرار ابنتها بالإسلام.

قبول الاختيار

وبعض العائلات كانت متفتحة ومتقبلة لاختيار نجلتها بالتحول، وبخاصة بعد فترة من القلق، وبعد أن شعر الأهل أن بناتهم سيكن على خير ما يرام.

● بعد اعتناقي الإسلام، عرضت نفسي على أهلي وأنا ألبس الحجاب، وشرحت لهم كل شيء بنفسي. ولم أكن لأقلق كثيراً بشأن عائلتي. فأنا أعلم أنهم سيوافقون على ما يسعدني. كان لي شقيق أعلم أنه سوف يضايقني ويطالبني بخلع الحجاب. كان من السهل علي أن أكون مسلمة لأني كنت أعلم أنني أستطيع أن أعتمد على أن أكون مسلمة لأني كنت أعلم أنني أستطيع أن أعتمد على عائلتي لا أن أدير لها ظهري. ولقد شرحت لهم بحرية وأجبت على أسئلتهم، وأعطيت أبي القرآن الكريم ليقرأه.

● اختياري للإسلام لم يؤثر على علاقتي بعائلتي.. أمي مسرورة بأني أصبحت أكثر استمساكاً بالدين. إنها سعيدة من أجلي. إنها لا تعلم الكثير عن الدين الإسلامي. لكنها تعرف أني أؤمن بالله الواحد. ولهذا قبلت تحولي. أنا لا

أعيش قريبة من عائلتي.

● حين دخلت الإسلام وقلت لآبائي، كان والدي متفهماً ،ومؤيداً. بينما أمي كانت خائفة. وأعتقد أن خوفها كان يرجع إلى عدة عوامل:

١ ـ حبها لي ورغبتها في أن يتحقق لي الأحسن.

٢ ـ الأفكار الشائعة عن مكانة المرأة في الإسلام.

٣ ـ رحلة إلى بيروت كانت قد قامت بها في شبابها.

٤ ـ علاقة جادة كانت لها مع رجل مسلم. وأعتقد أن أمي كانت تريد مني أن أتأكد من كل شيء قبل أن أتخذ قراري. فأغلب الأمهات يطلبن الأحسن لأولادهن ويردن حمايتهم. ونحن جميعاً مطلعون على الموقف العام ضد الإسلام في مجتمع اليوم. وأود أن أؤكد أنه لم يحدث مرة أن تخلت أمي عن تأييدي في قراراتي. كل ما في الأمر أنها أعربت عن مخاوفها. وهو ما كنت أتوقعه من أهلي لما أخبرتهم: أسئلة.. قلق.. تعليقات..

● للأسف لم نتمكن من زيارة أهلي في سويسرا (وإن كان ذلك في خططنا) ولهذا حضروا إلى الولايات المتحدة لما أسلمت وتزوجت. وما أن اطمأنوا أني بخير، وأن زوجي شخصية محبوبة حتى تقبلوا قراري. ومع ذلك كانت الأسئلة كثيرة. وقد يطول الحديث فيما بعد. كل دعائي أن يسلم والدي لأنه كان دائماً مسلماً بقلبه.

● ليس لي عائلة سوى شقيق لم أره منذ زمن بعيد قبل إسلامي وأظن أنه مسرور تماماً بإسلامي لأنه يرى أني أصبحتُ لي أهدافاً أكثر جدية.

● لم أصادف مشاكل هامة مع عائلتي. لقد تقبلوا إسلامي طالما أنها رغبتي. بعضهم يظن أني مجنونة بارتدائي الحجاب، وأن زوجي يتصرف كما لو كان أمريكياً. لم يحدث أبداً أن نشبت بيننا معارك عنيفة. إننا نقضي معاً وقتاً أطول ما يكون بالاتصال الشخصي أو الهاتفي.

●عائلتي متفقة معي. لم تحدث أية مشاكل بيننا لأني مطمئنة البال لمبررات تغيير أسلوب حياتي. لقد راقب آبائي التغيير في تصرفاتي وأنا بالكلية. كنتُ قبل ذلك أعود إلى البيت وشعري مصفف على الطراز الأفريقي، وكانوا يموتون حزناً عليّ. كان طلاقي هو الأول في العائلة. أما إسلامي فقد كان ضمن قائمة (اللاآت) (no- no list) . وبمرور الوقت أيقنوا أنه أصبح لي حياة ملكي.. لقد تمنوا لي الأحسن.. ولم يحدث أن انتقدوني أو انتقدوا الإسلام. وهم سعداء تماماً أنني أؤمن بالله وأني أستمسك بأخلاق وقيم حميدة، وأني أفضلهم على أولادي.

هذه العائلات كانت قادرة على الانسجام مع قرار نجلتهم بمجرد أن اطمأنوا على سلامتها، وأنهم تفهموا إلى حد ما نواياها والتزاماتها. ربما كانت هذه العائلات من الطراز الذي يترك الأمور تسير (to let go) ، ويتركون ابنتهم ترسم لنفسها حدوداً باختيارها سواء أسلمت أم لم تسلم. وليس معنى ذلك انتفاء العلاقات العائلية الطيبة في المستقبل. فالعلاقات العائلية في تقلب وتغير مستديم كالزمن وكمسيرة الحياة.

القبول تحت تحفظات

إن رؤية البنات يتحولن إلى دين آخر يمكن أن يجعل أفراد العائلة يشعرون بأن فجوة عميقة غير مرئية تفصل بينهم، وهذا الشعور بالفرقة ينشأ بين الإخوة والأخوات والأجداد والعمات والأعمام والأصدقاء. بينما يتفاوت مستوى القبول في أفراد العائلة. فالبعض قد يتقبل الأمر بسرعة وعن طيب نفس. بينما غيرهم لا يكون قادراً على الانفتاح أبداً. وقد يضايق الإخوة والأخوات أن يراهم الناس في الطريق العام مع أختهم بملبسها الجديد وغطاء رأسها. وقد لا يدرك الأجداد أن هذه الحفيدة المحبوبة يمكن أن يكون اختيارها على هذا النحو. ومع ذلك فقد يحافظون على صلتهم بها أكثر من غيرهم من أفراد العائلة.

والبعض الآخر من العائلات يخافون على ابنتهم من الذهاب إلى الجحيم بسبب إنكارها للمسيح. ويندفعون عقائدياً إلى التفكير في ابنتهم من خلال فكرة

الخلاص المسيحية. ويكافحون من أجل التوصل إلى مستوى من راحة البال إزاء هذه المشكلة.

● فيما عدا أمي، تقبلت عائلتي إسلامي بطريقة عادية وسهلة، وحتى اليوم لازلت أذكر كيف رفضت أمي قرار إسلامي، وآمل إن شاء الله أن تتقبل يوماً نظام حياتي بالقبول الحسن. وفي ٤ يوليو الماضي كنا في رحلة تحولت إلى نكد بسبب إثارة موضوعات سياسية ومركز التجارة العالمي (World Trade Center)[1] انتهت إلى المسيحية في مواجهة الإسلام. ولقد حسمت الموقف بأن أوضحت لها أنها لو طلبت مني التحول عن الإسلام فلن أراها بعد ذلك أبداً. فرقت أمي ولانت ولكني أشعر أنها ليست جادة.

● عائلتي صغيرة جداً: أخت واحدة. ليست لي صلة بأمي. أبي الذي رباني أنا وأختي التي أنهت دراستها الجامعية ودرست الأديان، ولهذا تقبلت قرار إسلامي ووافقت على زواجي من عربي مسلم.

أما أبي فقد مر بوقت صعب حتى يتقبل ذلك. لم يذهب إلى الكنيسة منذ انقطعت أنا عنها. ولكنه يعتقد أن عليّ أن أتصرف «كأمريكية» وأرتدي الملابس مثل الآخرين، وأحتفل بالكرسماس كغيري. أساساً ألا أكون مختلفة عن غيري. إلا أنه بدأ يوافق على حياتي كمسلمة وأن تنشأ ابنتي على الإسلام.

● تنظر إليّ عائلتي دائماً على أني «غريبة الأطوار». ولذلك عندما حدثتهم هاتفياً عن ديني «الجديد»، كان من توقعاتهم انتظار وقت انصرافي عنه، وبعد عدة سنين، أبدت أمي ملاحظاتها عن مدى التغيير الذي طرأ عليّ.. وتساءلت لماذا لم أبق على الدين الذي نشأتُ عليه؟ (كنا نذهب إلى الكنيسة في عيد الفصح Easter فقط). ثم تقبل أبي وأمي الأمر غير أني أظن أن أمي تتمنى أن أتراجع. وهما لا يعجبهما مكوثي في المنزل بدلاً من العمل، غير أنهما يقدران جهودي في التعليم

(١) حيث وقعت انفجارات على يد إسلاميين (المترجم).

المنزلي (home school) . وأبواي من الطراز الذي لا يحب التدخل في شئون الغير (hands-off) . ولقد تقبلا بسهولة تغيير اسمي الأول (إلى اسم مسلم).

ويبدو أبي أكثر تقبلاً من أمي بل ومؤيداً لي، يعجبه ردائي (الذي يضايق أمي) وقد قرأ بعضاً من كتبي.

● غضب أبواي في مبدأ الأمر فور علمهما بإسلامي. وأظن أنهما كان يأملان أن تكون «مرحلة» ما ألبث أن أتجاوزها. قرأ أبي القرآن الكريم كله. واشتركت أمي في حلقة دراسية في الكنيسة حول الإسلام. وبناءً على ذلك زادت معلوماتهما وأصبحا يشعران أنهما أكثر ارتياحاً معي. لا أظن أبداً إمكان أن يصبحا مسلمين.. ولكني آمل.. أختي مسيحية متزمتة (fundamentalist) ترفض التحدث عن الإسلام. وهي قلقة أني سوف أذهب إلى الجحيم بعد مماتي، وتصلي من أجلي طوال الوقت. ومع ذلك تسود بيننا علاقات طيبة، ومن المتعارف عليه بيننا أنه لا أحد منا يستطيع أن يثير موضوع الدين إلا إذا كان يريد أن يناقش ويقنع.

● علاقتي بأبواي رائعة. إنهما يتفهمان إسلامي. وهما عقلياً متفتحان جداً. أما جدتي فليست سعيدة بإسلامي. لقد أنكرت واقعة أن الجريدة المحلية نشرت عن إسلامي. وقالت: إنها غلطة. فقلت لها: إنها ليست غلطة. وآمل أن تتفهم جدتي يوماً ما مدى رغبتي في الإسلام. الضغط الوحيد عليّ هو من جدتي. وكم آمل أن أنفتح معها بشأن عقيدتي. ليس لدي إشكال مع والداي. والواقع أنني أحب أن أزورهما. والحديث مع جدتي ممتع طالما أنه بعيد عن مناقشة الدين.

● كان والداي قلقين جداً في البداية. والآن وافقا عن كره. فقد غضب أبي بشدة، ولوى ذراعي، وقال عن الحجاب «ألق بهذا الشيء بعيداً.. لأني لا أحب أن يراني أحد معك في الطريق العام» كان هذا عام ١٩٨٣.

آمل أن أظل قريبة منهما. وإن كنت أخطط لأعيش حيث يوجد مسلمون. مما سوف تفصلني عنهما أميال كثيرة. إنني أعلم أن الإسلام ينهى عن قطع صلة الرحم (Severing blood ties) (من أكبر الذنوب المذكورة في القرآن الكريم). حقاً

إنني أحب أمي وإخوتي وأخواتي.

هناك معركة هائلة في توفيق العلاقات وتلمس سبل قبول هذه الابنة التي خرجت عن طريق آبائها، وأصبحت الآن مختلفة. فالهوة اتسعت جداً وتؤثر بدنياً وعاطفياً وروحانياً على العلاقات. وعلى الرغم من مقاومة تغيير البنت لدينها في البداية، حدث قبول تدريجي وأقيمت جسور لرأب الصدع. ولا شك أن التواصل جاء نتيجة شدة حب البنت لعائلتها، وحاجة العائلة إلى أن تظل البنت على علاقة وثيقة بأهلها.

العمل من أجل القبول

ومع أن العائلات يمكن أن تكون قد حدث منها رد فعل بالصدمة والحزن، فقد كان لديهم الرغبة في العمل حتى النهاية من أجل توطيد العلاقة مع ابنتهم. وقد تتحرك هذه الرغبة بفعل أحداث خارجية مثل ميلاد طفل من الزوجين المسلمين أو يكون التوجه نحو القبول والتسليم قد نتج بمرور الزمن، وربما بعد أن يكون الأبوان قد أيقنا أن اختيار ابنتهما لم يكن مرحلة عابرة من حياتها. وأحياناً يجيء التمسك من الابنة أكثر من العائلة. وهذا التغيير الهائل في أسلوب الحياة وفي الدين وفي الملبس وفي التقاليد، قد يجعل الزوج هدفاً سهلاً لبعض العائلات فيلقى عليه باللوم من أجل الابنة. بينما بعض المشتركات تحولن إلى الإسلام وهن ما زلن في كنف الوالدين. كل هذه الظروف تقتضي الكثير من الوقت والجهد والعمل من جانب الطرفين معاً الأهل والابنة لتحقيق مستوى معين من القبول. وهذه العائلات لا زالت تجاهد على طريق القبول.

● عندما أسلمت أبلغتُ عائلتي. ولم يندهشوا لذلك. لقد رأوا أن ذلك لا بد آت من تصرفاتي وما قلته هذا الصيف لما عدت إلى البيت. لقد تقبلوا قراري وعلموا أنه عن إخلاص. وحتى قبل ذلك، كانت عائلتي دائماً تتقبل تصرفاتي وإيماني العميق وإن لم تشاركني فيها.

وبرغم ذلك لم يكونوا متفتحي العقل لما بدأتُ ألبس الحجاب. لقد انزعجوا لأني أقوم بالانفصال عن المجتمع، مما قد يعرضني لمعاملة سيئة (be discriminated against)، وسيعوقني عن تحقيق أهدافي، وسوف يضايقهم أن يراهم الناس معي. رأوا في ذلك عملاً شديد الأصولية. فلم يكن يهمهم اختلاف عقيدتي، وإنما لم يعجبهم أن تؤثر عقيدتي على حياتي بعمل مظهري.

ولم تمر ثلاث سنوات إلا وقد تغير الكثير من كل ذلك. فقد أيقنت عائلتي أنني لم أدمر حياتي. ورأوا أن الإسلام حقق لي السعادة لا الألم أو الأحزان. بل افتخروا بإنجازاتي ورأوا مدى السعادة والسلام في حياتي. وعادت علاقاتنا إلى وضعها الطبيعي. وهم في انتظار زيارتنا لهم في الشهر القادم إن شاء الله.

● عقب إسلامي شعرتُ بخيبة أمل أبواي. فمجرد القول أنني أسلمتُ كان كالصفعة على وجههما. وكنت وكأنني أرفض كل ما علماني إياه وأنا طفلة، أي كل شيء كانا هما قد تعلماه من أبويهما. لقد كان ما تعلماه جيداً بالنسبة إليهما، فلماذا لا يكون كذلك بالنسبة إلي؟ كان عمر إخوتي ١٦، ١٤، ١١ عاماً عندما أسلمتُ. ولم يعرهم إسلامي أي اهتمام. لقد كان هذا اختياري ومن حقي أن أفعل ما أريد. أما أقاربي الآخرين فما زالوا على علاقة ودية معي بالهاتف.. ولكني حين أزورهم بنفسي مع زوجي أراهم متوترين ومتحفظين، وأحياناً متجاهلين لوجودنا، ويتحدثون مع بعضهم البعض وكأننا لسنا هنا. لا يوجد في عائلتي من يهتم بالإسلام.. ولا من يريد أن يكون مسلماً.

تعودت أمي أن تتمنى أن يعود زوجي إلى إيران ويتخلى عني ويتركني. وتصورت أني عندئذٍ سوف أترك الإسلام، وأعود لأكون ابنتها التي كانت في الماضي. وبعد أربع سنوات سافر زوجي عبر البحار، وعاد بعد ستة أسابيع. فأيقنت أمي أن زوجي لن يتركني، ورويداً رويداً بدأت تتقبل إسلامي.

وفي ذلك الحين ناقشت والدتي في عقائدي وممارساتي الدينية، فوافقتني عليها بلا قيد أو شرط. لقد أيقنتُ أنني اخترت أن أؤمن كما فعلت. وقالت أنها

هي وأبي قد تقدما في السن بقدر كبير مما يمنعهما من تغيير طريقهما الديني. وبعد ثلاث عشرة عاماً من زواجنا، كانت أمي تقول لي أنني أبدو جميلة في غطاء رأسي، وأنني أشبه تماثيل مريم العذراء.

ولما كتب لي أخي خطاباً وقد كان كاهناً وقال لي فيه أن زوجي وأولادي وأنا سوف ندخل الجحيم بسبب عقيدتنا، لم توافقه والدتي. وقالت إنها تعتقد أن هناك طرقاً عديدة للتقرب إلى الله[1]. وأنها لا تظن أننا سوف ندخل النار. وتوفيت بعد خمس سنوات، وأدعو الله أن يمنحها السلام. وكانت في آخر مرة تحدثتُ إليها تقول لي إنها ليست خائفة من الموت. وقالت إنها غير قلقة بشأني، وماتت وهي قلقة على إخوتي الثلاثة بما فيهم الكاهن المسيحي. من المحتمل أن تكون قد توصلت مؤخراً إلى قبول الإسلام على أنه الحق رغم أنها لم تمارسه.

● زوجي وأنا في ظروف فريدة لأننا ما زلنا نعيش في منزل والداي. إنهما متفاهمان معنا، ولم يحدث أن عبرا عن أية مشاعر ضد عقيدتنا. وتحرص أمي دائماً على أن تطبخ الخنزير لوالدي عندما نأكل أنا وزوجي خارج المنزل. وفي الأعياد نجتمع كلنا مع أجدادنا ويقدمون لنا الهدايا. ولقد تعلمت منذ أن كنت من «شهود يهوه» ألا أرفض هداياهم.

كانت هناك بعض المصاعب الصغيرة مثل الخلاف مع أمي بخصوص الملابس التي تصنعها لي. وتقول: «لماذا تريدينها بهذا الطول الذي يدعو إلى السخرية؟» والإحباط الذي كان يصيبها لما أقول لها إنني لا أستطيع أن آكل الطعام المصنوع من الجيلاتين (لأنه في العادة مصنوع من الخنزير). وأصبحت أكثر تفاهماً في كل شيء مع الوقت. حتى أنها لاحظت من تلقاء نفسها أن الإعلام الأمريكي يتعمد تصوير المسلمين بصورة سيئة. هذا بعد أن علمت حقيقتنا.

---

(١) الطريق إلى الله واحد لا يتعدد (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (المترجم).

وآمل في المستقبل أن نتمكن من أن نتناقش أكثر حول عقيدتنا الخاصة، وهو ما لا يحدث كثيراً وأيضاً أن نتحدث في ذلك مع والدي الذي لا يبدي أي اهتمام بأي دين مهما كان نوعه.

● بداية؛ تسبب إسلامي في منازعات كثيرة مع عائلتي. لم يؤيدوني وشعروا أني مضللة وأنه تم غسل مخي بمعرفة زوجي. ثم تحسن الحال مؤخراً لسببين:

١ ـ أنهم أيقنوا أنها لم تكن بدعة أو مجرد تغيير طرأ علي. وأنهم لو أرادوا أن يحافظوا على صلتهم بي، فعليهم أن يقبلوني كمسلمة.

٢ ـ أنجبت أولادي وأنشأتهم على الإسلام، فكان من العسير عليهم أن يتعاملوا معهم بنفس الطريقة السلبية.

لقد حاولت التحدث مع عائلتي عن الإسلام على أمل أن أستطيع مساعدتهم على أن يعيشوا وأن يموتوا مسلمين.

لقد صدم أبي وأمي منذ البداية. ولام أبي زوجي. رغم أنهما كانا صديقين حميمين قبل إسلامي. ثم ندر الحديث بينهما لمدة عام كامل.. ونشبت مشاجرات عائلية كثيرة بسبب إسلامي. وكان عدم التسامح يأتي من جانب أمي. وأصبحت في نظرهم عابدة للشيطان تنكرت للمسيح. ومع ذلك، ففي خلال اجتماع عائلي مؤخراً، ارتفعت مرتبتي إلى منزلة «مسيحية» لا تعرف بالضبط كيف تتقبل وتطلب خلاص المسيح. وكنت قد تعلمت ألا أناقشهم في الدين.

أما الآن فإن أمي تختار لي ألوان الوشاح الأنسب وتمتدحني أحياناً. لقد تقدمت نحو قبول الحجاب. وكم أتمنى أن يسألني أبواي عن عقيدتي وأن يقرآ شيئاً من القرآن الكريم.

● اختياري أن أكون مسلمة أوجد خلافاً في علاقتي بعائلتي. وكان من عوامل الضغط الكبير علي. وشعرت أنهم يظنون أني أمر بمرحلة في حياتي سوف

أتعافى منها. ومرت أربع سنوات حتى الآن، والأمور ما زالت غريبة.

أشعر قليلاً أني مرفوضة. كنت أتمنى أن تكون عائلتي متفتحة معي وتطرح عليّ الأسئلة بدلاً من أخذ ما يتعلق بالإسلام من الإعلام ومن مصادر غير صحيحة. وأشد الأمور على نفسي أن عائلتي تلوم زوجي على إسلامي.

إنني أحب أن أكون خير مثل عندما أزور عائلتي. ولكن الحزن يغمرني لما أتذكر أنهم غير مسلمين. وأمي تقول لي دائماً أنها تتمنى لأختاي الأخريين أن تكون كل منهما أماً صالحة مثلي. والحق أن كوني أماً صالحة هو جزء من كوني مسلمة صالحة.

كم هن محظوظات هؤلاء النسوة اللاتي بذلت عائلاتهن جهداً في طريق التصالح والتفاهم. ويشعر الآباء أحياناً أن القرارات التي يتخذها الأنجال في سن الشباب والبلوغ قرارات تتسم بالاندفاع والطيش. وإن كان هذا مجرد احتمال، إلا أن الأيام أثبتت أن التزام النجلات دائم، وأن التغيير في أسلوب حياتهن ثابت.

أداروا ظهورهن للقبول

بدت بعض العائلات غير قادرة على التسامح إزاء التغيير. وتشعر بأن السلامة في قطع العلاقات تماماً مع بناتها. وفي الإبقاء على قدر ضئيل من التعامل.. ولقد دفع بعض اللاتي اعتنقن الإسلام مقدار الاختلاف الملاحظ في حياة عائلاتهن عن الأسلوب الذي يرجوه المسلم إلى اختيار البعد عن العائلة. أما عدم القبول من جانب العائلات فيرجع إلى قضيتين أساسيتين:

١ ـ افتقاد التفاهم بشأن قرار الاختيار أو...

٢ ـ رفض التفاهم بشأنه.

وقد تتمكن العائلات أن تتوصل إلى الانسجام عند مستوى معين، ولكنها تشعر بعدم الارتياح إذا جاوز الأمر هذا الحد. وتكون عادة المناقشات الجادة صعبة في ظل هذه العائلات، لاحتمال وجود رغبة خفية باللوم والعداء.

● منذ أن نطقت بالشهادة وعائلتي تتباعد عني. وأسأل الله (SWT) سبحانه وتعالى لها الهداية والبركة التي منحني إياها. وكذلك العمل في المستقبل من أجل الآخرة. وآمل من عائلتي أن تحترمني وتحترم ديني. لقد ظنت العائلة أن الجانب الديني مجرد إعجاب، وأني سوف أتجاوزه.. إلى أن تبين لها مدى جديتي، وكيف وفقت إلى زواج سعيد. لقد كان زواجي نقطة أساسية للضغط علي. فزيارة عائلتي لي نادرة. إذ زارتني ثلاث مرات على مدى ١٢ سنة. وكانت الخمس سنوات الأولى مليئة بالمشاكل حتى إنها رفضت زيارتي.

● أعلم أنني السبب الأساسي لأهم التغييرات وخيبة الأمل. وكانت عائلتي رقم واحد. وحتى اليوم أنا غير مرحب بي في منزل العائلة. ذهبت لزيارتهم في سبتمبر الماضي. فلم يكتفوا بالإساءة إلي، وإنما رفضوا مقابلة زوجي أو السماح له بدخول منزلهم. ولقد قيل لنا أن علينا بسرعة الانصراف قبل أن يرانا الجيران أمام منزلهم. كانت هذه هي المرة الأولى التي رأيتهم فيها منذ سنين.

● منذ أن أصبحت مسلمة، وللأسف لم يعد لي أي اتصال بعديد من أفراد العائلة.. وهذا يضايقني.. ولكنه اختيارهم. ومع ذلك تحسنت الأمور رويداً رويداً. وخلال الشهور القليلة الماضية، اتصل بي كثير من أفراد العائلة، وهكذا هناك أمل. والرفض الرئيسي من جانب أبي هو ارتدائي الحجاب، لأنه المظهر المرئي الذي يعبر عن عقيدتي. إنه لا يفهمه ولا يوافق عليه. وعائلتي بصفة عامة لا تعرف الكثير عن الإسلام ولا يهمها أن تعرف.

● في البداية جُنّ جنون أبواي. والسبب عدم فهمهما للإسلام. وبدأت المشاكل الحقيقية منذ ارتدائي الحجاب بعد عام ونصف العام من إسلامي، ولا زالت أختي تظن بي أنني مشؤومة أو مجنونة.. وتعاملها معي قليل.

● أشعر أنني بعيدة عن عائلتي. وكنتُ وثيقة الصلة بأخي وأخواتي ولم نعد كذلك الآن. إن الدين موضوع حساس جداً حتى بعد أن أقنعتهم إلى حد ما أن ما كنا نتبعه ككاثوليك ليس كله صحيح. وأشعر أنني بعيدة جداً عن أبواي.

ولا تريد أمي أن تصدق أن الكتاب المقدس (Bible) الذي تتبعه قد طرأ عليه تغيير، أو أن الإسلام هو الطريق الصحيح. إنها لا تفهم لماذا أغطي رأسي ولماذا لا آكل الطعام الذي به خنزير.

لم أفاتح أبي أبداً في الموضوع. إنه ليس مثقفاً وهو متكبر. والحقيقة أنني أريد أن أحادثه في هذا الموضوع ولكني لا أدري كيف ولا حتى ماذا أقول؟

معظم عائلتي تعتقد أنني أسلمتُ مراعاة لزوجي. إنها لا تفهم بالمرة أنني أؤمن حقاً بالإسلام من كل قلبي، إلى درجة أنني أريد أن أبشرهم، وأعظهم بقوة عن حقيقة الإسلام حتى يؤمنوا وينطقوا الشهادة.

● أعلم أنهم يظنون أن زوجي هو الذي أجبرني على الإسلام، ويرفضون تصديق غير ذلك.. كان عندي أمل أن تقبلني أمي كما أنا، وأن تتقبل الأمر على أنه كان ولا يزال اختياري. وفعلاً لقد اتخذتُ أحسن قرار في حياتي باختيار الإسلام. إنهم يرفضون الاعتراف بأننا نؤمن بالله، وبالتالي يرون أننا سوف نذهب إلى الجحيم. إنني أكره تعصبهم.

أمي لا تحترم رأي زوجي في أي شيء، ولا تطلب رأيه. وعندما حاول أن يحادثها عن المسيحية وأن يوضح لها الحقيقة، رفضت أن تتكلم. إذ ليس لديها أي تقدير لوجهة نظرنا. زوجي مناضل وشديد البراعة حين يتكلم أو يناظر أحداً، وهو يطاردها بإلحاح حتى ترى ما نراه في هذا الموضوع.. ولا يريد أن يكف وينسحب حتى لو انتهى إلى لا شيء. ولكن أمي لا تعوّد الناس على مواجهتها بإقدام وجسارة ما عدا أنا. وزوجي لا يستطيع أن يتصور كيف أن الأمر الواضح في نظره لا يكون كذلك في نظر غيره.

● في الحقيقة لم ينتقدوا زواجي من مسلم ككل. وفي بداية زواجي، بعض أقاربي الأباعد اعترضوا وبخاصة جدي لا بسبب أنه مسلم ولكن لأنه غير أمريكي، لم يكن يريد أحداً من هؤلاء الأجانب الملاعين (damn foreigners) في العائلة. ولم يوجه لي أي حديث طوال شهرين. ولكن زوجته تدخلت وقالت له

أن هذا ليس التصرف السليم. فإما أن يترك الأمور تسير كما هي وإما أن يفقدني مع الأيام. وفي ذات الوقت قال أحد أبناء العم: إن من المحتمل أن يتحول زوجي إلى المسيحية.

إننا لسنا عائلة متماسكة عندما نناقش الأشياء. ويبدو حديثنا سطحياً. وفي نفس الوقت كان أخي الذي يصغرني بخمس سنوات يسأل زوجي عن عقائد المسلمين. غير أن أبي عرفه على الفور أن هذا الموضوع ليس للمناقشة. وهكذا وبأسرع ما يمكن أعلن أن الدين ليس موضوعاً للحديث. ولقد قلت لزوجي أني لم أكن أتمنى أن يكون الأمر كذلك، ولكن مشاعر المودة هزيلة.

● كان يتحتم على أبواي أن يقبلا قراري بالتغيير. فلم أكن لأرجع إلى المسيحية أو إلى النزعة الأمريكية (Americanism) إرضاءً لهما. إنهما ليسا متفتحا الذهن. ولكني أبذل قصارى جهدي للتشجيع والمحافظة على الوصال.

آمل أن يتقبل أبواي وسائر غير المسلمين الإسلام ديناً. إنني أعتقد حقيقةً أن كل الأفراد مسئولون عن تصرفاتهم الشخصية، وأني سأكون ملزمة بالإدلاء بشهادتي على ذلك.

لم أتعود أن أضغط على عائلتي أو على أي إنسان من أجل أي شيء. وإذا ما ضايقوني وهوما يحدث كثيراً ـ فإنني أصلي من أجل ذلك، وأحاول ألا أتركهم يدمروني.

● لا تزال هناك مسافات شاسعة خلفي تسبب لي الشعور بالحزن والضياع، بعكس الشعور بالقرب والترابط مع أمي وأخواتي وصديقاتي. وأيضاً قربي من جدتي التي تحاول بصعوبة أن تتفهمني وتتقبلني، وأن تتقبل طريقة حياتي الجديدة. إلا أنها حتى الآن لم تتوصل إلى ذلك.

● لم أعمل من أجل توثيق العلاقات مع أبواي. فقد مر ما يقرب من ثلاث سنوات في شهر نوفمبر الحالي. منذ أن رأى بعضنا بعضاً، وهما لا يريدان عمل أي شيء مع أي منا. وأخي اتخذ نفس الموقف. وكلمتني عمتي إلا أنها

قالت كلاماً كما لو كانت عقيدتي شيطانية. لم أعد أهتم بقضاء الأعياد مع عائلتي لأني ليست لي علاقة بها منذ ما يقرب من ثلاث سنوات.

● نشأ عن اعتناقي للإسلام نتائج متدنية مع عائلتي. فأبي وزوجته (أمي متوفاة) رفضاني تماماً بسبب ذلك. لم نتحادث منذ أكثر من خمس سنوات. أما أجدادي فقد جعلوني أشعر دائماً بترحابهم. ولكنهم لا يترددون في التعبير عن عدم موافقتهم على كل ما أفعل.

لم تجد هؤلاء النسوة أية مساندة من عائلاتهن في أي موقف اخترنه لأنفسهن. ولا شك أنهن كن على قدر كبير من القوة للتمسك بموقفهن دون مساعدة من العائلة. وقد تكون العلاقات تحسنت مع مرور السنين. فالأزمات العائلية، وتقلب القلوب أو الحاجة الملحة ليست إلا بعض البواعث المحركة لإعادة النظر في العلاقات العائلية.

القبول لم يأت من العائلة

قالت مشتركتان إن عائلتيهما لم تنطقا بكلمة بشأن اختيارهما. لقد شعرتا أن الأمر لم يكن من شأن العائلة، وإذا كان قرار المشتركتين يعكر صفو العلاقات، فإنها تكون مشكلة العائلة لا النجلتين.

● التأثير من أفراد عائلتي ليس له وجود. أنا بالغة، وأختار أن أفعل ما أريد. إننا نتصرف كأشخاص بالغين ولا نطلب الإذن لكي نعيش حياتنا. الدين ليس جزءاً outward part مرتبطاً بحياة آبائنا. وإننا لا نتكلم في القضايا الدينية إلا إذا وُجه إلينا سؤال. وعندما نسافر عبر البحار، نأمل أنهم سيفهمون وإذا لم يفهموا فإنها قضية لا بد لهم أن يتعاملوا معها مستقبلاً.

● إسلامي لم يكن له أي تأثير على علاقتي بعائلتي. وهم يعلمون أنه يمكنهم قبول أو رفض دیانتي، وأياً كان اختيارهم فلن يكون له تأثير عندي. لقد قبل زوجي (وهو غير مسلم) موقفي لأنه يحترمني لشخصي.

إنني أعيش في غرب (الولايات المتحدة). وعائلتي تعيش في /East) Midwest) ، وأشعر كأنهم لن يفهموا الفهم الصحيح. وبعد أن يكتشفوا أني مسلمة، ولم يؤثر علي أحد في اختياري، فإنهم سوف يفهمون أن الله (SWT) سبحانه وتعالى يهدي من يشاء.

لا وجود لحالة يوضح فيها رد إحدى المشتركات أن اعتناق المرأة للإسلام كان بغرض إغضاب أبويها أو عائلتها، أو لمحاولة العودة إليهم بأي طريقة. بل إن غالبيتهن كن على علم بأن العلاقات سوف تسوء من جراء إسلامهن. وقد حاولن التوصل إلى طريقة للتخفيف من وقع خبر إسلامهن. بل إن الدين الجديد كان في نظر هؤلاء النسوة جديراً بالتضحية من أجله حتى بالأهل، إذا لم يكن هناك سبيل غير ذلك. . لقد اخترن الطريق. وعزمن على السير فيه.

* * *

٥ ـــ السير على درب الإسلام..

ممارسة الحياة الإسلامية وتطبيق مبادىء الإسلام..

أعتقد أن ما عانيناه من ألم وجرح في نهاية أسبوع عيد الشكر، لن يتكرر. فقد كنا جميعاً عازمين على أن نعمل سوياً لتحسين العلاقات. وفي زيارة جودي التالية، قضينا معاً وقتاً في الحياكة. وهو الشيء الذي تحبه جودي منذ أن كانت صغيرة. وأثناء الحياكة كنا نتحدث. ولقد تعلمت الكثير عما اختارته جودي.. أي عن الإسلام.

وقالت: «يا أمي.. لقد أحضرت لك بعض الشرائط تستمعين إليها كي تتعرفي على المزيد عن الإسلام. والحقيقة يا أمي.. هناك أمور عديدة مشتركة مع المسيحية. وأشعر أنني أستطيع الآن أن أعيش كما ربيتني أكثر مما كنت في الماضي».

نعم قد تكون جودي على حق بالنسبة لهذا الجزء، إذ أن كنيستنا كان عندها بعض التوقعات عن الصعوبات التي يقابلها الشباب أثناء ممارسة حياته في المجتمع. ولكن هل الإسلام يشبه المسيحية؟ هذا ما قد يصعب إثباته لي. فقد أحدث الإسلام اضطرابات سياسية كثيرة، واحتوى على أفكار غريبة[١]. ومع ذلك كنت مستعدة لكي أتعلم. وهل كان أمامي اختيار آخر طالما كنت أريد إقامة علاقة

---

(١) من أين جاءت المؤلفة بهذا الكلام وكأنه حقائق مقررة.. ودون أن تقدم أي دليل عليه؟ بل هو كلام بغير أساس ولا يمت للحقيقة بصلة. فأين الأمن والاستقرار والحضارة والعلوم والسماحة.. إلخ التي أوجدها الإسلام (المترجم).

طيبة مع ابنتي؟

لقد قضيت ما يقرب من عام ونصف العام لقبول وتأييد جودي في الحياة التي اختارتها. رأيتها منضبطة تماماً في دينها، وراغبة بقوة في عبادة الله، وفي خدمة الآخرين من حولها، وكانت تتمتع بقوة كبيرة لارتدائها هذه الملابس الغريبة وتغطية رأسها أثناء ذهابها للدراسة بالمعسكر. ومع ذلك فقد كانت لا زالت هي جودي التي أحببتنا، وتحب أن تتكلم، وتحب أن تكون مع الناس. وكافحت لكي تستمر في دراستها، ولكي تعمل في التمريض. وكانت بالفعل تمارس التمريض.

عاونني أصدقائي على قبول ابنتي. واكتشفت أن الجلوس أو البكاء بعد قراءة قصيدة شعر أو مقال، أو الجلوس في غرفة جودي القديمة. كل هذا كان يجلب الشفاء. كنت أضع جودي بين يدي الله وأنا أصلي. ولا شك أنه كانت هناك صلوات كثيرة من أجلي. وكان ينبغي عليّ أن أساعد أعضاء آخرين من العائلة يشعرون أنهم مرفوضون. ولكن الشفاء كان يتحقق. كنا عائلة لا تحب النزاع وكنا نرغب في أن نحب، وأن نتقبل غيرنا. وكنا أيضاً نريد أن ننفتح على العالم حولنا، ولهذا بدأنا نتعلم بشأن ما اختارت ابنتنا أن تعتنقه.

* * *

«الجهاد» كلمة عربية أصبحت مألوفة لكثير من غير المسلمين بأمريكا. لأن وسائل الإعلام الأمريكية تخلطها بالأعمال الإرهابية. ولقد تحرت Dr. Jamilah Koloctronis وهي أمريكية بالمولد اعتنقت الإسلام تحرت معنى هذا المفهوم الإسلامي في رسالتها للدكتوراه. والكلمة من اللغة العربية بمعنى الكفاح أو النضال أو بذل الجهد بعزم. وذكرت الكاتبة في كتابتها[1]: «كان معنى هذا اللفظ في

(١) Islamic Jihad: An Historical Perspective, Indianapolis: American Trust Publications 1990 X (الجهاد الإسلامي: رؤية تاريخية).

عصر النبوة الكفاح أو النضال في سبيل الله». وبعد ذلك أخذ المؤرخون[1] يترجمونه «بالحرب المقدسة» وهي ترجمة لا تؤدي معنى اللفظ كاملاً. ولذلك يجب دائماً تعريف العبارة بمعنى الكفاح أو النضال «في سبيل الله» لأن هذا التعريف يحيط بكل ظلال معنى اللفظ.

وبهذا المعنى يمكن لأي نشاط يتعلق بممارسة المبادىء الإسلامية العملية أن يسمى جهاداً أو كفاحاً أو نضالاً.. كالاستيقاظ لأداء صلاة الفجر إذا لم يكن الشخص من الذين يستيقظون مبكراً. ثم تم تحريف معنى اللفظ عند الغربيين فأضيف إلى معناه الأصلي معان جديدة فأصبح يعبر عن «جماعات متطرفة» radical groups (تمثل أقلية صغيرة من الناس).

كان اللفظ في عهد النبي ﷺ يطبق على الأفراد، وبخاصة في السنوات القليلة الأولى حيث كان الذين يعتنقون الإسلام ينضمون إلى مجموعات صغيرة، ويناضلون من أجل التخلي عن التقاليد وعن طريقة الحياة القديمة. وعلى الرغم من مقاومة أفراد العائلة لهم بالإضافة إلى عقبات أخرى، فقد مضوا إلى ما كانوا يؤمنون به. كان وجودهم الشخصي هذا يسمى جهاداً، لأنهم كانوا يناضلون في سبيل الله. والأمريكيات اللاتي أسلمن هن أيضاً في هذا النضال بأشخاصهن حيث يتركن التقاليد القديمة من أجل أن يعشن طبقاً لعقيدتهن الجديدة.

ولا يزال الإسلام مجهولاً بالنسبة لكثير منا نحن الأمريكان. حتى ولو كنا قد قرأنا كتاباً عن الإسلام والمسلمين، أو درسنا في حلقة تعليمية في كنيسة، أو اشتركنا في دراسات عن الإسلام، فإن المضمون لا يعني الكثير، ولا يغني من جوع. أما الآن فهناك شخصية محبوبة لنا تمشي وتتكلم.. قد أصبحتْ مسلمة. الآن نحتاج أن نكتشف هذا الذي أصبحتْ له أهمية عظمى عند هذه الشخصية، وأن نتفهم معنى الرحلة التي تسير هذه الشخصية فيها.

---

(١) ليس المؤرخون وإنما المستشرقون هم الذين حرفوا معنى الكلمة. (المترجم).

الإسلام هو اسم لدين سماوي. معنى الكلمة العربية «الإيمان بالإله الأعلى» والاستسلام لله الواحد. والمعنى الحرفي للكلمة هو السلام؛ العيش في سلام مع الخالق ومع النفس ومع الناس.

وأتباع الإسلام هم المسلمون والفرد مسلم. وهم لا يحبون أن يطلق عليهم «المحمديون Muhammadans أو الإسلاميون Islamites أو Islams. وباختصار: الدين هو الإسلام، والشعب هم المسلمون، والنبي هو محمد ﷺ وكتابهم المقدسة هو القرآن الكريم. وهو وحي الله الأخير. وكلمة الله إلى العالم من خلال محمد ﷺ.

بنود الإسلام

عقائد الإسلام الثلاثة الأساسية هي وحدانية الله، والنبوة[١]، والبعث بعد الموت.

بني الإسلام على خمس

والمسلمون ملتزمون في حياتهم بمطالب والتزامات. وهم يسيرون على الصراط المستقيم. ويبدو أن هذه الممارسات تتطلب جهداً كبيراً كما يتضح ذلك من ردود المشتركات. وعموماً كانت المشتركات على قدر من السعادة بوجود هذه الأنظمة في حياتهن. ووجدت بعضهن الصيام صعباً في البداية بعكس غيرهن. وكثيرات كانت قادرة على الانتظام في أداء الصلوات الخمس الإجبارية يومياً، بينما غيرهن كن يبذلن جهداً كبيراً من أجل هذا. وارتداء الوشاح كان عملاً مباركاً وبدون مشاكل للبعض. بينما اقتضى من البعض الآخر وقتاً طويلاً.

وكان العون الذي يأتي إلى المشتركات لممارسة الحياة الإسلامية يجيء من

(١) حذفنا شرح المؤلفة لهذه النقاط لأنها معروفة ومتداولة في المجتمع المسلم.

مصادر متنوعة. كان الأزواج سنداً قوياً. فقد علموا ووجهوا زوجاتهم إلى العمل بالإسلام، وبالمناسبة عادوا هم أنفسهم إلى ممارسة عقيدتهم. وتشرح الكتب وشرائط الفيديو والشرائط السمعية (audiotapes) التفاصيل بدقة. في حين أن كثيرات وجدن هذا العون من مسلمات أخريات إما أمريكيات بالمولد أو مسلمات نشأن في الإسلام.

● ما أن دخلت الإسلام عن طريق زوجي حتى كان سهلاً علي أن أتعلم كيف أعيش مسلمة بمجرد ملاحظة مثله اليومي وقدوة زملائه. وعلمني الممارسات الدينية كالصلاة والصوم والوضوء. إلا أن أخت زوجي التي صارت كأخت لي أثناء إقامتنا بالمغرب، والتي بدأت ترتدي الحجاب قبل عدة شهور هي التي ساعدتني على إتقان العبادة ومنحتني الثقة والحماسة لأداء الصلوات الخمس.

وفي أول مرة أصوم كنت أخشى ألا أستطيع، فلم أكن في العادة أترك الطعام ولو لفترة وجيزة. ولقد شرح لي زوجي أهمية ومعنى الصيام. وقال لي إنني غير ملزمة بالصيام إذا لم أكن قادرة على احتماله بشكل مطلق، لأن الله لا يحملنا ما لا نطيق. ولقد ساعدني هذا الاعتدال، ومنذ ذلك الوقت وأنا أصوم بانتظام. .

وكان أداء الصلوات الخمس هو الأصعب. لأن حياتنا على النهج الأمريكي لم تكن في الغالب تسمح بأدائها في وقتها. كانت بعض الأوقات تفوت. ولكني لم أتوقف عن الصلاة أبداً. وقد لا أبدو ميالة للصلاة الكثيرة، إلا أن القليل من الصلاة يجعل الله حاضراً في قلبي وعقلي في كل الأوقات.

وفي كل مناسبة عبّرت المشتركات عن البركة والسلام والرضا التي اتسمت بهن حياتهن من جراء الأنظمة الإسلامية بهدف إدخال التغيير على حياتهن، وتركيز توجيه أعمالهن ونيتهن إلى الله.

● كان أداء الصلوات الخمس يومياً من أصعب الواجبات عليّ[١]. ولما

(١) حذفنا شرح المؤلفة التفصيلي للوضوء. ولبعض أحكام صلاة المسلمين (المترجم).

قال لي زوجي بعد أن أسلمت بدقائق أن عليّ أداء الصلاة، كنت مترددة، لم أكن معتادة أن أكون مندمجة في ديني. ولكن ما أن بدأت، لم أشأ أن أتوقف.

● ساعدني التحول إلى الإسلام على أن أكون أكثر علماً، وأكثر استجماماً (relaxed) وأكثر تركيزاً. إنك لا تستطيعي أن تشردي بعيداً حتى تأتي الصلاة التالية وتجذبك للعودة. وساعدتني الصلاة على أن أكون زوجة وأماً أفضل وأكثر هدوءاً.

وبالنسبة لي فإن الجزء الأكثر دلالة في معناه هو العمل الباطني كالصلاة والقراءة والأعمال الروحانية التي تنمي حياتي الشخصية من أجل تقدم حياتي الروحانية. وكوني قادرة على التوقف لمدة ثوان والتسليم بأن كل شيء يحدث هو من الله تعالى لكي يهدينا هوَ من أكبر النعم.

● أداء الصلاة في أوقاتها هو الأصعب. لا زلت غير منسجمة مع توقيت الساعة.

● كان تعلمي الوضوء والصلاة غاية في السهولة. فقد كتب لي زوجي كلمات الصلاة في ورقة، ورسم لي حركات الوقوف والركوع والسجود. ولقد حفظت كلمات الصلاة في ذات اليوم، ولكن اقتضى مني أسبوعاً من الممارسة لكي أتأكد من أن أدائي للحركات سليم وفي الوقت الصحيح. لقد استمتعت بالوضوء وبارتداء ملابس الصلاة، وبأداء الصلاة لأني أشعر أنني أقترب أكثر من خالقي. أريد أن أعلن عن إخلاصي وشكري لكل النعم التي منحني الله إياها.

تُقرأ الصلاة باللغة العربية، وهذا يشجع الناس على تعلّم هذه اللغة حتى يتمكنوا من قراءة القرآن في نصه العربي الأصلي. ويتعلم الأولاد في المدارس الإسلامية اللغة العربية.

● لا زلت أتعلم كيف أعيش كمسلمة. أطرح الأسئلة الكثيرة وأقرأ. أرسلتْ لي حماتي كتاباً عن الصلاة. وأحفظ الكلمات العربية وحدي. وكان صعباً عليّ ارتداء غطاء الرأس وتعلم الوضوء والصلاة. لقد شاهدت العديد من شرائط الفيديو الإسلامية، وسجلت ملاحظات كثيرة وحضرت المناظرات.

● الصلاة كانت الأصعب. إنني أؤديها بصوت مسموع، وأخشى أن يكون نطقي خطأ وبالتالي لا تُقبل صلاتي. ولكنني أعلم أنه طالما أنني أحاول وعندي النية الحسنة، فإن الله يتقبل.. ومن الصعب عليّ الصلاة باللغة العربية وعدم معرفة القرآن والحديث.

● تعلمتُ أن أعيش كمسلمة في الأغلب عن طريق قراءتي وبحثي شخصياً. ولقد كتب لي زوجي الصلوات باللغة العربية وقرأتها، بعد أن تعلمتها باللغة الإنجليزية. وبدأتُ أتعلم أجزاء من القرآن بالعربية. لا أستطيع قراءة الكتابة العربية بالرسم العثماني. ولهذا أعتمد على أن تقرأ لي. إنني أنظر إلى نفسي على أني ما زلت أدرس أساسيات الإسلام.

لقد كان من الصعوبة بمكان ممارسة جميع الأعمال الدينية العملية التي أشعر أنها هامة، ولكني أشعر بالسعادة الغامرة عندما بدأت تطبيقها.

الركن الثالث في الإسلام هو صوم شهر رمضان (وهو الشهر التاسع في التقويم القمري الهجري). وهو شهر مقدس عند المسلمين ويتضمن الصوم والصلاة وأعمال البر[1].

وبعد آخر يوم صوم يأتي عيد الفطر. وهو من أكبر المناسبات التي تقدم فيها الهدايا ومأكولات خاصة، وتبادل إرسال كروت المعايدة، والعبادة، أحبت المشتركات شهر رمضان برغم صعوبة الصوم في البداية. وهو مناسبة أيضاً يتماسك فيها المجتمع المسلم مع غيره من المسلمين ويقوى. وبالنسبة للأفراد يساعد على تنمية روحانيتهم. وأحياناً توجد بعض المضايقات عند الصيام في بلاد غير إسلامية.

● أول رمضان أصومه كان يوماً لا ينسى. بالكاد كان قد مر على إقراري بالشهادة ستة شهور. ولقد كان الصوم أسهل مما كنت أتصور. وإن كان يحتاج

---

(١) حذفنا شرح المؤلفة لأحكام الصيام. (المترجم).

إلى نضال. وبصراحة أقول إنني في أول رمضان لي قطعت صيامي ثلاث مرات في أول اليوم. والصوم يتطلب التزاماً دينياً وعقلاً راسخاً.

● الصيام مرة واحدة في السنة ولمدة شهر كامل، كان صعباً في البداية وكلما زاد تعلمي لحكمته ولأثره علينا، كلما سهل علي الصيام.

● كان صوم رمضان أكبر صعوبة قابلتها. وقبل صيامي الأول كنت أخشى ألا أستطيع، وأن أفشل أمام هذا التحدي. وبطبيعة الحال تمكنت من الصيام لأنه يكون سهلاً عندما يفعله الإنسان إرضاءً لله.

وفي بعض الأحيان كانت حنجرتي جافة تماماً أو كان عندي صداع، وكنت أريد أن أتناول دواء ولكني امتنعت. ولقد تذكرت الإمام الحسين وأصحابه الذين قتلوا في كربلاء وهم صائمون عطشى. وفكرت في الفقراء المشردين الذين لا سكن لهم ولا يعرفون متى أو ما إذا كانوا سوف يتحصلون على وجبة أخرى.

الصوم يعين على اكتساب القرب من الله، والوعي الروحاني والكرم مع الآخرين والتواضع وأن يكون الإنسان شكوراً. ولأني أراه وقتاً روحانياً، فإنني أتطلع إلى شهر رمضان كل عام. وأشعر خلال العشرة أيام الأخيرة منه أني حزينة لقرب انتهائه.

● الحياة كمسلمة ليست صعبة، لأني أمارسها بطريقة تلقائية منذ سنين عديدة، وسهل زوجي عليّ ذلك بمساعدته لأنه مسلم ومن الأيسر على الإنسان عمل شيء إذا كان معه رفيق. والأوقات التي أجد فيها صعوبة في الممارسة الدينية هو وقت الكرسماس. وقت أن يصطبغ كل شيء بالمسيحية، ويتحتم عليّ شرح سبب عدم الاحتفال به. والوقت الآخر هو شهر رمضان عندما يسألني الناس عما أريده في وجبة الغذاء وأقول لهم: إني صائمة. صعب على الناس أن يفهموا. وأعرف أنهم يصدرون عليّ حكمهم، ولكني لا أبيع عقيدتي من أجل سندوتش.

والركن الرابع في الإسلام هو الزكاة التي تدفع عادة في رمضان مع الصيام والعبادة.

والركن الخامس والأخير هو الحج إلى مكة لمن توفرت لديه النفقات المالية اللازمة. والحج مناسبة تحدث كل عام وهو أكبر تجمع للناس في العالم حيث يجتمع ما بين ٢ و٢,٥ مليون من المسلمين يأتون من كل قارة على الكرة الأرضية لأداء هذه الفريضة.

نموذج الحياة الإسلامي في المجتمع الأمريكي

الإسلام ينظم جميع جوانب الحياة سواء الجوانب الأخلاقية الشخصية أم السياسية أم التجارية. الإسلام طريقة للحياة الكاملة. وفكرة الأمة في غاية الأهمية.. وهي الجماعة التي تتحقق فيها إرادة الله حيث المجتمع قائم على المبادىء الإسلامية. وكثير من الوقت ينفق، ومن المناقشات تتم في الشرح العملي ولوصف طريقة الحياة. والنساء يتعلمن بسرعة ما يجب عليهن عمله، ويتخذن قراراتهن لإنجاز هذه الأعمال في حياتهن.

والتغيير الهائل في الملبس هو أصعب الأمور على الآباء والأقارب عندما تعتنق ابنتهم الإسلام. ويبدو لنا وكأنه تعبير قوي عن الدين الذي وقع عليه اختيار ابنتنا. وبالنسبة لبعض النسوة، كان اختيارهن لملبس بسيط وتغطية أنفسهم مقبولاً بسرعة وعن طيب نفس، ودخل في ممارستهن أما غيرهن فقد رأين فيه صعوبة شديدة.

والنص القرآني الذي يوجب لبس الحجاب هو: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ [النور ٣٠- ٣١].

ولدى مختلف الدول الإسلامية تقاليد بشأن طريقة ارتداء الغطاء. أساسها أن تكون الملابس فضفاضة (لا تشف ولا تصف) وتغطى البدن كله ما عدا الوجه والكفين. وفي بعض البلدان يغطى الوجه أيضاً بخمار. وألوان القماش إما تكون موردة وزاهية أو مطرزة بخرز أو بشراريب. بينما أخريات يلبسن فقط ألواناً رزينة وسادة مثل الأبيض والبيج والبني والأخضر والأزرق والأسود. أو أقمشة مطبوعة ناعمة الملمس. ويستطيع من لهم دراية أن يتعرفوا على بلد المرأة من طريقة ارتدائها الحجاب. ولكن ليس جميع النساء المسلمات يغطين شعرهن بوشاح، وإن كن يرتدين ملابس محتشمة.

● كان لبس الحجاب سهلاً. ولكن الناس يسألون دائماً عما إذا كنت مصابة بأحد الأمراض. فهم يتخيلون أني فقدت شعري وأني أداري صلعتي. وبعد أن أشرح لهم الأسباب الدينية، ومغزى ارتداء الحجاب قد يقولون: «أتقصدين أننا لن نرى شعرك الجميل بعد ذلك أبداً؟» وكأن اختياري لممارسة ديني قد حرمهم من إحدى ملذاتهم أو أحد امتيازاتهم، وأنهم لا يوافقون على ذلك! . . لقد غفلوا عن إدراك المعنى الحقيقي.

● لقد أطلعت أبواي وأفراد عائلتي على اختياري للإسلام. وكانت النقطة شديدة الوطأة عليهم هي الحجاب أو الزي الإسلامي. وأعتقد أن فيه تذكير دائم لهم ومضايقة لهم. أما إذا كنت مسلمة، ولم أغط رأسي، فقد يتقبلون ذلك بسهولة أكثر. وأملي أن يفهموا الإسلام وأن يحبوه من صميم قلوبهم لا من أجلي فقط.

● ممارسة الأعمال الدينية الإسلامية ليست صعبة على من مارسها لفترة وجيزة. ولكن الحجاب هو الذي اقتضى الجهد الأكبر مني وممن حولي. وكنت أقيم في بلدة صغيرة جداً. وكنت أتعرض لنظرات غريبة هناك، وكان الناس يسألونني عنه. ولكن في مدينة الجامعة الأكبر، غالبية الناس على علم بالحجاب ويشاهدون نساء يرتدينه حول المدينة. بدأت أرتدي الحجاب في الشتاء، ولم أجد

صعوبة حتى جاء الصيف. وكثيرات من النساء يرتدين الوشاح أو القبعات في الشتاء، ولكن بعد مجيء الصيف، وظللت أرتدي الوشاح، كنت ظاهرة ومتميزة بين الناس. والإسلام لا يخلط الأمور ولا يؤيد المثل القائل: «إذا كنت في أميركا فافعل ما يفعله الأمريكان». إنما المطلوب هو الثبات على ما تؤمنين به، طالما أنك تعلمين أنه الحق، وإن خالفك الناس مسلمين كانوا أم غير مسلمين.

● كان سهلاً عليّ أن أمارس الأعمال الدينية. فلم أجد صعوبة في القبول والاستمتاع بمزايا الصلاة والصوم والامتناع عن الكحوليات. أما معركتي الكبرى فقد كانت في تغطية رأسي.. في الوشاح.. لا أحد يعرفه.. وبعد ذلك استسلمت وقبلت الحجاب من باب التواضع.

● صمت أول رمضان لي بعد ستة شهور من نطقي بالشهادة. ولقد تأملت موضوع الحجاب. وكنت من قبل أخشى اتخاذ هذه الخطوة. فبدأت بارتداء ملابس محتشمة، واعتدت أن أضع الوشاح فوق أكتافي. ولما زرت إحدى الأخوات (المسلمات) قالت لي: «كل ما عليك أن تفعليه هو أن تحركي الوشاح من كتفيك إلى رأسك. وعندئذ يصبح ملبسك إسلامياً». في البداية لم أكن أشعر أنني مستعدة لارتداء الحجاب لأني لم أكن واثقة أنني قوية في إيماني بالقدر الكافي. فقد أدركت سبب الحجاب ووافقت عليه، وأعجبت بالنسوة اللائي يرتدينه حيث كان مظهرهن تقياً ونبيلاً. غير أني كنت أعلم أني لو ارتديته فسوف يطرح عليّ الناس العديد من الأسئلة. ولم أكن أشعر أنني قوية لدرجة التعامل مع هذا الموقف.

كل هذا تغير مع اقتراب شهر رمضان. وفي اليوم الأول استيقظت وذهبت إلى الدراسة بالحجاب. الحمد لله Alhamdulillah لم أخلعه من يومها. كان هناك شيء في رمضان ساعدني على الشعور بالقوة وأني فخورة بأني مسلمة. وشعرت بقدرتي على الإجابة على أسئلة من يسأل.

● عملية تغطية رأسي كانت تدريجية للغاية. إذ انتقلت من الجينز إلى

الجيبة مع قميص أو سترة (blazer) بكم طويل. وبعد ذلك قررت أن ارتدي الوشاح والملابس الطويلة أو البالطو بعد أن أضع طفلي الأول. كان من الصعب عليّ جداً تحمل النظرات والأسئلة بشأن ملبسي (كم طويل وجاكت في الصيف) أثناء عملي. ولهذا تريثت قبل التغطية الكاملة. وما أن بدأت بالحجاب الكامل حتى شعرت بعدم الراحة وباختلافي تماماً عن غيري فخلعته. وكأني كنت أريد أن اثبت للناس (حتى الذين لم أعرفهم) أنني ما زلت نفس الشخصية التي كانت في السابق.. احتفظت به وأخيراً ارتديته. إنني أغضب من الناس الذين يحدقون فيّ. أو يهزأون بي. ولكن هذا يقوي من رغبتي وعزمي. لقد مضت ثلاث سنوات على ملبسي الإسلامي.

كان الحجاب موضوع أحد كتب المؤسسة الدولية للأخوات المسلمات (Islamic Sisters International) بعنوان «الحجاب تعريف وتمييز»[1] (- Hijab Definition and Discrimination). ولقد ذكرت كثيرات من المشتركات التمييز الذي وقع ضدهن في مجال العمل عند إجراء مقابلة للحصول على وظيفة. فبعضهن وجدن صعوبات في التعامل مع المستهزئين أو المنابذين بالألقاب (name - calling) المدربين في الأماكن العامة. وقالت مشتركة إنها شعرت أن النساء المسلمات معرضات للإساءة بسبب غطاء الرأس أكثر من الرجال المسلمين. ولقد شجعت النساء في مقالات الكتاب على الحجاب كضرورة هامة جداً واستخدمن لفظ «إلزام» في بعض الحالات.

ودعا رئيس تحرير المجلة جميع الأخوات (Sisters) للمشاركة الفعالة لوضع حد للتمييز في المعاملة غير العادلة في مجال الأعمال باستبعاد أو التنكر أو أي عمل يسيء إلى هؤلاء الأخوات المحجبات.. لمضاعفة الجهود من أجل تحقيق حقوقهن المكفولة لهن أثناء إقامتهن بالولايات المتحدة وكندا. وعقد لقاء تم فيه

---

(١) المجلد ٢ رقم ٧ (يناير ١٩٩٤).

تشجيع النساء على ارتداء الملابس الإسلامية الحلال في أماكن عملهن أو في النشاطات الدينية، أو الكتابة إلى عضو مجلس الشيوخ التابعة له أو الاتصال به أو الاتصال أو الكتابة إلى الصحف المحلية أو الأهلية للاحتجاج على هذا التشويه غير المصنف أو لترتيب مسيرات سلمية في الأماكن المناسبة.

لا تذكر النساء المحجبات أن الحجاب تجربة ذات مغزى بالنسبة لهن فحسب، وإنما يعبرن أيضاً عن المضايقات التي يتعرضن لها في هذا المحيط الغربي، وكثيرات منهن أسسن بيوتاً إسلامية، ولهن اهتمام بممارسة الحقوق التي تمنحها لهن الشريعة الإسلامية في حياتهن الخاصة. وإليك بعض القصص في هذا الشأن.

● أعظم الحقوق الإسلامية منزلة هو الحجاب. فإن لي الحق أن ينظر الناس إليّ على أني سيدة ذات أخلاق فاضلة لا على أني قطعة لحم يحملقون فيها. فالناس ينظرون إلى عيني وهم يتكلمون معي، إنني أعامل على أني امرأة ذات مكانة اجتماعية مرموقة (lady) بصفة عامة. وإن كان يوجد دائماً من ينتهزون أية فرصة لكي يحكموا بالإدانة. ولولا وجود مثل هؤلاء الجهلة بالإسلام لتشجعت أكثر على أن ألتحق بعمل.

● نعيش في جماعة إسلامية قوية ومترابطة جداً. وتخرجت في العام الماضي وحصلت على درجة في «تنمية الطفل» (Child Development) بمرتبة الشرف الأولى. وعرضت عليّ عدة وظائف من سكرتيرة حتى مدرسة لروضة أطفال دون أية مشاكل بشأن الحجاب. أنا نشطة داخل الجماعة وأقوم بأعمال تطوعية.

● بسبب الحجاب أتعرض هنا للإجحاف والتحامل. وأؤكد بشكل قاطع عدم إمكان حصولي على وظيفة يتم فيها الالتقاء بالجمهور علانية.

● العقبات الوحيدة التي وقفت في طريقي كمسلمة لم تأت من المسلمين أو من الإسلام، وإنما جاءت من المجتمع الأمريكي الذي أعيش فيه. أشعر أحياناً

كأنني سمكة تسبح ضد التيار في أمريكا. كاضطراري دائماً إلى شرح الحجاب. ولقد حرمت من وظائف بسبب حجابي. وتم التمييز ضدي صراحة بطرق أخرى. وبرغم كل هذا، فكم أنا مقرة بفضل الحجاب. إنه محرر بمعنى لا تدركه النساء المتعصبات لمساواة الحقوق (pro- ERA women). أشعر بشرف تمثيلي للإسلام بمثل هذه الطريقة القوية التي تعرّف الناس أني مسلمة أينما ذهبت.

● لقد تغير مفهومي في كوني امرأة. فلم أعد أرى الحرية في البنطلونات الضيقة أو الجيبات الشديدة القصر. وإنما أجدها في الحجاب والتحشم. ولم أعد أؤمن بأن الرجل والمرأة متشابهان ومتساويان. بل إن لكل منهما دوراً يتفق تماماً مع إمكانياته. وفي نفس الوقت، لكل منا (رجالاً ونساءً) مواهبه الفردية والفريدة ويحتاج كل منا لفرصة تقويتها والسمو بها.

● كم أتمنى أن يدرك غير المسلم أن الحجاب ما هو إلا جزء ضئيل من جوهر المرأة المسلمة. إذ من السيىء جداً أن غالبية الناس تميل إلى الحكم على قيمة أي كتاب (أو أي امرأة) بحسب الشكل الخارجي. أي أنهم يقيسون قيمة الإسلام بطريقة ارتداء المرأة لملبسها الخارجي. وإذا تأملنا موقف الرجال الأمريكان في الوقت الحالي من المرأة ونحن في مجتمع يطالب بتصور طرق أخرى للحياة تكون أكثر تحرراً للمرأة نرى هؤلاء الرجال يضعون المرأة في أدنى منزلة بترويج صورة الرمز الجنسي للمرأة أما الحجاب فإنه يصرف الرجال عن «نظرتهم الشهوانية»، ويطالبهم بالنظر إلى المرأة لا على أنها «شيء» وإنما على أنها أولاً وأخيراً «إنسان».

ونجد في البحث امرأة واحدة تذكر أنها تلبس الحجاب الذي يغطي كل شيء ما عدا العينين. وقد تحجبت في الولايات المتحدة قبل سفرها إلى بلد إسلامي حيث تعيش الآن.

● إنني أتحجب من الرأس إلى القدمين ألبس القفاز والجوارب وكل شيء، وأضع غطاء الرأس تحت العباءة، وأضع الوشاح. ولقد صادفتني مشاكل

جمة. ومع ذلك لا أكاد أصدق كم كان الحجاب سهلاً. فقد تحجبت طوال ثلاث سنوات ونصف السنة في الولايات المتحدة دون مشاكل. كم من الناس تعلموا الكثير عن الإسلام بسبب فضولهم وسؤالهم عن الحجاب. والحجاب حار قليلاً. لكن عندما ترتفع الحرارة إلى ١٠٠ درجة فكل الملابس تكون حارة وإني أفضل الحجاب أكثر من أي شيء. والناس الذي يتفهمون سبب الحجاب يبدون لي العون والاحترام. إنني أتمتع بمعاملة متميزة سواء هنا أو في الولايات المتحدة. السيدات المسلمات كبيرات السن يتمنين عمل أي شيء من أجلي. أحصل على الكراسي الكبيرة في الطائرات.. ويقدمني الناس في الصف. وأحياناً يعطيني التجار في هذا البلد هدايا وخدمات مجانية.

«الدعوة» كلمة مرادفة للفظ المسيحي «التبشير بالإنجيل» (evangelism witnessing). ويتيح الحجاب للمرأة الفرصة بأن تتحدث عن الإسلام والدعوة إليه لأنها معرضة للسؤال أكثر من الرجل.. كتبت إحدى النساء تقول: «يستطيع الناس. أن ينتبهوا إلينا قادمات من مسافة ميل، بيد أن شديد الملاحظة لا يميز الرجل المسلم من غيره».

● لقد تعلمت ولا زلت أتعلم أن أعمل الحلال، وأن أتجنب الحرام. كان من الصعب ارتداء الحجاب ولكني الآن فخورة بأني مسلمة. وأن «الدعوة» إلى الإسلام تأتي بسبب الحجاب أثناء سيري في الطريق. وما عليّ إلا أن أتجاهل التحامل.. أو أن استخدمه كعامل مشجع على ممارستي لعقيدتي.

وبالإضافة إلى الملبس، هناك سلوكيات اجتماعية تحظى بالتشجيع، وتعكس الثقافة الإسلامية، كما يفسرها التراث الإسلامي في مختلف الدول الإسلامية، وتتأثر بالنظرة العائلية وبالمفاضلات الشخصية. منها بصفة عامة التواضع في السلوك والتحشم في الملبس. وهما على جانب من الأهمية بين الرجال والنساء. فعلى الطرفين التواضع في الحديث، والحذر من المغازلة، ومن الهمز واللمز. ويجب على الرجال والنساء الذين ليسوا ضمن الفئات التي نصت عليها الآية

القرآنية السابقة أن يتحاشوا الانفراد ببعضهم البعض.

وكثيرات من النسوة بعد إسلامهن، يفضلن المكوث في البيت عن الالتحاق بعمل، ولا سيما إذا كان لهن أولاد. بينما أخريات هن ضمن القوى العاملة أو يحضرن المحاضرات بالجامعات. وعلى كل امرأة أن تكتسب لنفسها «معنى» عن تكييف صورتها في وضعها الجديد كمسلمة.

● من أهم التغييرات الحرص في طريقة الكلام مع الرجال. إذ أحتاج أن يكون حديثي أكثر نضجاً، وبعيداً عن المسائل الشخصية.

● لم أعد أحيي أصدقائي لرجال كما اعتدت أن أفعل في الماضي. أو أن أتوقف لأعقد معهم حديثاً عابراً. أما زملاء زوجي في العمل وأصدقاؤه فهم بعيدون حتى عن الحديث بغير كلفة وأنا في السيارة أنتظر حضور زوجي من عمله.

● الممارسات الدينية ليست صعبة. ولكن بعض الأفكار الغربية هي التي يصعب تحطيمها، ولها القدرة على صرفك عن واجباتك الدينية. فمثلاً لا يكون المسلم جافاً وإنما مؤدباً وحازماً في عقيدته. ويصعب عليّ أن أكون مسلمة تقية عندما أريد أن اطلب من بعض الناس (الغلاظ) أن ينصرفوا (to get lost) ويعارض التليفزيون الغربي القيم الإسلامية. وهذا هو الأصعب في نظري.

● في أول رمضان لي اجتمعنا معاً وحدثنا الشيخ حديثاً دينياً. كانت هذه الأحاديث من الصفاء ومن غزارة المعنى بحيث أنها تتعارض مع البشاعة التي أراها في معاملات الناس. هذه حقيقة ملموسة أراها تضيق مجال الممارسات الإسلامية.. كيف يحدث، أن يكون صعباً على الناس ممارسة دينهم عملياً، وأن يعيشوا في حياتهم اقتداء بالنبي محمد (ﷺ).. وقد يحق لي الاعتراف بأن الأخلاقيات الأمريكية قد أصابها انحطاط كبير.. ولا شك أن من الضروري أن أشكر والداي على صلابة الأخلاق، وعلى التنشئة الأساسية التي حظيت بها حيث لا فساد أخلاقي ولا غيرة ولا غضب ولا ضغينة ولا نفاذ صبر.. ولا كل هذه

البشاعات اللاإنسانية.

● لما أسلمت كان لدي خطوط رئيسية أعبر من خلالها عن العقيدة التي اكتسبتها. وكانت التغييرات المطلوبة عسيرة التنفيذ. فلم يكن سهلاً عليّ أن أستأذن من الدراسة أو في العمل لكي أؤدي الصلاة. وعندما غيرت ملبسي (بتغطية رأسي) فقدت الكثير من صديقاتي. وكان عليّ أن أشرح لأصدقائي الرجال أنه لم يعد مناسباً لي أن أراهم مستقبلاً. فضلاً عن تجنب الكثير من أقاربي لي وقد قالوا لعائلتي أني سوف أحرق في النار.

وكلما تعمقت في الدين كلما ازددت نظافة وسكينة. وأصبحت على درجة عالية من الانضباط وقبل إسلامي لم أكن أنوي الزواج، إلا أنه سرعان ما صرت زوجة ثم أماً.

لقد وفر لي الإسلام إطاراً أتاح لي أن أعبر عن عقائدي وعما كان بداخلي من تواضع ولطف وحب. وهداني إلى السعادة من خلال الزواج وإنجاب طفلين. فقبل إسلامي لم أكن أرغب في أن يكون لي أسرتي الخاصة لأني كنت أكره الأولاد.

ولا يهم أن طرأت بعض الأمور السيئة، فقد كان عندي ما أعلق عليه همومي.. لم أشعر أبداً أنني وحيدة أو يائسة أو فاقدة للأمل.. لأني أعلم أن الله قريب مني.. وأعلم أنه يختبرني لكي يجعلني أشد صلابة. وكانت أُخُوّة الأخوات والإخوة المسلمين عوناً لي في الأوقات الصعبة.

دور المرأة في المنزل على جانب خطير من الأهمية. ولهذا تأخذ المسلمات موضوع تنشئة الأولاد والعناية بالمنزل بجدية فائقة. وأحياناً كثيرة يتلقى الأولاد دراستهم من أمهاتهم بالمنزل. ويغضب آباء النساء المسلمات عندما يفضلن البقاء بالمنزل. إنهم يخشون أن تكون تلك إشارة إلى المرأة التي تضيع فرصتها لتحقيق كامل مجدها. ويكون هذا القلق قوياً إذا كان الآباء قد تحملوا نفقات تعليم ابنتهم.

وبعد أن تتزوج المرأة رجلاً مسلماً (أو حتى بعد أن تتعرف على مسلم) تتعلم بسرعة عدم تقديم الخنزير كطعام، أو أي أكل يدخل فيه الخنزير وفي أحيان كثيرة تقرر المرأة منذ وقت إسلامها ألا تأكل إلا اللحم والغذاء الحلال. أي المذبوح طبقاً للشريعة الإسلامية. وهذه الخطوة تتطلب من الزوجين قدراً من التفاني والإخلاص لأن اللحم الحلال غير متوفر جاهزاً إلا في مدينة بها كثافة سكانية مسلمة كبيرة. فضلاً عن أن هذا اللحم أغلى ثمناً في العادة. وتتعلم الزوجة أيضاً أن تطبخ أنواعاً كثيرة من الطعام التي يحبها زوجها من ميراثه الثقافي.

● لاتباع وصية القرآن[1] في الطعام ينبغي أكل اللحوم المذبوحة إسلامياً. وهذا سهل وكنت أعلم أن الكتاب المقدس (Bible) يحرم أكل الخنزير.. وأتعجب لماذا لا يتبع المسيحيون شريعتهم. وعندما كنت آكل لحماً يكون زوجي هو الذي قام بالذبح طبقاً للشريعة الإسلامية يصبح ذلك مصدر فخر لي بأننا نتبع أوامر الله وبأن الله راض عنا. وإذا تقاسمنا اللحوم مع مسلمين آخرين. أكون سعيدة أن تهيأت لنا فرصة التعاون معهم على طاعة الله.

● وكان من الأمور المثيرة عند زيارتنا للعائلة هو تمسكنا بألا نأكل سوى اللحم المذبوح إسلامياً. كنا نمتنع عن أكل أي شيء. ولهذا كنا نحضر معنا طعامنا. وعلى الرغم من أننا كنا نشرح لهم نظام الإسلام في الذبح. فإنهم لم يكونوا راضين عن إحضارنا لطعامنا.. كانوا يظنون أن هذا نوع آخر من الرفض أو كأن أكلهم ليس جيداً بالقدر الكافي أو غير نظيف. ومع ذلك لما كانوا يحضرون لزيارتنا، كانوا يأكلون أي شيء أطبخه. وكنا نشعر بسعادة أكبر ونقضي معاً أوقاتاً بهيجة.

هناك قليل من التغييرات التي تقوم بها حديثات الإسلام مع تقدمهن ونموهن في رحلة العقيدة الإسلامية. فإنهن يتعاون ويساند بعضهن بعضاً في بداية الرحلة.

---

(١) انظر مقدمة لمترجم الحديث عن الذبح الحلال وطعام أهل الكتاب (المترجم).

ومع اشتراك جميع الطوائف الإسلامية في أحكام الإسلام الأساسية، إلا أنه توجد فروق بحسب الطريقة التي يختارونها للوفاء بهذه الممارسات في حياتهم اليومية. ويختلف من شخص لآخر، ومن ثقافة لأخرى، المدى الذي في إطاره يختارون تطبيق هذه الأحكام أو تفسيرها.

● لقد تأثرت كثيراً بحياتي التي عشتها بمصر وبالمملكة العربية السعودية، أيقنت أن معالم تطبيق الإسلام تختلف باختلاف المكان. إلا أن الأهم هو الطريقة التي نعيشها في إطار الدين، والتأكد من أن أعمالنا مصحوبة بأخلص النيات.

يشعر المسلمون أن المهم هو إنجاز «العمل الصحيح» طالما أنهم يستطيعون تحديده. ويرون أن الدين الإسلامي نظام شامل ينظم جميع أوجه حياة الفرد والمجتمع والحكومة، ولقد اطلعت المشتركات على كثير من المراجع العلمية من أجل فهم نظام العقيدة التي اخترنها. ولم تتبع المشتركات الدين دون تبصر، وإنما أنفقن من الوقت الكثير للتعلم والبحث عن الإجابات من أجل الممارسات عن علم ودراية.

● لقد تعلمت أن أعيش مسلمة سواء من الكتب أو بمعونة بعض المسلمين. والكتب الجيدة تصف الأشياء التي يجوز ولا يجوز أن تؤكل، وكيف نرتدي ثيابنا، والأشياء التي لا ينبغي أن توجد في بيوتنا.. إلخ. وعلى المسلم حديث العهد أن يتحصل على هذه المعلومات من الكتب ومن غيره من المسلمين. لأن دراسة كل هذه الأمور من القرآن والحديث تستغرق وقتاً طويلاً. وبالفعل لقد درست القرآن والحديث، ولم أتبع الدين بدون تبصر. وإذا قال لي شخص شيئاً فإني أبحثه لكي أرى بنفسي إذا كنت سوف أنتهي إلى نفس الاستنتاج بعد القراءة أم لا.

● صديقتي السعودية هي التي علمتني كيف أعيش مسلمة. فشرحت لي كيف أتوضأ وكيف أصلي، وكيف أشارك مع غيري من المسلمات. وقامت بالرد على جميع أسئلتي الإسلامية ابتداء من الزواج والأولاد إلى الحديث والفقه.

وحصلت (عن طريق السفارة السعودية) على ترجمة القرآن الكريم بالإنجليزية، فضلاً عن كتب أخرى عن موضوعات إسلامية متنوعة. كان اتباع نظام الحياة الإسلامي سهلاً بالنسبة لي لأن طريقة حياتي السابقة لم يكن بها إسراف أو تطرف. كانت اللغة العربية من أصعب الأمور عليّ. أما الصلاة والصوم والحجاب.. إلخ فما أسهلها.

● في الحقيقة لم أكن في حاجة إلى أن أتعلم أن أعيش كمسلمة لأني بالفعل كانت طريقة حياتي إسلامية. كان ملبسي محتشماً. لم آكل الخنزير، ولم أشرب الخمر. وكنت أعامل رفقائي معاملة طيبة. كنت شريفة. فلم يكن هناك ما يدعو أن يعلمني أحد أن أكون مسلمة. لقد تعلمت بنفسي. والأمور الوحيدة التي كان يجب تغييرها هي أيام الأعياد وأيام العبادة. كان ذاك غاية في السهولة عندما تحولت إلى الإسلام لأن الإسلام نظام لممارسة الحياة. والواقع أنني استمتعت بأن أجد الإسلام ييسر على الإنسان أن يكون مسلماً عملياً.

تعلمت من غيري من المسلمات كيف أعيش مسلمة. ومن نعم الله عليّ أني قابلت أربعة أزواج لهم اطلاع جيد علموني أنا وزوجي ما ينبغي على المسلم أن يعلمه. وبرغم أن أموراً كثيرة في الإسلام ليست معقدة. إلا أن الحياة في مجتمع غير إسلامي تجعل هذه الأشياء تبدو عسيرة. وشعرت أيضاً أن ذلك مرتبط بالبلد الذي يعيش فيه الإنسان. وفي أغلب المدن الأمريكية الكبيرة وبخاصة في الشمال، توجد تجمعات إسلامية كبيرة. وهذا يجعل من الميسور الحصول على أصناف الطعام اللازمة مثل اللحوم الحلال. فضلاً عن أن غير المسلمين يألفون ملبس المسلمين وبعض الممارسات الإسلامية. ولذلك فإنهم يكونون أكثر تسامحاً وأقل رعباً من وجودنا. ولقد تبين لي أن وجود علاقات وطيدة مع العائلات الإسلامية الأخرى يسهل التغلب على الصعوبات.

حقوق المرأة المسلمة

كان مألوفاً في الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي قبل ظهور

الإسلام ـ عادة وأد البنات، وقلة حقوق المرأة وسوء معاملتها. وجاء القرآن الكريم فمنح المرأة حقوقها في التملك والميراث، وفي المهر، وفي أن تقول رأيها فيمن تختاره زوجاً، وفي نفقة وحماية زوجها، وحقوق أخرى لا حصر لها.

وتقول الدكتورة رفت حسن[١] وهي عالمة في الدين الإسلامي بجامعة (Lousville States): «أتذكر كم كان شعوري بالصدمة عندما بدأت في أول الأمر ألاحظ الفرق الشاسع بين مثل الإسلام العليا وبين ممارسات المسلمين في شئون المرأة». ولقد اعتقدت المؤلفة أن النساء في البلاد الأخرى غافلات تماماً عن مقدار هذه الفروق، على الرغم من الأدوار العظيمة التي اضطلعت بها زوجات النبي (ﷺ)، «لقد ظل التراث الإسلامي خاضعاً بشدة لسلطة رب العائلة أو لشيخ القبيلة ويحرم على المرأة التقدم في مجال التعليم العالي وبخاصة التعليم الديني». مما أدى إلى أن النساء المسلمات لم يدركن مدى الاعتداء الذي وقع على حقوقهن من جانب مجتمع يتميز بهيمنة الذكور وسيطرتهم.. وغفلن عن أن الإسلام منح المرأة حقوقاً أكثر مما منحها أي دين آخر»[٢].

والأمريكيات بالمولد المسلمات لديهن الفرصة لقيادة الحركة النسائية بتقديم شرح لحقوق المرأة المقررة في شريعة القرآن. أما النساء الأمريكيات اللاتي لم

---

(١) (قضية مساواة الرجل والمرأة في التراث الإسلامي في مجال تحرر النساء والرجال).
Liberation- Testimonies of Spirit, ed. Leonard Grob, Riffat Hassan, And Haim Gordon (New York, Greenwood Press 1991), 68.

(٢) هذا العرض الموجز لقضية هيمنة الذكور وحرمان المرأة من حقوقها المقررة في الشريعة الإسلامية ولا سيما حقوقها في التعلم والتعليم العالي بصفة أخص. وهو بهذا الإيجاز الشديد ومقدم كقاعدة أو ملاحظة عامة أو حقيقة عامة عن عصور التاريخ الإسلامي الممتد خمسة عشر قرناً، وتنسحب على البلاد الإسلامية على سعتها. هذا العرض مخل، ويحتاج إلى إعادة نظر.. بل هناك ما يناقضه ففي بلاد إسلامية كثيرة وعربية أكثر نرى اليوم في «المحطات الفضائية» كثيرات من العالمات في الإسلام بدرجة دكتوراه وأستاذة جامعة وفي علوم أخرى. يتحدثن حديث العالمة المتمكنة والواثقة من نفسها.. (المترجم).

يعرفن الثقافة الإسلامية فلديهن فرصة فريدة لكي يرين حقوق المرأة الإسلامية مفسرة ومطبقة عملياً في واقع البيئة الأمريكية. هذه الأفكار كفيلة بالتأثير وواعدة بتغيير العادات التي تكون نشأت في التجمعات الإسلامية ـ أي الأمة الإسلامية.

● أحياناً أشعر أن النساء المسلمات لا تعط لهن الفرصة للحديث عن آرائهن ووجهة نظرهن في أمور تدخل في نطاق التجمعات الإسلامية. إنهن يوضعن في الخلف، ويحجبن بعيداً. وإذا ذهبت لسماع محاضرة في غير المسجد أفضل أن أجلس في المقاعد الأمامية لكي أتمكن من أن أرى وأسمع المحاضر. إنني أرتدي الزي الإسلامي. فلماذا أكون ملزمة بأن أجلس في الصفوف الخلفية لمجرد أن هناك من يعتقد أن الرجال لا يسيطرون على أنفسهم؟ أرى أن على الرجال تحمل مسئوليتهم عن تصرفاتهم الشخصية. ولا ينبغي على النساء أن يختفين عن الأنظار حتى لا تتكون عند الرجال بعض الأفكار السيئة[1]. علينا نحن النساء أن نلبس وأن ننشط بطريقة لا تشجع على هذه الأوضاع، ولكني لن أقضي عمري محبوسة في قفص أو جالسة في الصف الخلفي أثناء المحاضرات في الجامعات. إنني أستطيع أن أعيش باحترام وكرامة، وأن أعيش في نفس الوقت كامرأة مسلمة.

● أحب كامرأة مسلمة أن أرى النساء يأخذن دوراً أكثر فعالية في المجتمع، وبأن يكن متكلمات بفصاحة يأخذن دوراً أكثر فعالية في المجتمع، وبأن يكن متكلمات بفصاحة وصراحة بدلاً من أن يكن كما تصورهن ثقافات الغرب ظلالاً صامتة. والإسلام يمنح المرأة المسلمة حقوقاً كثيرة. وأحد الأسباب الرئيسية للحجاب، أن يتيح للمرأة أن تدخل في قلب المجتمع وينبغي على المرأة المسلمة أن تلعب دوراً نشطاً لكي يكن نموذجاً يحتذى به في نظر الأولاد.

إن حركة التعريف بحقوق المرأة في غاية الأهمية.. هذه الحقوق التي تعتز بها النساء المسلمات في الولايات المتحدة وكندا. ويؤمن إيماناً راسخاً بأن الله منذ

---

(١) انظر مقدمة المترجم عن المرأة والرجل وغض البصر. (المترجم).

أكثر من ١٤٠٠ سنة، قد قرر في القرآن الكريم للنساء حقوقاً، لم يحدث في أي زمن أن تحققت لهن هذه المساواة العادلة روحانياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً في كل مجالات الحياة. وبعض هذه الحقوق موضحة فيما يلي فيما يتعلق بالرعاية والمعاملة الحسنة والتعليم، والعمل أو المهنة، والنظر للمرأة نظرة مساواة بالرجل أمام الله. ولكن مع أدوار تختلف فيها بعض الشيء مسئولية كل منهما.

● لي نفس الحقوق التي لغيري من النساء. فحريتي مكفولة في التعليم وفي المهنة إذا أردت. وأعتقد في الوقت الحاضر أن النساء المسلمات يحظين بمعاملة مليئة بالاحترام. لقد تزوجت منذ أحد عشر عاماً. ولم يحدث أن أظهر لي زوجي عدم احترامه لي، أو حاول أن يحرمني حرياتي في الرأي والاختيار. لقد تجادلنا بشأنها ولكنه لم يحاول تعطيلها.

● كان زوجي لطيفاً وكريماً، ويترك لي حرية اتخاذ القرارات بشأن البيت. إنني أنظف وأزخرف منزلنا كما أتمنى. وأجعل منه مكاناً للسلام والراحة.. مكاناً يجد فيه جميع أفراد الأسرة السكينة والاسترخاء.. مكاناً ينسون فيه مشاغل خارج البيت. وعندما أردت أن أترك وظيفتي كمدرسة مستشارة قبل إنجاب طفلنا الأول، رحب زوجي بقراري بالبقاء بالمنزل. ولم يحدث أبداً أن طلب مني الاستمرار في العمل للمساعدة في تغطية مصروفاتنا.

● جانب مهم أنا ممتنة من أجله كزوجة هو أنني أفضل أن أترك شخصاً غيري يتخذ القرارات الخطيرة. زوجي هو القائد في بيتنا وأنا كما أقول لأولادي مساعدة القائد. إنني أعامل معاملة ملؤها الاحترام فضلاً عن الكرامة.. وأنا أحب ذلك.

● كامرأة مسلمة، لي حق العبادة، واختيار الزوج الصالح، وأنا أحيا حياة نظيفة. ولي الحق في الحماية وألا أستغل. وأنا ممتنة لزوج يضع زوجته في الاعتبار الأول.. لزوج يطلب رأيي ويحترمه. لا أشعر بأية أوضاع غير مواتية لي

كامرأة مسلمة. . وقد يكون الشيء الوحيد هو الحصول على وظيفة خارج المنزل. فمن الصعوبة أحياناً أن تجد عملاً (وبخاصة مع غير المسلمين).

● أقدر بصفة مطلقة حقي في ألا أكون موضع مشاحنة من الرجال بشأن التواعد، والمقابلات، أو أن أوضع في صورة أو منزلة ذميمة أو مبتذلة. . أمارس مزيداً من الحرية في اختياراتي بشأن المهنة، وبشأن دخلي من المال. . وأحدد نفقاتي الشخصية طبقاً لاحتياجاتي أنا. لا احتياجات غيري.

● اعتناقي الإسلام منحني الشجاعة في تحدي الجهل، وأن أنهض وأتحمل مسئوليتي من أجل حياتي. . حياتي كمسيحية كانت مليئة بالمعضلة تلو المعضلة، وكان أملي معقوداً على أبي أو غيره أن يخلصني. كانت إطلالتي على الحياة متوازية مع عقيدتي. وللأسف مثل هذه الإطلالة غير الناضجة لا تعوق فقط النضج الشخصي، وإنما أيضاً تؤثر على مدى احترام الذات. ولقد منحني الإسلام احترامي لذاتي مما جعلني قادرة على اتخاذ القرارات الحاسمة دون أن أخاف من عدم النجاح بسببها.

● الزوجة المسلمة غير مسئولة مطلقاً عن نفقتها في المعيشة. وعلى الزوج أن يوفر لها كل ما تحتاج إليه كالملبس ووسائل التعليم الإسلامي. فأي أموال تتحصل عليها، وأية نفقة لأولادها من زواج سابق، وأي مال من عمل، ومهرها، وإرثها. وأي شيء من هذا القبيل. . هو من حقها. فلها أن تدخره أو تنفقه كما ترى مناسباً (طالما أن ذلك في حدود الحلال). وليس من حق الزوج المساس بأي شيء من ذلك. إذا كانت تعمل فإنها تستطيع أن تساهم في نفقات المنزل إن شاءت، لأنها قضت وقتاً في العمل خارج البيت. وما يتبقى لها فهو لها وحدها. لم يدرك ذلك زوجي عندما تزوجنا. ولما شرحت له ذلك، قال: إن حظ الرجال أقل من حظ النساء. فقلت له: هذه حقيقة! فإذا تحصلتُ على حفنة من الدولارات من أي جهة، أستطيع إنفاقها في شراء ثوب جديد أو جواهر أو أن أدخرها. أما زوجي فعليه أولاً أن يغطي جميع نفقات البيت قبل أن يستطيع شراء

أي شيء لنفسه. مسئوليات الرجال كبيرة. إنني أهتم بنفقات البيت، ولكني غير مسئولة عن دفع الفاتورة شهرياً. ويعرف زوجي أن تلك هي مسئوليته الكاملة.

● حقي الوحيد الذي أراه على جانب كبير من الأهمية في نظري، هو عدم إلزامي بالعمل، وأن تتحقق لي فرصة البقاء بجوار ابنتي. ومن الجميل أيضاً أن أرى زوجي يتكفل باحتياجاتي بحسب مستواي أو أكثر دون أن يسأل.. بيت أنيق وملابس والأساسيات والمزيد.. أشعر أن المنزل هو ملك للزوجة والأم.. إنني أحب ذلك.. إنني ممتنة جداً أن تتاح لي هذه الفرصة التي لم تكن لتتحقق لو لم أتزوج. ليس هناك أي مجال موصد أمامي كامرأة مسلمة.

ماذا تركن خلفهن؟

● تقتضي الرحلة في سبيل الإسلام أن تترك النساء وراءهن أشياء كثيرة نشأن معها. ولم توضح المشتركات أي شعور لديهن بالخسارة الكبيرة أو الحزن العميق على ما يمكن أن يكن قد تركن وراءهن بسبب اعتناقهن الإسلام. الغالبية أجابت بقائمة من الشكر على توصلهن إلى أسلوب المعيشة الجديد. إلاَّ أن البعض أقرت أنه كان عليهن إعادة التكيف مع التخلي عن أشياء كن يستمتعن بها في الماضي.

● لا أشعر بأية خسارة أو أسى بشأن الحياة التي «تركتها خلفي». ولا أشعر أنني تركت شيئاً يذكر. والذي يهم هو تقدمي نحو ما كنت آمل أن أصير إليه. لم أكن أعرف ما سوف أكون.. ولكنني كنت أصلي من أجل التخلص من الطريقة التي كنت أرى حياتي تسير فيها، ومن أسلوب المجتمع.

● مررت بأصعب تغيير لما بدأت آكل اللحوم الإسلامية دون غيرها. وحرمت من استمرار تناولي ألوان الطعام الرئيسية التي كانت في وجبات عائلتي. وعند اعتناقي للإسلام، كان علينا في البداية أن نذبح بأنفسنا الشاة أو الدجاجة. وكان هذا مؤلماً.

● لا شيء في حياتي قبل زواجي أو قبل إسلامي يمكن أن يكون قد فاتني. فقد كنت دائماً أريد حلاً منطقياً لأسئلتي الدينية، والقدرة على البحث في سلام. فالدين نظام للعقيدة واستسلام للغيب. ولقد وجدت في الإسلام ما مس قلبي ومشاعري بطريقة طبيعية مثل التنفس الطبيعي.

● ليس هناك أي مجال أشعر أني تركته ورائي أو خسرته أو حزنت عليه. إنما الشيء الوحيد الذي أحزن عليه هو أن عائلتي لم تؤمن بالإسلام.

● لا زلت أشعر بالأسى والخسارة، ولكن ليس بالدرجة التي كانت في الماضي وذلك في أوقات الكرسمس. فقد كنت أحب أن أغني الترنيمات وأن أشعر بسحر هذه الاحتفالات. كنت دائماً أؤمن بالله إيماناً عميقاً (فيما عدا سنوات الكلية القليلة). وأنا الآن روحانية جداً.

● الشيء الوحيد الذي افتقدته في المسيحية هي الزينة وتقديم وأخذ الهدايا في الكرسمس.. هو ذاك.

● المجال الذي أفتقده هو عدم وجود فرصة لممارسة السباحة التي كنت أحبها، بينما زوجي لا يعرفها. وأريد أن يستمتع بها ابني. ولكني أدرك الآن أنني لن أستطيع تعليمه وسوف يتولى ذلك شخص غيري.

● أفتقد الهواء يتخلل شعري ويداعبه كما كنت في الماضي، لأني الآن أرتدي الحجاب. فأذكر نفسي بأن أكون قوية الإيمان فسوف يثيبني الله عن ذلك.

● لا أظن أن هناك أي شيء تركته خلفي، وأشعر بافتقاده. كنت قبل إسلامي أشعر بالتعب من مشاهد الحفلات، وأتمنى الزواج وإنجاب الأطفال. وكنت أرى حياتي السابقة تنحدر إلى أسفل. كانت كلها فراغاً وتفاهة. ولقد استغرق تكيفي مع الحجاب عدة سنوات.

● من المؤكد أنني تمنيت مرة في لحظة سندوتش لحم خنزير مملح (bacon).

● الشيء المؤلم الذي تركته خلفي هي المجموعة الكبيرة الهادفة من الصداقات الثرية الحميمة المفعمة بالحياة.

● لم أحزن حقاً على ترك شيء خلفي سوى البيتزا بالسجق. ولكنني وجدت محلاً في منطقتنا يبيع البيتزا بسجق اللحم البقري الحلال.

● لقد ارتديت الحجاب منذ أن أسلمت.. وبرغم اقتناعي بمدى حمايته فإني أجد في نفسي الرغبة في الانطلاق جرياً إلى محل البقالة المجاور بدون حجاب. أفتقد شاطىء البحر والسباحة والاسترخاء تحت أشعة الشمس.

● ربط كل حياتي بالله هو في نظري الجزء المليء بالمعاني في الإسلام. إنني أحتاج وأحب نظام الصلاة وكل ما يطلبه الإسلام. والآن أحب الحجاب، وأنا ممتنة أن الله أنقذني مما كنت أسير فيه، ومما ما يزال كثير من أصدقائي متورطين فيه

المرأة التي تحولت إلى الإسلام تسير في طريق جديد يؤدي إلى عالم متكامل. وهي تتقبل مجموعة من الممارسات. وإن كانت تتغير بحسب مختلف التفسيرات الثقافية. إلاَّ أنها عالمية في أساسياتها. وعلى هذه المرأة التي تمزج نشأتها الغربية بنشأة زوجها الثقافية. وبالواجبات الإسلامية العملية، وكذلك مع مفهوم الأمة التي هي الجماعة. يجب عليها عمل كل هذا، بالإضافة إلى إعادة بناء علاقة جديدة مع عائلتها الأصلية.

وعلى هذه المرأة مسئولية المشاركة من أجل شرح حقوق المرأة المسلمة في تجمعاتها سواء انتقلت إلى بلدان بها أغلبية سكانية مسلمة، أو شاركت مع مسلمات حديثات عهد بالإسلام، أو مع مهاجرات جديدات لأمريكا. ودورها يكون دور الناصح والمعلم المخلص لكل مسلمة جديدة، وأن تمد صداقتها إلى مهاجرات مسلمات جدد.. ولقد صار الجهاد بالنسبة للمسلمات الأمريكيات بالمولد واجباً شخصياً جديداً تماماً كالتزامهن أمام الله بممارسة حياتهن طبقاً لمبادىء الإسلام العملية.

* * *

٦ ـ تقبل رحلة البنات الإيمانية..

التوفيق في اختيار نموذج الحياة بين الابنة والأهل..

كانت قد مضت ثلاث سنوات منذ أخبرتنا جودي بإسلامها. وكان محرر مجلة «كنيستنا» يبحث عن مقالات عن تصالح العائلات. وشعرت أنه بإمكاني أن أكتب ما حدث. ولا سيما أن جودي وأنا بذلنا ما في وسعنا لإصلاح ذات البين. فكتبت القصة وأرسلتها إلى جودي لأحصل على موافقتها على تقديمها للمجلة. وبصفة عامة ذكرت كيف كنا محطمين لما أسلمت جودي، وكيف عملنا واجتهدنا خلال السنوات القليلة الأولى من أجل إصلاح العلاقات. واختتمت قصتي على هذا النحو:

«الفكرة الأساسية التي أؤمن بها هي أن الله هو إله العالم كله. وهو يحب الناس جميعاً. ويحرك حياتهم، وهو أساس تعبيرهم الديني. وانطلاقاً من هذه التجربة المتنامية، أستطيع أن أقول لابنتي: «يا جودي.. سوف تكونين بعيدة عني عندما تسافرين إلى إيران.. سوف أفتقدك.. ولكني شاكرة أنه خلال السنوات القليلة الماضية قمنا بإعادة بناء علاقتنا من جديد. وكنت قد حاولت التحكم في اختيارك لحياتك، دون أن أشعر أنني كنت أفعل ذلك. أما الآن فإني أؤيدك، وأدعمك في قراراتك. أقدر فيك حق التقدير قوة إيمانك بالله، واهتمامك ورعايتك للناس، وتكريسك حياتك للخير.. سوف تكونين نعمة وعطية من الله على الناس أينما كنت.

«يمكنك دائماً الاعتماد علي في الدعم والمساعدة، وفي الحب. وأشكرك على مساعدتك لي إلى أن فهمت أنك لم ترفضيني، وإنما كل ما في الأمر أنك اخترعت طريقاً مختلفاً لكي تعبري عن دعوتك في حياتك. أشكرك على امتنانك

لنا على التربية المَتينة التي منحناها لك. والتي تمكنك من بناء حياتك عليها. وأشكرك على حبك لنا. إنك ابنتنا، وصديقتنا ونافذتنا التي تطل على جزء آخر من الدنيا. أحبك. (نشرت بتصريح من مجلة (Saints Herald) (الناطق بلسان القديسين) نوفمبر ١٩٨٥).

والشيء المفاجيء حقاً هو أن جودي لم توافق فحسب على المقال، وإنما أيضاً أرسلت ردها بكتابة القصة من منظورها، وكيف أنها ناضلت في اختيارها وواجهت حبها لأبويها برغبتها في اتباع ما آمنت به. وإليك جانب جودي في القصة كما روته في حينه..

جودي محمد زادة ترد

قبل زواجنا أنا ورضا كان الدين على رأس كثير من مناقشاتنا. وعلى الرغم من أن ديانتينا لهما اسمان ووجهان مختلفان، كنا نجد أن مشاعرنا نحو الله كانت متشابهة إلى حد كبير. كان رضا الرجل الذي أستطيع معه أن أعبر عن أفكاري ومشاعري الدينية وأن أكتشفها معه. وبطريقة ما كانت الأسئلة التي أثارها بداخلي، هي التي كانت تشدني إليه، فأقترب منه أكثر. وازدهر بيننا شعور بالثقة والصداقة، واتفقت مشاعرنا على أننا نريد أن نستمر في المشاركة ودعم كل منا للآخر.

وللأسف، في الوقت الذي كنت بدأت أتعرف فيه على رضا، كان أعز صديقين لي (أبواي) يعرفان القليل جداً عنه. كيف يمكنني إذن أن أفاتح أمي وأبي بأنني وجدت شريك حياتي؟ إنني أحتاج إلى موافقتهما وتصديقهما على هذه الخطوة، كما احتجت إليهما في الماضي في أمور أخرى، لقد وثقت في أبواي لحكمتهما، وأريد الآن أن أسعدهما. كما أني تعودت دائماً أن يكونا راضيين عني. ولكنهما لا يعرفان رضا إلاّ بالكاد. وسوف يتطلب الأمر وقتاً وجهداً حتى أجعلهما منه على نفس القدر من ثقتي فيه.

وبعد زواجنا، اتفقنا على أن يدرس كل منا ديانة الآخر ليكون فهمه لخلفية

رفيقه الدينية أفضل. . وكان أملنا أن تقرب هذه الطريقة بين مشاعرنا. رغم اختلاف اسم عقيدة كل منا. واستمر تعلمنا. وذهب رضا مرات إلى الكنيسة مع أبواي وناقش المفاهيم الدينية معهما. وقرأت أنا مقالات وكتباً في التعريف بالمفاهيم الإسلامية الأساسية. ولم يكن لدى أي منا الرغبة في تحويل أحدنا إلى دينه.

كان انتقالنا إلى أركنساس قد أبعد المسافة التي بيننا وبين عائلتي. وفي هذا الوقت ازداد اهتمامي بالإسلام. وبدأنا أنا ورضا نصلي معاً. وزاد إيماننا عمقاً. ولم يكن إيماني يزيد اتساعاً فحسب وإنما كان يتجسد. وبلغ نضج اهتمامي بالإسلام أن أصبح جزءاً من كياني.

لم يكن لدي فكرة عن كيفية استقبال والداي لهذا الخبر. . بل لم تكن لدي خطة عن طريقة لتبليغهما بالأمر. وقدرت أنهما سوف يصدمان، غير أني شعرت بالارتياح وبالثقة بنفسي. كنت في حاجة إلى تصديقهما على قراري، أو على الأقل قبولهما له. وأن أكون في نظرهما مرضياً عني كما كنت في الماضي. ولكنهما لم يرضيا عني، ولم يصدقا على قراري.

بدأت الآن فقط أتكشف مدى القوة التي أمدتني بها عقيدتي في نهاية هذا الأسبوع. فقد مضت فترة من الزمن لم أكن متأكدة مما وصل إليه حال علاقتي بأبواي. . هل تحطمت الروابط تماماً؟ أم توترت فقط؟ كان رد فعل والدتي شفهياً، وفي استطاعتي معالجة هذا. أما والدي فلم ينطق إلا بالقليل، وإن كان يبدو منسحباً ومهموماً. واعتقدت أنه يلزمهما وقتاً ليتغلبا على صدمة وغضب فترة البداية، ولم أكن أعرف كم يطول هذا الوقت أو ما سوف تؤول إليه علاقتنا. إنما كنت واثقة تماماً أني لم أكن لأتخلى عن عقيدتي الجديدة، ولا عن حبي لأبواي.

وبعد عودتي أنا ورضا إلى أركنساس بعد عيد الشكر، انتابني شعور بالفراغ وعدم الارتياح نتيجة أحداث نهاية ذلك الأسبوع. كانت المحادثات التليفونية رقيقة وبها تملق. وكانت أحلامي مفعمة بمشاهد الرفض العائلي. وكنت أستيقظ وأنا

أصرخ بطريقة هستيرية. وكنت أشعر مثل أبواي أن شيئاً مني قد حدث فيه التواء. وبقيت فكرة واحدة لم تجعلني أفقد الأمل. فقد كنت أعلم أن والداي يؤمنان بنفس الإله الذي وثقت به وأحببته كثيراً جداً. ولهذا سوف أصبر عليهما، وليساعدهما الله في التئام الجرح.

تعرضت علاقتنا منذ أن أخبرت والداي لتغييرات كثيرة. ولا شك أنها قد تتعرض للمزيد مستقبلاً. . ، أستطيع أن أقول بأمانة أنه لم يبلغ حبي وتقديري لأبواي أكثر مما بلغه الآن. ولن أقايض على علاقتنا الجديدة بأي شيء آخر.

«أمي وأبي. . أشكركما على تحملكما المشقة في سبيل تفهم موقفي. وسوف أظل أعتمد عليكما في إمدادي بالحكمة والعون وسوف أحاول كصديقة لكما أن أعاونكما أيضاً» جودي. (أعيد نشرها بموافقة مجلة (Saints Herald) نوفمبر ١٩٨٥).

كان التصالح مطلوباً من كل منا. ولا أقصد أنني كنت أرغب في اعتناق الإسلام، ولكني درست الإسلام حتى أستطيع أن أقدر ما يطلبه هذا الدين من ابنتي وأصدقائها.

* * *

التغييرات التي تطرأ على حياتنا نتيجة اختيارات أفراد العائلة يمكن أن يكون لها أثر التدمير والقطيعة. وقد نتعرض للارتباك حين نبحث عن طريقة نقيم على أساسها علاقاتنا. وقد نصاب أيضاً بالقلق والإحباط. والأمل في كل هذا أنه حتى أثناء انقطاع العلاقات يمكن أن نجرب التصالح ونحن نحاول جمع شتات هذه العلاقات. ويمكن لما يستجد من علاقات أن تعكس نموذجاً جديداً للترابط والقبول. فالتصالح له طريقان يساعدان على التقريب بين الأطراف. فهو من ناحية يعالج القديم من الجرح والغضب، ومن ناحية أخرى يرسم الجديد من طرق التفكير وإعادة التوازن.

وكما أن البنات يناضلن لتحقيق معنى التوازن مع آبائهن الذين يعيشون

دورهم الجديد، هكذا يجاهد الآباء من أجل قبول رحلة البنات في اختيارهن للإسلام. ولقد عبرت المشتركات في الردود على قائمة أسئلة الآباء (ملحق ب) عن استعدادهن للمشاركة مع آبائهن إذا كانوا يرغبون في ذلك. ولقد قام بالرد على الأسئلة سبعة آباء. وسردوا قصص النضال والتوافق. وتثبت ردود البنات والآباء حدوث جرح بسبب اختيارهن أسلوباً للحياة يختلف عن أسلوب الآباء.

وتستفسر قائمة الأسئلة عن درجات ردود فعل الآباء من جراء إسلام بناتهم. وتتدرج الحالات على سلم قياس من ١ إلى ١٠ (في ١ يكون رد الفعل كامل التدمير، وفي ١٠ يكون على خير ما يرام (really okay)). وذلك لتوضيح الشعور المبدئي نحو إسلام ابنتهم. ومن جهة أخرى تتدرج على سلم قياس من ١ إلى ١٠ حالة شعور الآباء وقت قيامهم بالرد على الأسئلة. وبلغ الزمن الذي انقضى من وقت إسلام البنات إلى وقت استكمال الردود على قائمة الأسئلة من ٣ إلى ١٢ سنة.

في كل حالة كانت الأرقام في تصاعد مما يدل على زيادة تحسن العلاقات مع الوقت. فإذا كان تقدير رد الفعل ١أو ٢ في البداية يكون الشعور الأخير ٥أو ٦. وإذا ما كان تقدير رد الفعل المبدئي ٦أو ٧ يكون الشعور الأخير ٨أو ٩. ونقدم فيما يلي ثلاثاً من قصص الآباء توضح رد فعلهم، وكيف اجتهدوا من أجل تحسين الموقف.

القصة الأولى: القبول برغم القلق

أسلمت الابنة قبل أربع سنوات ونصف السنة. وكانت قد نشأت كاثوليكية، وبدأت في السنة الأولى بالكلية تبحث عن دينها. وتنقلت بسرعة بين كنيستين أخريين. والأم التي تروي القصة، قدرت مشاعرها وقت إسلام ابنتها برقم ١ في البداية، ثم توصلت إلى رقم ٦ وقت الإجابة على الأسئلة.

● بدأت ابنتي تتحدث مع رجل مسلم في البقالة القريبة منا. وعلمنا أنها

تدرس الإسلام ثم قررت أن تسلم. واحتفظت بسرية إسلامها حتى أرسلت لها سيدات من هذا الدين باقة ورد. وأنا لا أنتهك خصوصية أولادي.. ولكني في هذه المرة قررت أن أطلع على البطاقة التي مع الورد. كان مكتوباً عليها «تهانينا أن أصبحت مسلمة». لم نذكر لها شيئاً في حينه. وكان عشمي أن تأتمننا وأن تفضي إلينا بالخبر. وذات يوم سألتنا عما إذا كان يمكنها أن تحضر رجلاً ليقابلنا. وكان (من بلد إسلامي). وطلب منا الرجل الإذن بتحديد موعد لابنتنا لأنه ينوي الزواج منها. وشرح لنا أن دينه لا يسمح له بالانفراد بها قبل الزواج. لقد صدمنا أنا وأبوها. لأننا لم نعلم بقدوم الرجل إلا قبل وصوله بنصف ساعة. واجهه والدها، وعبر له عن عدم موافقته لأن النساء يعاملن في الإسلام على أنهن «أدنى درجة»، وأنهن يجبرن على ارتداء ملابس من الطراز القديم بينما الرجال يرتدون ما يروق لهم. أما أنا فقد كنت أكثر تأدباً مع الرجل. إلاّ أن صدمتي كانت في أملي في كريماتي ألا يخشون شيئاً من ائتماني على أسرارهن كما كنت أنا أفعل مع والدتي. ولهذا كنت مجروحة بشدة. ولقد سبق لابنتي أن اعتنقت ديانتين قبل ذلك، وكنت أخشى أن تتزوج من هذا الرجل ثم تكتشف بعد ذلك أن هذا الدين لا يروق لها.

لم يكن جنوني بسبب فكرة زواجها من أجنبي. وإنما من خوفي أن تذهب وتعيش معه بعيداً. ولقد سمعت عن قصص مشابهة. وإحداها بعنوان (not with my daugther (ليس مع ابنتي). وكنت قرأت شيئاً عن الإسلام وتأثرت بورع المسلمين وتقواهم. وكنت أفترض أن «الله» و «أبي الذي في السماء» واحد. وقلت ذلك لزوجها (الذي سيكون). ولم يكن في إمكاننا أن نمتنع عن الموافقة وقد بلغت سنها الخامسة والعشرين. وإذا عاملها هذا الرجل معاملة حسنة فسوف يناسبني كما يبدو أنه يناسبها. حقيقة كنا في غاية القلق بسبب ظروفها العقلية في ذلك الوقت. وبسبب كثير من تصرفاتها ومن تجارب سوء التوافق في حياتها.

إنها ابنتنا التي نحبها ونريد أن نستمر كجزء من حياتها. وفي اعتقادي أن البشر لهم الحق في اختيار علاقاتهم الخاصة مع الله، وفي ممارسة حياتهم حسب طريقتهم. ولقد تجادلنا واعترضنا وصرخنا، وكتبنا الخطابات حتى تحقق لنا القدر

الأساسي من التراضي. لقد كان وقتاً مرهقاً بالنسبة لي. وأدركت أني فقدت سيطرتي. وشعرت أن أسوء المخاوف قد تحققت. وذهبت إلى الطبيب وانتظمت في العلاج ستة شهور من تعب أعصابي.

والآن تسود بيننا علاقة جميلة وطيبة. نتجاذب أطراف الحديث.. ولكني لا أوافق على كثير مما تقول وتفعل. ويضايقني ارتداؤها الحجاب. أشعر كأن الرجال المسلمين[1] يخافون من نشاطهم الجنسي، ويقع على النساء عبء مساعدتهم في السيطرة على أنفسهم. ولقد أرادت إحدى أخواتها أن تخطفها وأن تعيد برمجتها. كما لم يستطع أحد إخوتها أن يفعل الكثير معها، ولكن الأخ الآخر فعل. وكل أقاربها يحبونها، ولكنهم يعتقدون أن عقلها مشوش.

النقاط الرئيسية في توترنا اختلافات دينية (عيسى ومحمد). وكذلك اختلاف القيم الثقافية. إننا لا نتناول الطعام معاً لأنها لا تستطيع أن تبقى في غرفة واحدة في وجود أولاد أعمامها الذكور وزوج أختها (ملاحظة: ويبدو أن هذا يرجع إلى قيود ثقافية غير عادية بمقارنتها بقصص أخرى).

إننا لا ندعو ابنتنا في حفلات المناسبات، ولا في الأعياد، لأنها لا تعترف بأعيادنا، ولا حتى بأعياد الميلاد. وهي لا تقبل أن تتناول الغداء معي في عيد ميلادها خشية أن يكون في ذلك معنى الاحتفال. وبصراحة.. كل هذا لا يعجبني أبداً. وهي ترفض أن تأتي لتلتقط لها معنا صورة تذكارية ومع الأولاد الخمسة لأن زوج أختها يكون موجوداً. أظن أن هذا مبدأ غبي.. وأعتقد أنه مبدأ ثقافي أكثر منه ديني. ويرى أبوها أنه يجب على زوجها أن يفعل شيئاً من أجل التغيير، وأنه كان لا ينبغي أن تكون هكذا تصرفاتها.. زوجها وأبوها يشتبكان في مناقشات دائمة.

إذا تعذر أن يكون للإنسان أصدقاء أو أقارب ذكوراً، فلا شك أنه شيء

---

(١) انظر مقدمة المترجم (المترجم).

صعب. حاولنا مرة أن نخصص غرفاً منفصلة للذكور وأخرى للإناث. إلاّ أن كل الذكور فيما عدا زوجها انتهوا إلى غرفة المعيشة مع السيدات. ولكني أستمتع بوجودنا مع ابنتنا، وإني أحب زوجها حقاً على الرغم من كل الضغوط.

والواقع أن جملة من الهموم التي تتسبب فيها ابنتنا لا تنجم عن اعتناقها الإسلام، وإنما مما ألاحظه على حالتها الذهنية. لقد قالت لنا إن مصيرنا إلى جهنم. وأننا ربيناها على الدين الخطأ، وأطعمناها الطعام الخطأ. وأظن أن جزءاً من هذه المشكلة ناشيء عن أنها كانت تمر بأزمة الشباب في سن البلوغ (هذا رأيي وليس رأيها). وبدأت لا تثق في الأطباء ولا في الأدوية ولا في الفيتامينات ولا في اللبن المتجانس (Homogenized milk). وبناء على ما تقدم فإن ما نتعامل معه يرجع إلى رد فعلنا أكثر مما يرجع إلى تحولها الحالي إلى الإسلام. لقد شعرت أنها تخاف من الجنس، وتخاف من الالتحاق بعمل، وتخاف من الحياة، وأنها تختبيء خلف الإسلام. أظن أن هذا احتمال وارد. ولكني أراها سعيدة وتحب زوجها وتحب طريقتها في الحياة.

ولهذا فإنه يتعين علي أن أتقبل هذا، وآمل أن تستطيع أن تحقق هي أهنأ حياة ممكنة. وكل الأمل عندنا هو أن نستطيع أن نتعلم كيف يتقبل كل منا الآخر، ويحترم كل منا الآخر أكثر فأكثر. . وأن توفق هي ووالدها إلى نوع من التفاهم.

هذه العائلة كان عليها أن تتعامل مع ممارسات فريدة لأسلوب الحياة ترتبط بثقافة الزوج، وتقضي بأن زوجته (ابنتهم) لا ينبغي أن تمكث في نفس الغرفة التي بها رجال غير أقاربها المباشرين. حتى وإن كانت ترتدي الحجاب. إن الوالدين لديهما هموم أخرى عن ردود فعل لابنتهم عن الحياة.

القصة الثانية: الانفتاح على التنوع والتغيير

هذه العائلة تعبر قصتها عن مزيد من الانفتاح ومن القبول لتنوع الأوضاع الثقافية التي تتضمن درجة أكبر من الأخذ والعطاء بين أفراد العائلة. فقد أسلمت

الابنة قبل سبع سنوات. والأب حاصل على دكتوراه Ph.D في الاستشارة، ويشغل مركزاً في كلية. والأم متوفاة وتوجد زوجة أب. وهناك أربعة أولاد بالغين من عائلة الأب وأربعة أولاد بالغين من عائلة زوجة الأب. وحدد الأب رقم ٦ لرد فعله الأول ورقم ٩ لرد فعله الأخير وفيما يلي قصة الأب:

● دراسة ابنتي في الكلية جعلتها على صلة بطلبة دوليين. وابنتي نتيجة للتوجيه العائلي على درجة عالية من التسامح تجاه الذين ينتمون إلى نظم ثقافات وعقائد أخرى. لقد ترملت وتزوجتُ من امرأة يهودية.

سافرتْ ابنتي مع بعثة التعليم العربية السعودية، وأتيحت لها الفرص الكثيرة للتحدث مع مرشدين بالمساجد، وطلبتني تليفونياً لكي تبلغني باعتناقها الإسلام. ولم يكن أول رد فعل لي هو الدهشة، وإنما كان الهم والانشغال عن كيفية تعاملها إزاء التمييز ضدها (discrimination) مستقبلاً. ولقد اختارت ارتداء الملابس التقليدية مع غطاء الرأس. ولكن يبدو أنها أجادت التعامل والتوافق مع مستوى الاختلاف الذي قابلته حتى ذلك الحين. مما دعاني إلى التخفيف من قلقي عليها.

أسلمتْ ابنتي أولاً، ثم تزوجتْ. وكان صغر سن زوجها عنها، وعدم استقراره في مهنة، من الأمور التي شغلتني بأمرها، أكثر من قضية الدين. كان هذا هو الزواج الثالث لها، انتهى الأول بالطلاق. وكان الثاني من مسلم مصري تم تصفيته طبقاً للأعراف الإسلامية. أما الزواج الأخير فقد كان زواجاً هادئاً انعقد أيضاً طبقاً للعرف الإسلامي.

في البداية ظهر بعض الفتور من أفراد العائلة تجاه زواجها وزوجها، واقتضى منهم تقبله بعض الوقت.. حدث البطء من كلا الجانبين. أما اليوم فإن كافة الأطراف أصبحت متفتحة. واقتربت الأخوات من أختهن بقوة. وإن كان يظهر أحياناً بعض التوتر تجاه أزواج الأخوات.

أصبحت الخلافات التي تثيرها قضايا القيم والعقائد محدودة للغاية، وإن تطلبت قدراً أكبر من التسامح والقبول من جانب كل فرد. وابنتي ليست متشددة

في عقائدها الإسلامية.. لأنها تطلب من الغير القبول لا التحول (conversion).. وهذا عامل مساعد.. كما أن لحسن الصلة أثر عظيم. كلنا واسع الإطلاع. شغوف بالمشاركة في تقبل الأفكار عن الحياة والسياسة وشئون العالم.

كان لهذه التجربة أثر ضئيل للغاية على توجهاتي اللاهوتية والدينية. برغم أني منهمك في اللاهوت والدين.. لقد عشت دائماً الحياة المفعمة بالتفاهم والتسامح. وأستمتع بالتعرف على نظم عقائد الآخرين.. وأسعى بجد ونشاط من أجل مزيد من التحصيل ومن المعرفة. أصبح اتجاهي الديني الحالي هو شخصية اللاأدري[١] (agnostic) من طائفة الموحدين المسيحيين.

في الأعياد يفعل كل شخص ذكراً أو أنثى ما يخصه. ولا تركز تجمعاتنا العائلية اهتمامها على الدين.. إننا نحتفل بالحياة وبأن نعيش معاً.. نتقاسم الطعام وعادات الأكل. علماً بأن تقاليد المسلمين واليهود متشابهة جداً. لا تشملنا أعيادهم الرسمية، وإنما نعترف بالمناسبات ونحترم تراث الجميع. إننا نعيش في مسكني حيث تخلع الأحذية.. ونظام الأكل في أغلبه نباتي مع بعض لحم الضأن والدجاج والسمك. وهي أمور طبيعية. أما المقتنيات الدينية والفنية فليس لها وجود في منزلنا، وأسرة ابنتي لا تفرض علينا شيئاً من ذلك.

والحفيدان كلاهما عظيمان. ونستمتع بهما كل الاستمتاع وهما مصدر سعادة كبيرة لنا.

همي الأكبر هو ما قد تلاقيه ابنتي وأحفادي ضدهم من تمييز في المعاملة (discrimination). تتعايش زوجتي مع كل هذا كيهودية في عالم غير يهودي. قد تقع في العالم أمور وحشية. فكثير ممن يسمون أنفسهم مسيحيين يحملون في قلوبهم قدراً كبيراً من الكراهية، ويجرحون غيرهم. وزوج ابنتنا فلسطيني وأغلب

---

(١) من يعتقد بأن وجود الله وطبيعته وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها (قاموس المورد ـ المترجم).

أفراد عائلته بما فيهم الأبوين يعيشون حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية. لديّ هموم حقيقية بشأن توقعاتي المستقبلية لابنتي التي تتميز بإصرار شديد إذا ما حدث أن اتخذ قرار بالإقامة في الشرق الأوسط.

وأملي في علاقتي مع ابنتي أن تستمر على ما هي عليه الآن، وأن يكون لنا علاقات إيجابية ومُرضية مع الأحفاد. عائلتنا لا مثيل لها.. تجمع في آن واحد بين المسلم واليهودي والمسيحي الموحد.. إننا بالضرورة متسامحون.

تتركز قوة هذه القصة في انفتاح العائلة على التنوع فضلاً عن حجم الإضافة التي جلبتها الابنة بإسلامها إلى العائلة. هذا المنزل يضم بالفعل الأديان كلها، وقد تمكن من فتح حدوده لتقبل نموذج جديد للحياة. ومع ذلك، فإن الحاجة ماسة إلى التوافق وبذل الجهد من كل من الابنة وعائلتها الأصلية.

القصة الثالثة: من الدمار إلى القبول

في هذه العائلة انتقلت الأم من حالة الدمار والتخريب إلى حالة القبول الدافىء جداً لما اختارته ابنتها. وإنما اقتضى ذلك سنوات عدة. أسلمت الابنة قبل ١٢ سنة. وفور علم الأم حددت مشاعرها تجاه ذلك برقم ١ ومشاعر الأب برقم ٤. ومع ذلك كانت مشاعرهما معاً وقت الرد على قائمة الأسئلة رقم ٨. وتروى الأم القصة فتقول:

● لما أرسلنا ابنتنا إلى كلية (كنيسة) خارج المدينة، كنا على ثقة أننا أرسلناها إلى مكان أقرب ما يكون من حياتنا المنزلية. ولقد قابلنا صديقها الجديد (من الشرق الأوسط) لما زرناها وأحببناه. حتى إننا دعوناه إلى منزلنا في إحدى عطلات نهاية الأسبوع. ولم يخطر ببالنا أبداً أن تصبح هذه العلاقة جادة. وكان شعورنا عن ابنتنا أنها أقوى واحدة في أولادنا الأربعة عندما اندمجت في الدين. وبعد ذلك بأربعة شهور، قالت لنا إنها لم تعد تحضر القداس. وفي الفصل الدراسي التالي عندما حول هذا الصديق نفسه إلى كلية أخرى، أرادت أن تفعل

نفس الشيء، ولكننا رفضنا. . وكنا نأمل أن تكون هذه هي نهاية هذه العلاقة، لكي تفيق ابنتنا من «الحالة» التي كانت تمر بها.

وفي الصيف التالي، استأجر صديقها شقة في مدينتنا نفسها. وانتقلت ابنتنا لتسكن مع جدتها لأن علاقتنا بها لم تكن على ما يرام. . ثم أبلغتنا في أواخر شهر يونيو أنها سوف تتزوج هذا الصديق في شهر أغسطس «بنا أو بغيرنا». وتماشينا على مضض مع الخطة، بيد أننا كنا نستبعد أن يتم هذا الزواج في يوم من الأيام. ولكنه تم في منزلنا على يد قاض كحل وسط لأنها لم تكن أسلمت بعد. ولم يكن الزوج قد أبلغ أهله بزواجه. ولهذا لم يتحقق الدعم من جانب عائلته لكي نعزز نحن معارضتنا.

ولم تمر عدة شهور أخرى، إلاّ وهي تبلغنا أنها اعتنقت الإسلام. وردِدت على الخبر بالغضب والجرح والخوف. فانصب غضبي على الزوج لترجيحنا أنه لم يكن لابنتنا أن تتخذ هذا القرار إن لم يكن قد قام بغسل مخها. وكان الجرح في ردي لما تبين لنا وقتها مدى السهولة التي تخلت بها ابنتنا عن عمر كامل من التعاليم ومن الحياة المركزة حول عيسى المسيح. والواقع أن قدرتها على نبذ هذه التعاليم خلال عدة شهور كان أمراً مدمراً. أما الخوف في البداية فنشأ من إمكان أن يسلك أولادنا الآخرون نفس هذا المسلك. وهي أكبرهم وهم ينظرون إليها باعتزاز ويحترمون رأيها.

وبمرور الوقت زاد انتباهنا للشرق الأوسط، وصرنا ننصت باهتمام للأخبار والتقارير عن الإرهابيين من هذه المنطقة. ثم تركز خوفنا عليها هي. فطالما أن زوجها ما زال في الكلية، فمن المؤكد أنهما سيمكثان بالولايات المتحدة، ولكننا لا نعلم ما يمكن أن يحدث لما تنتهي دراسته. وبعد أن أنجبت ابنها الأول، زاد خوفنا عن ذي قبل من احتمال رغبة زوجها أن يأخذهما إلى بلده. وقل هذا الخوف نوعاً ما لما حصل الزوج على الجنسية الأمريكية. وحاولنا أن نسترخي قليلاً وأن نثق به. ولم ينحصر قلقنا عليها في الحياة الدنيوية وحدها، وإنما كان أيضاً عن حياتها الأخروية.

والنص الذي كان يتردد في ذهني من الكتاب المقدس هو: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي يوحنا: ١٤:٦». وقررت أنه إذا كان هذا النص يقلقني، فلا بد من وجود نص آخر يفرج عني. ولهذا انطلقت أقرأ هذا الإصحاح كلمة كلمة. وفي الجملة الأولى توصلت إلى الإلهام الذي كنت أنشده: «لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة يوحنا ١٤:١». لقد قالت هذه الفقرة إنه إذا كانت هناك منازل كثيرة، فلا بد أن تكون هناك طرق أخرى كثيرة تؤدي إلى هذه المنازل. فعيسى يعد أماكن لمسيحيين، ومحمد ﷺ يعد أماكن للمسلمين[1]. إن الله يشق لابنتي طريقاً مختلفاً، وهي في الحقيقة تتابعه على أحسن ما تكون المتابعة. وهذا بالضبط ما يحاول كل منا أن يفعله. لا أحد في هذه العائلة سوف يحاول أن يضع العراقيل في طريق ابنتي ليصبح صعباً عليها. هذه هي القصة الرئيسية التي ساعدتني على التوافق (adjust).

وأضيف قصة صغيرة تعزز وجهة نظري: ذات يوم أصر أكبر أحفادي أن أتعلم اللغة العربية. ولما سألته لماذا يرى ضرورة ذلك، أجاب: «لأنك عندما تموتين سوف يأتي الملاك ويسألك عدة أسئلة باللغة العربية، وعليك أن تعرفي كيف تجيبين، وإلاَّ ستذهبين إلى النار». وأدركت من نبرة صوته أن إجابتي عليه يجب أن تكون جيدة، وقد تنقلب على إجابتي فتكون إجابة على نفسي أيضاً. فقلت له: «كل منا له ملائكته الخاصة الذين يعلمون تماماً ما في أعماق قلوبنا. وسوف أعرف الإجابة على أسئلة ملاكي. وأنت سوف تعرف إجابتك على أسئلتك». بدا الولد مطمئناً وشعرت بالارتياح.

في نظري أن الإجابة عن الاختلافات في العقيدة بسيطة للغاية. وكان من المفيد أننا كنا نرى ابنتنا كأم، تعمل بالكثير من قيمنا الأساسية. لقد كانت ابنة غاية

(١) سبق لنا التعليق على هذه النقطة في الفصل الرابع بأن الطريق إلى الله واحد لا يتعدد (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (المترجم).

في الاهتمام بجلب السعادة للغير، وكانت أماً رائعة لابنين عمرهما ٣و ١٠ سنوات. ولنا بها علاقة ودودة يبذل كل منا جهده للمحافظة عليها. وفي عائلتنا رابطة عائلية متينة. سوف تصمد بالتأكيد في وجه أية خلافات يمكن أن تنشأ في السنوات القادمة.

إننا محظوظون أنهم يشاركوننا احتفالات الكرسمس العائلية. ويرون أنه «عيدهم» فيشتركون معنا فيه. وعند حلول «العيد» الإسلامي يشاركون عائلة الزوج والأصدقاء.. لا أدري ما إذا كان هذا سوف يدوم.. أما الآن فهذه طريقتنا في التعامل. إننا لا نحتفل معهم في المناسبات الإسلامية لكننا نعترف بهم ونحترم القيم التي يحيطون بها حياتهم.

تتنوع القصص العائلية وتختلف.. وقد كانت كل عائلة في القصص الثلاث تريد أن تتعامل مع الموقف.. وبرغم وجود الاهتمام. وكذلك الهموم، فقد كان الجميع يبذلون جهودهم لتحديد طبيعة العلاقات. فلا بد للناس كعائلات أن تقوم بين أفرادها علاقات مستمرة سواء كانت إيجابية أم سلبية. فإذا كانت سلبية يعاني الآباء من أثر مشاعر الخيانة، أو الجرح أو الانكسار. كما أن رد فعل الآباء مع ابنتهم يمكن أن يثير نفس المشاعر عندها. إلاَّ أنه لا بد في بعض النقاط على طريق الصلح من وجود اتفاق عن كيفية التعامل مع الجرح، ووضع الحدود التي تسمح للجرح بالتأثير علينا. إننا نغفل في كثير من الأحيان عن طبيعة علاقاتنا، ولا ننتبه إلى الكيفية التي تتم بها معاملتنا للغير.. إننا دائماً على عجل للدفاع عن أنفسنا.. على عجل لسحب رؤوسنا ووضعها في الخفاء كما تفعل السلحفاة.. على عجل لمقاومة أي شيء بعيد عن مداركنا.

خطوات في اتجاه الصلح

توجد ثلاثة خيوط مشتركة في القصص الثلاث السابقة التي شارك فيها الآباء بطرق مختلفة بحسب مقتضيات كل حالة. وهذه الخيوط يمكن أن ترشدنا إلى طرق إيجابية تهدف إلى بناء العلاقة والمحافظة عليها في إطار موافقتنا الخاصة من أجل الصلح.

بداية، يوجد في الإنسان شوق متأصل يحثه على المحافظة على العلاقة الطيبة على الرغم من الجرح العميق، وبرغم الانفصال الذي يكون قد حدث. ففي القصة الأولى قالت الأم: «إننا نحبها ونريد أن نستمر معها كجزء من حياتها». ولقد كانت تجربتي الشخصية في التصالح ترتكز على الرغبة في تحسين علاقتي بابنتي. ولم يتحقق ذلك بسرعة. والواقع أن التصالح يكون أيسر لو لم يحدث أي طعن مؤلم أثناء فترة المقاومة. كما حدث معي في أول رد فعل. إذ كنتُ على درجة عالية من الغضب والجرح بحيث كنت أريد أن أنصرف بعيداً عن جودي ورضا. وأن أخرجهما تماماً من حياتي، وأن لا أعود لأتعامل معهما بعد ذلك أبداً، ولا مع «هذه المشكلة» مرة أخرى. لم تدم مرحلة الرفض الكامل هذه، ولم تستغرق سوى ليلة واحدة. وكم أنا ممتنة أن هذه التجربة وجهتني مباشرة إلى الرغبة في الانفراج. وإن دام الجرح واستمر الحزن شهوراً بعد ذلك إلى أن أصبحت على ما يرام. وإن مضت سنوات أخرى قبل أن نتوصل إلى مستوى مريح من القبول.

خيط آخر يساعد على إعادة بناء العلاقة هو «الإرادة القوية لفهم ما اختارته الابنة». وكانت إحدى الأمهات وهي في شدة لهفتها للتغلب على الموقف قد أخذت تبحث في نصوص الكتاب المقدس حتى اهتدت إلى عون ساعد على الإبقاء على خطوط القبول متصلة. وقد يكون هذا الجهد هنا اضطرارياً، أو تصرفاً إرادياً منذ البداية لاتخاذ هذه الخطوة المتفتحة. إلاَّ أن الآباء الذين لديهم حاسة قوية بالقيم الأخلاقية، ينبغي أن يكونوا قادرين على المشاركة بالشعور وبرؤية وبسماع ما تمر به ابنتهم في التجربة. وقد تكون الابنة قد «انتقلت» بعيداً جداً عن العائلة بالجرح العميق. وعلى أية حال يجب على كل فرد في العائلة أن يتخذ قراره عن الكيفية التي يكون عليها رد فعله. أما إذا كانت الابنة قد اختارت شيئاً يتجاوز قدرة العائلة على القبول، عندئذ قد يكون الانسحاب هو الحل الأمثل.

في هذه الخطوة التي تهدف إلى محاولة الفهم، قد يبحث البعض عن أسس مشتركة لتعلم ما اختارته ابنتهم. وهنا يجب الحذر. فقد يعكس الكتاب نظرة غريبة

منحازة، أو يهدف إلى تشويه ثقافي متعمد.. علماً بأنه توجد تفسيرات وشروح متنوعة داخل إطار الجماعة المسلمة. قد لا تكون متفقة مع بعضها البعض. ويمكن اتباع مقترحات الابنة نفسها عن مراجعها.. وهذه فاتحة لبداية التفكير والبحث في اللاهوت والعقيدة بما يعود بالفائدة الشخصية، وفرصة لتقوية الحياة الروحانية. وفي كثير من الأحيان نلاحظ أننا تقبلنا في الماضي مفاهيم وعقائد لم نحاول بحثها أو دراستها، وإنما اكتفينا بأننا سمعناها من الواعظ، أو أنها كانت ضمن برنامج ديني، أو «هكذا كان إيمان جدتي».

ومع الرغبة في إقامة التصالح على أحسن وجه، وإيجاد الانفتاح... من أجل التفاهم، فقد يحتاج الآباء إلى تحديد طبيعة العوامل المهمة من وجهة نظرهم، وكذلك طبيعة مشاعرهم هل هي مشاعر رفض أو إحباط أو فقدان للسيطرة؟ وقد يحتاج أفراد العائلة إلى الاعتدال مع بعضهم البعض حتى يكتسبوا القوة اللازمة لبدء رحلة إعادة بناء العلاقات، وأن يقضوا وقتهم في العمل برغم مشاعر النكران والغضب والحزن. وقد يحتاج أيضاً بعض أفراد العائلة إلى الاستعانة بمشورة من الخارج تساعدهم على مواصلة العمل حتى النهاية.

وأحد العوامل المألوفة هي الغضب. وهو انفعال طبيعي في مثل هذه الظروف. والمهم هو التعبير عنه بطرق مناسبة لكي تتاح الفرصة للانفراج والتصالح. وفي هذا الموقف قد يتجلى الله بفرجه وبالحب وبالصفح، ويستطيع أفراد العائلة أن يجدوا الراحة، وأن يتوصلوا إلى معنى لهذه المشكلة بنسيان الجروح. وإلاَّ سوف تبقى هناك مشاعر الإرهاق والألم.

وعامل آخر يعتبر مصدر حزن وقلق هو عدم قدرتنا على التنازل عن حب السيطرة، وعلى التخلي عن أولادنا حتى وهم في سن الشباب والبلوغ. إنها مهمة عسيرة على كثير من الآباء سواء اعتنقت ابنتهم الإسلام أم لا. وقد يكون للآباء تجارب سابقة مليئة بالمشاعر السلبية. فإذا ما اتخذت الابنة قراراً باختيارات غير مألوفة في نظر الآباء، تتدخل في الموقف هذه المشاعر القديمة من الخوف وعدم

الأمان والفشل. والمهم إدراك أن بعض المشاعر التي تتحرك لدى الآباء يمكن ألا تكون لها علاقة بموقف ابنتهم.

ولا يزال هناك عامل آخر وهو أن الابنة يمكن ألا تكون مستعدة لبذل الجهد لتحسين العلاقات، وبالتالي تسنح الفرصة لمزيد من مشاعر الرفض أن تتحرك لدى الآباء. وقد تكون الابنة في فترة تحاول فيها استجماع قوتها أو إعادة تجميدها في الوضع الجديد قبل أن تواجه سلطة الآباء. وقد تتأثر ببعض عوامل التغيير كالتعليم أو العمل أو الديانة الجديدة، أو التوقعات الثقافية الجديدة، أو الزواج الجديد، أو مرحلة الانتقال إلى سن البلوغ. وبالنسبة لغالبية النسوة المشتركات في بحثنا، كانت مجموعة من هذه العوامل موجودة.

والعامل الرابع هو الأمل. فهذه الحالات لا يتحقق لها في العادة الحل السريع. فقد تحدث عدة خطوات نحو الأمام ثم خطوات إلى الخلف في مشروع بناء العلاقات والمحافظة عليها. وقد يطول الوقت إذا أرادت الابنة الانسحاب لعدم استعدادها لمواصلة العمل من أجل تحسين العلاقات. وبناء عليه يتطلب الموقف مزيداً من الوقت بسبب أحزان وتطورات معينة مع الإبقاء على الاتصالات مفتوحة. إن الشعور بالأمل هو الذي يتيح لنا أن نتجمل بالصبر مع ابنتنا فضلاً عن أنفسنا.

وقد يحطم هذا الأمل بعض الأصدقاء أو الأقارب بحسن نية إذا كان رد فعلهم إصدار تعليقات من قبيل «يا لابنتكم المسكينة..! سوف تدخل النار، سوف نصلي من أجلها..» «إن النساء يتلقون معاملة فظيعة هناك..» «ماذا سوف تستطيع ابنتكم عمله إذا تركها زوجها وأخذ الأولاد إلى بلده؟..» «هذا هو أسوء شيء يمكن أن يحدث!».

وينبغي الاستفادة من هذه التعليقات لمزيد من التعاطف والتشجيع على الرؤية الجيدة لحقيقة الحالة. ومن جهة أخرى هناك أناس لديهم القدرة على الإنصات وعلى طرح الأسئلة وعلى التعاطف مع أحزاننا. فالتحدث إليهم يساعدنا على إخراج ما في داخلنا من مشاعر، ويعاوننا على كشف ما ينتابنا من غموض وارتباك.

فإذا كنا نستطيع أن نمسك بهذه الخيوط جميعاً، أو نتخذ الخطوات الأساسية لننفتح على رغبة إقامة العلاقات ومن أجل الفهم والقبول، والكشف عن هوية مشاعرنا الذاتية ومواجهتها، وبالتمسك بالأمل، هنا نكون وصلنا إلى مرحلة تقدمية من أجل التصالح. ونستطيع عندئذ أن نتعامل مع غضبنا ومع مخاوفنا ومع أحزاننا. ونستطيع أن نجد العون بمرور الزمن. وباستخدامنا للطرائق الفنية الخاصة كالصلاة والاسترخاء والهدوء والتخيل.. فكل هذا يمكن أن يساعدنا ويحمينا من الغرق في أعماق الإحباط والتخبط.

وحتى لو لم نرغب في الانضمام إلى ابنتنا في طريق الدين الجديد الذي اختارته، فسوف نتمكن من السفر معها انطلاقاً من طريقنا الديني الذي نستمسك به.

* * *

٧ ـ متابعة الطريق الديني حتى الزواج..

عندما يتحول اثنان إلى واحد في الإسلام..

منذ اللحظة الأولى التي أبلغنا فيها جودي ورضا برغبتهما في الزواج. أعربا لنا بوضوح عن عزمهما الحياة في وطن زوجها. وذلك وقت أن كان الرهائن الأمريكيون مأسورين بإيران، والعلاقات بين البلدين سيئة. وكان هذا أمراً مرعباً بالنسبة لي. فكون زوجها مسلماً لم يكن يهم. لأننا كنا نتوقع مقدماً احتمال تحوله إلى المسيحية، فضلاً عن أننا حقيقة نحترم هذا الشاب ونحبه.

وأخيراً جاء اليوم المروع.. سوف يأخذ رضا جودي إلى إيران ليعيشا هناك. وكانا قد قاما برحلة إلى إيران في بداية زواجهما. أما الآن وقد حصل رضا على بكالوريوس الهندسة وعلى درجة الماجستير في الصناعة التكنولوجية، وأتمت جودي درجة البكالوريوس في التمريض، فإنهما على استعداد للرحيل. كانت الحرب بين العراق وإيران لا زالت على أشدها.. لم يكن الجو يبدو آمناً.. وهي على هذا البعد!.. هل سأراها مرة أخرى؟

باع رضا وجودي كل الأشياء ما عدا ما يمكن تعبئته في الأربع حقائب الكبيرة التي سوف يأخذانها معهما ليبدآ حياتهما بإيران. وقضيا الليلة الأخيرة معنا. لقد كانا متأثرين وسعيدين. وكانت رؤيتهما في صباح يوم السفر في المطار وهما يرحلان، من أصعب الأوقات التي مرت بي في حياتي. كنت أميل إلى الظن أن جودي ذاهبة بعيداً عن حياتنا وإلى الأبد. كنت أريد أن أنطرح على أرض المطار وأضرب الأرض بقدمي وأصرخ. ولكني تمالكت نفسي إلى أن عدنا إلى السيارة لكي أرتمي فيها بأمان وعلى انفراد. كانت قد رحلت.. سوف لا أراها بعد ذلك!.. كانت وكأنها ماتت!.. هذا الزواج انتزعها مني.. وأخذها إلى أرض

غريبة، الحرب فيها على قدم وساق!..

ولكن الحياة استمرت، وسافرت إلى كندا في رحلة عمل. واتصل بي جو تليفونياً وأخبرني بأن جودي اتصلت به وأبلغته بأن سداً على جبل بأعلى طهران قد انهار، وأن الماء غمر المنطقة التي كانوا يعيشون فيها مع أبوي رضا. ومن بين ما يزيد على ألف قتيل من أثر اندفاع الماء وزحف الطين كان والد رضا الذي غمرته الماء في شقة تحت مستوى الأرض حيث كانت تعيش العائلة. وتلفت معظم مقتنيات الشقة تحت عدة أقدام من الطين والماء. ولقد استخرجت جثة الوالد من الماء ونظفت الشقة، وحاولوا إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

شعرتُ بحزن عميق.. نعم.. كنت حزينة من أجل والد رضا، إلاَّ أنه غمرني شعور بالأسى من نوع آخر، فإذا كانت جودي قد فقدت كل شيء كانت قد أخذته معها إلى إيران، فكيف يمكن لها أن تتذكرنا كآباء، أو كيف كانت حياتها السابقة؟ لم يتبق لها شيء يذكّرها.. فقد ضاعت الصور كلها، وضاع كل تذكار فضلاً عن أوراقها. كنت واثقة أنها سوف تنسى مع مرور الزمن.. من كنا.. ومن كانت هي.. لقد أصبحت الآن عائلة رضا هي عائلتها، وقد ينقطع الاتصال بيننا.

وبعد ثلاثة شهور أخرى تلقينا مكالمة ثانية، بأن جودي ورضا عائدان إلى الولايات المتحدة. لقد ساءت الأحوال الاقتصادية بإيران من أثر الحرب. وأنهما في حاجة إلى مزيد من الوقت لبناء مركزهما الاقتصادي قبل التمسك بالمعيشة بإيران.. يالها من مناسبة سعيدة لنا!.. سوف يعودون..! سوف تعود إلينا جودي ورضا!..

مضت الآن عدة سنوات ونحن معاً في منطقة بنفس المدينة. وكان احترامنا وحبنا لرضا منذ البداية قد ازداد نمواً ونضجاً. وكان الدور الذي يضطلع به مع زوجته وأولاده يشبه دور المسيحيين المحافظين الذين يشعرون بكامل مسئولية رب الأسرة. كان يتولى قيادة الأسرة بجدية، وكان في نفس الوقت يشجع جودي على

أن تكون شريكة فعالة في قراراتهما.

وإذا كان علينا أن نصف الأزواج بناء على نموذج زوج ابنتنا، فيمكننا القول بأنهم يتميزون باللطف والقوة والحنان والذكاء وكرم الضيافة والسعادة وهم مربون لأولادهم ويعتمد عليهم. إننا في دهشة من مدى علمه وقوة استمساكه بدينه، وبرغبته في أن ينشأ أولاده مسلمين عمليين، وأن يحميهم من الصور المنحلة في التليفزيون أو السينما، فضلاً عن شعوره بمسئولية ضمان رعايتهم، واعتماده على نفسه في تدبير شئونه المالية. وهناك أيضاً شعوره القوي نحو عائلته الأصلية، وارتباطه وولائه لوطنه.

* * *

المكانة النموذجية لدور الرجل القوي في المنزل وفي الأسرة تتمتع بقدر من الأهمية في العائلة المسيحية وبنفس القوة في الأسرة المسلمة. حيث يستحث الزوج ليكون قوة كبيرة داخل الأسرة، يوفر الدعم المالي لها، ويتولى القيادة في صنع القرارات والممارسات الدينية.

وبعض المشتركات اعتنقن الإسلام وهن ما زلن عازبات، وقلن إن زواجهن من مسلمين سيكون على جانب من الأهمية. ومن ناحية أخرى قد يكون المدخل إلى الإسلام للمرأة غير المسلمة هو زواجها من مسلم. وفي أمثلة كثيرة، نجد الاهتمام السابق بالإسلام من جانب امرأة غير مسلمة هو الذي فتح لها الطريق للاتصال برجل مسلم.

ويتضح من بحثنا أن الأزواج ينتمون أصلاً إلى بلاد متنوعة مثل إيران العراق سوريا مصر الأردن فلسطين الكويت الهند تركيا لبنان باكستان كينيا أفغانستان عمان تونس المغرب والولايات المتحدة الأمريكية. أغلب هؤلاء الرجال حاصلون على الجنسية الأمريكية أو الكندية وعلى درجة عالية من التعليم. وبعضهم خطط لأخذ عائلته إلى الوطن الأم، بينما غيرهم يعيشون بالفعل هناك. وآخرون يفضلون العيش بالولايات المتحدة أو كندا على أمل الإقامة بمدينة كبيرة تكون بها تجمعات

كبيرة من المسلمين يمارسون عبادتهم، وينشئون أولادهم.

وإحدى المشتركات في البحث كانت عازبة وقت ردها على قائمة الأسئلة، كتبت لي فيما بعد تخبرني بأنها تزوجت من مصري رائع منحها وعائلتها الرعاية والاحترام.

● قد تندهشين لماذا أقول لك كل هذا. فكل ما أود أن أقوله أن الزواج في الإسلام هو النظام الذي أتاح لي فرصة ممارسة ديني على أكمل وجه ممكن. إذ كنت وأنا أمريكية مسلمة أجد في غاية الصعوبة في البداية أن أكون مسلمة كاملة، وأن أتابع بمفردي التغييرات التي ينبغي إدخالها على حياتي، حتى لو كان ذلك تدريجياً. أما الآن وأنا مع زوجي فإني أشعر أنني بكامل قدرتي على إنجاز المطلوب مني في الإسلام. وأنا أعلم من صميم قلبي أنني اتخذت القرار الصحيح. وأنا في غاية السعادة أنني لم أوضع في موقف اتخاذ قرار المفاضلة بين الإسلام وبين عائلتي (لأن الإسلام كان سيكسب). وإنما كل امتناني أن الله هداني إلى الطريق الصحيح. ولا أقول أنه ليس لدي مشاكل ولكن ما أفعله الآن هو أنني أمعن النظر في قلبي، وأقرأ القرآن، وأشعر أن كل هذا من أفضل ما يمكن أن يكون.

مقابلة زوج مسلم

تتم مقابلة الزوجين في مواقع متنوعة ومألوفة في أمريكا: في الكلية، في مكان العمل، في النشاطات الاجتماعية، أو من خلال الأصدقاء. وهاهي قصص بعض هذه المقابلات..

● قابلت زوجي في لعبة «البنجو»[١]. كنت أجلس مع صديقة للعائلة، وكان هو يعرفها. كانت له ابتسامة لطيفة وكان الحديث معه سهلاً. كنت قد خرجت

---

(١) لعبة من ألعاب الحظ والمقامرة (قاموس المورد ـ المترجم).

تواً من علاقة مدمرة مع رجل فاسد كان يكبرني في العمر بتسع سنين، ولكنه كان يصغرني في النضج بسنين عديدة. وعندما قابلت هذا الأخير، كنت في حالة نفسية سيئة جداً تجاه الرجال، يتعذر معها التفكير في الزواج. لم يتكلم معي عن الجنس أو يشير إلى أجزاء من جسمي أو يلمسها، ولا ناداني علانية «يا سيدتي القديمة». كان من المنعش أن أعامل بهذه الطريقة. لم يكن يصحبني في أي مكان بدون قبعة كدليل على أنه «جنتلمان». شعرت باحترامه وبحبه.

● قابلت زوجي بالكلية. كان في غاية الأدب (إذ لاحظت طريقته القويمة) وكان جميل الطلعة. وعندما تقابلنا لم أكن أبحث عن أي شخص، ولكن أول ما استلفت انتباهي فيه وهو ما كان دائماً على رأس أولوياتي اهتمامه بالعائلة: الأم والأب (ولاءً واحتراماً).. وكان يجيب على أسئلتي بحلم وطول الأناة.

● قابلت زوجي بالكلية المشتركة (Community College) التي كنت مقيدة بها. كان كالشعاع الدافيء. كأن شيئاً ما طقطق بيننا. كان ودوداً، الحديث معه متعة. كان لديه شعور ديني ذاتي، وكان ناضج الفكر. ووسيماً أيضاً. أعجبني نموذج الحياة الذي كان يجسده عن مجتمع أساسه الأسرة. لقد اعتبرته صديقي، وكنا متفقين في موضوعات كثيرة بما فيها الدينية. كان هو عامل تفجير اكتشافاتي الشخصية.

● كنت مدرسته الخصوصية في اللغة الإنجليزية. وكان يساعدني في دراسة الإسلام. ولكن بعد أن أسلمت لم يكن في الإمكان رؤيته فاحترم قراري تماماً بالتوقف عن رؤيتي. وبعد ذلك بفترة، اختار لي عدد من الناس بالمسجد «زوجاً مناسباً». وتدور الدائرة وتنتهي إلى نفس الرجل الذي كنت أدرس له، والذي أدخلني في الإسلام. لقد وجدته مخلصاً ولطيفاً وكريماً وحليماً. وإذا كان في الإمكان أن يوجد «صنو لروحي» لكان هو ذاته. فقد ملأ فراغ الوحدة، وأشبع عاطفة الحب غير المشروط بشكل لم يسبق له مثيل. ولقد تقبلته عائلتي من أول مقابلة. إنهم يحبونه حباً جماً، وهو صديق للجميع.

● تقابلت مع زوجي وكنا نعمل في نفس المطعم. كنت مضيفة وكان هو يغسل الأطباق. كان حديث عهد بالبلد، ولا يتكلم الإنجليزية. كان يبدو مخلصاً وغير معقد. ومجتهداً في العمل، وكريم الضيافة.

● قابلت زوجي ونحن بالكلية. كان يعمل في المطعم المكسيكي. انجذبت نحوه لاجتهاده في العمل ولذكائه ولسلوكه المهذب. كنت في حاجة إلى شخص يراني رائعة. لقد نظر إلي على أني كاملة الصفات، وعاملني بكل احترام وكأنني ملكة (برغم أننا كنا فقراء معدمين (dirt poor)).

بعض المشتركات تحولن إلى الإسلام وهن عازبات ثم قابلن أزواجهن بطرق أخرى، وإحدى الطرق المألوفة للعثور على زوج أو زوجة عن طريق الإعلان في إحدى المجلات الإسلامية أو عن طريق كابينة أو خيمة شئون الزواج (matrimonial booth) التي تقام داخل أي مؤتمر إسلامي.

وليس غريباً أيضاً أن يخبر من هو مستعد للزواج الأصدقاء المسلمين أو المسلمات لإمكان مساعدته في البحث عن الزوجة الملائمة. والمقتطفات التالية تعطي رؤية جيدة عن العلاقة الإسلامية/ الإسلامية وعن الزواج.

● قابلت زوجي عن طريق إمام المسجد. ولقد قبلته لتدينه. لم يكن يهم أي اعتبار آخر. ولم يكن له نصيب في إسلامي لأني كنت فعلاً مسلمة. كان حفل زواجي كله إسلامياً. تحدثتُ إليه لمدة أسبوعين ثم قررت الزواج منه قبل يومين من شهر رمضان عام ١٩٩١.

● كان زواجي بناء على طلبي من أجل الحصول على دعم (ديني) يساعدني على أن أتعلم واجباتي الإسلامية. ولقد طلبت من وليّي أن يكون الرجل الذي يتزوجني مسلماً ممارساً جيداً وهي الصفة الوحيدة التي كنت أحتاج إليها. كنت أريد زوجاً يعلمني الإسلام بعمق، ويذكرني دائماً بالله سبحانه وتعالى (SWT). فقد كنت قبل ذلك مسلمة.

عائلتي لم تكن تعرف زوجي قبل الزواج. ولقد قابلوه قبل يومين من حفل

الزواج. وطلب من أبواي الإذن بزواجي قبله بيوم واحد. لم يحظ زوجي بحبهما. ولكنهما الآن متسامحان معه فقط.

● جاء زوجي الذي سيكون ليراني لأول مرة مساء يوم الجمعة. وتزوجنا بعد ظهر يوم الأحد التالي. وفي حفلنا دعونا الأصدقاء والأهل. وكان زفافي إسلامياً.. حيث ارتديت زياً إسلامياً. وليس بدلة بيضاء. وكنا في غرفتين منفصلتين. وحضر الإمام وسألني لإن كنت أقبل (هذا الرجل) وما كنت أطلبه كمهر. ولقد سمعت الإمام وهو يلقي خطبة عن أهمية الزواج. وفي هذه اللحظة انسحبت أمي وهي تقول: يا لها من مهزلة زفاف!.. بطبيعة الحال بكيت وجرحت.. غير أننا أكملنا الزفاف وإنما على إيقاع أسرع.

● قابلت زوجي بمناسبة إعلان بمجلة إسلامية أجراه أحد أصدقائه لنفسه، (وتأخرت أنا في الرد على الإعلان) غير أن صاحب الإعلان أعطى خطابي إلى رجل آخر (الذي هو زوجي الآن) كان يرغب في الزواج. تحادثنا تليفونياً من ١٠ إلى ١٢ ساعة أسبوعياً لمدة ستة أسابيع، ثم طار ليحضر إلى كنساس. كنا على ثقة ٩٠٪ تقريباً بشأن زواجنا قبل أن نتقابل، ولكن كان تقابلنا للتأكد. وتمت الخطوبة في نفس اليوم، والزواج الإسلامي بعد يومين.

كنت أبحث عن شخص يكون مسلماً قوياً نظرياً وعملياً، شخص يكون قد عاش حياته إسلامياً. بغض النظر عن طريقة حياة الناس من حوله. كنت أريد شخصاً لديه القدرة على الإنفاق على البيت. باعتبار أن تلك مسئوليته بعد الزواج. حتى ولو توفر المال لدى الزوجة. وكنت قد سمعت قصصاً كثيرة عن رجال لا يريدون أن يعملوا. أو يرغبون أن تعولهم الزوجة. ولهذا أردت أن أتأكد أن زوجي سوف يعمل ويجتهد من أجلنا. وكلما كان يزيد تعرفي عليه، كلما كنت أجده أقدر على الوفاء بالمطلوب. لقد كنت صريحة في خطابي الذي عبرت فيه عن رغبتي في رجل مسلم قوي، وأنني مطلقة ولي طفل، وأرفقت صورتي، وبرغم أنني لم أطلب صورة منه في الحال، إلاّ أنه أرسلها لي. الرؤية ليست

مهمة. فلقد تعارفنا بالتليفون بشكل جيد، وتحدثنا عن كثير من الأمور حول حياتنا.. عن الإسلام.. عن الأحداث الجارية (بما فيها بعض ما يتعلق بالمسلمين)... إلخ. وتأكدت من أن عائلته سوف تتقبل زوجة أمريكية مطلقة معها طفل (وكان هو من بلد إسلامي). ولقد أكد لي أن هذا لن يكون موضع خلاف من أي نوع بالنسبة إليهم.. وأن الجميع يختارون زوجاتهم، والبعض اختار زوجات من بلاد أخرى.

لقد كان تقاربنا وثيقاً من خلال محادثاتنا التليفونية. وكنت دائماً أنتظر مكالمته. وإذا ما مر بي يوم صعب، كنت أرغب في التحدث إليه عنه حتى يخفف عني. كنت أحب التودد على الطراز القديم. لم تتوقف عواطفنا على معرفة كل منا للآخر. ولما تقابلنا تحققنا من أن كلاً منا كان مناسباً للآخر، وأن الصداقة والمشاعر التي كانت بيننا تحولت إلى حب. الإسلام لا يبيح التواعد للمقابلة، ولا الاتصال الجنسي قبل الزواج.. إلخ. وهذا طريق مستقيم للتعارف، ولاختبار مدى الانسجام بين الطرفين. وتمت هذه الخطوة الهامة، ألا وهي التحقق من أن الشخص على المستوى المطلوب إسلامياً وشخصياً فإذا كان الطرفان كذلك سوف يحب كل منهما الآخر وينجذب إليه.

● كنت أريد شخصاً يتصف باللطف والعاطفة.. ولقد وجدته .إنه لا يصرخ ولا يضربني حسب ما هو معروف عن الرجل العربي.. كنت قد كونت رأياً أن الرجال العرب يحبون التحكم والسيطرة، ويميلون إلى العنف. ولكنهم في الحقيقة ليسوا كذلك. إنه يقول لي إنه يحبني ويجعلني أتأكد فعلاً من حبه. إنه شديد الحرص على رعايتي والاهتمام بي.

الدخول في زواج إسلامي

إذا جاوز الخطيبان معارضة عائلية في فترة الخطوبة، فإنهما يبدآن الاستعداد للدخول في الزواج. وفي العادة يكون الأمر صعباً على أبوي المرأة التي تتزوج مسلماً من بلد آخر. فقد يتشككان في نوايا الرجل، ويعبران عن مخاوفهما على

ابنتهما. وقد تكون المقابلات الأولى بين طالب يد المرأة (suitor) وعائلتها متوترة. ومع ذلك وفي كثير من الحالات بين المشتركات تزداد العائلة قبولاً واستعداداً لإقامة علاقة صداقة مع الزوج.

● كان أبواي غير واثقين من زوجي، لأنهما لم يقابلاه إلا ليلة زواجنا. ولهذا تعمدنا (بعد زواجنا) أن نقضي عدة أيام معهما حتى تتاح لهما فرصة التعرف عليه أكثر. ونجح زوجي في كسب حبهما بإعزاز. بل صار في نظر أبي الابن الذي لم يولد له. أما أمي فقد اعترفت بأنها لم تكن لتتمنى لي زوجاً أفضل منه. وبرغم معارضتهما عند اكتشافهما كيفية مقابلتي لزوجي، فإن عائلتي الآن تناصر زوجي كواحد من أفرادها.

لقد طلبت في البحث قصصاً عن زيجات إيجابية وناجحة بين المشتركات. ولا يعد ذلك تجاهلاً لحالات الزيجات الفاشلة التي تكون حدثت. فقد اتصلت بي سيدة تليفونياً بعد أن تسلمت قائمة الأسئلة، وقالت لي إنها لا تستطيع أن تذكر اسمها، أو أن ترد على الأسئلة لأن تجربتها لم تكن إيجابية. فقد سبق أن تزوجت من رجلين مسلمين الواحد تلو الآخر. وكلاهما على درجة عالية من التعليم بل أحدهما طبيب. وكلاهما كان يضربها ويسيء معاملتها. . كانت مختبئة وتخشى على حياتها.

ليس في نيتي تمجيد الزواج من مسلمين، ولكني بالتأكيد أدرك أن الزيجات الإسلامية لا تنتهي كلها بكوارث. كما تميل وسائل الإعلام الأمريكية إلى إقناعنا بذلك. ولكن قصدي من كتابة القصص الإيجابية وحدها هي المشاركة في تقديم تجارب إيجابية لمعارضة القصص السلبية التي نسمعها لتكون الصورة أكثر توازناً. فمن بين الزيجات الإسلامية، توجد الزيجات (الناجحة) و (السيئة) و(بين بين). تماماً كما هو الحال في الديانات والثقافات الأخرى. بل وقد توجد العلاقات السيئة. وهناك رجال من دول أخرى يتزوجون من أجل الحصول على (green card) (التي تتيح للأجنبي الإقامة في الولايات المتحدة، والالتحاق بعمل).

● انضممت إلى نادي أصدقاء القلم (pen pal club) عن طريق إعلان بإحدى الصحف، وتسلمت خطاباً من أحد طلبة الكلية العرب، يطلب يدي للزواج، وأعجبت به. وكان أساساً قد تزوجني ليأخذ بكارتي وليحصل على الـ (green card). وبعد طلاقي منه أقمت بمدينة (Tennessee). وأوصلني أصدقاء لي إلى مسلم آخر. كان متديناً وبسيطاً. وأجابني بصدق على كل أسئلتي. وكنت أريد زوجاً وأطفالاً. وكان أبواي متشككين قبل زواجي، لأنهما تصورا أنه لن يختلف عن زوجي الأول الذي كان مسلماً أيضاً. أما الآن فقد تقبلاه هو وابننا البالغ من العمر ثلاث سنوات. كان حفل زواجنا بسيطاً في المركز الإسلامي. ثم ذهبنا لتناول الطعام بمطعم (Ponderosa Steak House). كان الاستقبال خيالياً ولم يحضره سوى قليل من أصدقائي. وفي الليلة السابقة لزواجنا أقيم لنا حفل سمر إسلامي تقليدي (Sisters bachelorette party) ثم سافرنا إلى نيويورك أسبوعين لقضاء شهر العسل.

● سبق أن تزوجت مسلماً وكان زواجي فاشلاً. أسيئت معاملتي بدنياً وعاطفياً طوال خمس سنوات. ونصيحتي لمن تريد الزواج أن يكون لها ولي لكي يتحقق من الأخ (والمسلمون كلهم أخوة) الذي يرغب في الزواج. كان زواجي هذا سيئاً. إذ بعد أن تزوجني زوجي صلى مرة واحدة، ثم حصل على (green card) ثم انطلق يغازل النساء. وأخيراً حصل على الجنسية الأمريكية. وهو يمتلك مطعماً. وقد تزوج من مسلمة من سنغافورة، وأحضر عائلته إلى أمريكا. كل حسناتي كانت أني أمريكية المولد. وأنا الآن متزوجة من مسلم آخر، وسعيدة جداً معه.

كان الزواج الإسلامي بالنسبة للمشتركات في البحث إيجابياً بصفة عامة، ابتداء من حفل الزواج الذي يختلف في معناه عن الأسلوب الغربي التقليدي، وقد تضاف إلى الحفل أحياناً مخاوف وجروح من جانب الأهل. بينما حلم العائلات الأمريكيات أن ترى ابنتها تسير في ممشى الكنيسة، وأن يقوم الكاهن بإلحاقها برجل يوافقون عليه. ويقام القربان المقدس حسب التقليد المسيحي مع حفل

الاستقبال والهدايا والصحبة الذين يتابعون العروسين.

غير أن قصص الزواج بين مسلم وغير مسلمة، تختلف وتتنوع بحسب المواقف. فهناك زيجات أقيمت لها حفلات كبيرة (مصحوبة أحياناً بلوم الأهل وعدم رضاهم). بل هناك حالات هروب من بيت الأهل من أجل الزواج (elopements). ثم حفلات زواج صغيرة، قبل حضور قاضي السلام، أو احتفالات إسلامية.

● أقمنا حفلاً خاصاً لمسلم يتزوج غير مسلمة (زواج غير رسمي) وهو ما يسمى (term marriage) (زواج محدد المدة). وكانت مدة زواجنا تسعة وتسعين سنة. كان الحضور نحن وصديقين. ثم كان لي حفل زفاف لعائلتي في كنيسة الأبوين؟ زوجنا أبي ولم يشر إلى عيسى احتراماً لطلب زوجي. كان شيئاً جميلاً حقاً، وكانت عائلتي متجاوبة. لم تقابلنا مشاكل كثيرة لأني لم أكن مسلمة، وكان زوجي غير منتظم في ممارسة دينه. ثم كان لنا بعد إسلامي حفل زواج ثالث للإعلان عن ثبات ودوام موقفنا كمسلمين متزوجين.

● لم تبد عائلتي أي نوع من المعارضة على زواجي أو على زوجي. فلم نكن على صلة وطيدة. فقط سألتني أمي إن كنت سعيدة. ولما أجبتها نعم، قالت وهو كذلك.

تمت إجراءات زواجي على يد كاهن معمداني، لأني لم أكن أنتمي إلى أي كنيسة منذ سنين طويلة، ولم أكن أعرف أي كاهن. ولهذا طلبنا كاهن زميلاتي في السكن في ذلك الوقت. كانت الإجراءات بسيطة. ولقد طلبنا قراءة مراسم الزواج علينا قبل الحفل. وطلبنا من الكاهن استبدال كلمات: «باسم عيسى» إلى «باسم الله». وأجمل ما كان في الحفل هو الجزء الذي تم وفقاً للتقاليد العربية من غناء ورقص.

● تمت إجراءات زواجنا على يد قاضي السلام (justice of peace) بدار القضاء دون حضور عائلتي، ومع بعض الأصدقاء كشهود. وبعد عدة شهور تزوجنا

على يد شيخ في حفل صغير بحضور شاهد واحد.

● لم يكن في حفل زواجنا أية جوانب ثقافية تقليدية مثل تقديم الكعكة وقطعها وأكلها، أو رش السكر فوق الرؤوس، إنما كان زفافنا على أبسط أسس الزواج الإسلامي، حيث حضر الشخصان اللذان يرغبان في أن يكونا شريكين في الحياة، وتعاهدا أمام الله أن يعيشا وأن يعملا معاً في انسجام، وأن يبتعدا عن الذنوب. تمت قراءة مراسم الزواج باللغة العربية، وأعربت عن موافقتي على الزواج. وكمهر لي وعدني زوجي أن يقدم لي مصحفي العربي، الذي أعطاني إياه في وقت لاحق. وأهداني أيضاً شرحاً للصلاة وسجادة صلاة. وبعد إتمام زواجنا طبقاً للشريعة الإسلامية، ذهبنا إلى هيئة المحلفين (county) بدار القضاء وأتممنا زواجنا على يد القاضي (ويقضي الإسلام بأن يتبع المسلمون الأحكام السائدة في البلد الذي يقيمون فيه طالما أن هذه القوانين لا تخالف الإسلام).

● أقيم زفافنا في كنيستي ولم ينسب زواجي إلى أية عقيدة محددة. وكان قد عقد زواجنا بالمسجد في اليوم السابق على زفاف الكنيسة.

● كان حفل زفافنا جميلاً، بل وصفه البعض بالكمال. وكان الجو يومها رائعاً. فالشمس ساطعة، والبرودة منعشة. وشمل الحفل ألواناً مختلفة من الحلوى والمأكولات الأمريكية. وكنت أعتقد أنه لكي يكون الحفل نموذجياً، كان يجب أن تعزف موسيقى عربية في الاستقبال، وكنا متفقين أنا وزوجي على أن أغلب ضيوفنا سوف يروق لهم ذلك. ولقد كان حفل زفافنا حفلاً إسلامياً صرفاً. فيما عدا عاملين أولهما: والدي الذي كان يزفني إلى عريسي، والثاني حضور ضيوف غير مسلمين. وقد كنت سعيدة بحضورهم حتى يتبدد بعض الغموض الذي يحاط به الإسلام.

التعامل مع عائلة الزوج

هناك عامل على جانب من الأهمية، ألا وهو القوة أو النفوذ الذي تمتلكه

عائلة الزوج في قبول الزوجة. ولا شك أننا تعاملنا جميعاً مع هذا الموضوع في الزواج.. وهو الاجتهاد في إقامة علاقة وثيقة مع الأصهار. إلاَّ أنه تظهر الفوارق في هذا الموضوع بحسب بعد الاختلافات الثقافية. فلدى أغلب الرجال ارتباط قوي بعائلتهم الأصلية وبأوطانهم. وقد تهمهم كثيراً طبيعة مشاعر العائلة إزاء قبول الزوجة. وقد يصل إلى درجة من القوة تكفي لإفشال الزواج الذي لم توافق عليه العائلة. وبعض المشتركات تعلمن التعايش بعلاقات متدنية مع عائلة الزوج، ولكن غالبية المشتركات وجدن الحب والقبول ومتعة التعارف بعائلة الزوج. ولقد حافظن على العلاقات الطيبة مع هذه العائلات بالخطابات أو بالمحادثات التليفونية، أو بالزيارات لأوطان الأزواج. ومن حين لآخر، كان الأقارب يحضرون إلى الولايات المتحدة أو إلى كندا للزيارة أو للإقامة.

● التقيت بعائلة زوجي، والخوف يملأني حتى الموت من مقابلتهم، لما قد يكون لديهم من أفكار سيئة عن الأمريكيات. ولقد صدموا لما رأوني أغطى وجهي.. كان واضحاً عليهم عدم الارتياح بشأن الحجاب. لم تكن المقابلة حارة. إلاَّ أنه لم يحاول أحد قتلي.

نعيش في منزل عائلة زوجي (في وطنه الأصلي). ومضى على ذلك عام. ولا زلت غير مقبولة. إلاَّ أن بعضاً منهم يقابلونني بترحاب من القلب.. وأغلبهم يخشون أن أتركهم يوماً وأصطحب أولادي معي.

نعتقد أنا وزوجي أنني أصلح لأكون فرداً من هذه المجموعة، إلاَّ أني لست قريبة منهم. ولست متأكدة أنني سوف أفلح لأن أكون حقاً أحد أفراد العائلة. وكما سبق أن قلنا لدينا كم من المشاكل بشأن الممارسات الإسلامية. فعائلة زوجي متفرنجة جداً (أي متمسكة بالسمة الغربية). والفائدة من وجودنا بالقرب منهم تعود على زوجي وعلى الأولاد.. فالعائلة تمثل إطاراً كبيراً يضم أفراد العائلة الدائمة والكاملة؟

● كانت عائلة زوجي حاضرة وقت زواجنا. أم زوجي برازيلية أسلمت عند

زواجها، ولهذا كانا متعاطفين معنا إزاء بعض المشاكل. وهما الآن يعيشان بالولايات المتحدة. ومن المحتمل في المستقبل (إذا استطعنا توفير سكن أوسع)، أن يقيما بعض الشهور من كل عام معنا. وسوف يساعدان أولادنا وإياي على تعلم اللغة العربية واللغة البرتغالية. وستتركز المشاكل معهما في طريقة غذائهما المتواضعة، وفي عاداتهما السلوكية. وأنا مفتونة بالأكل الصحي (ما عدا الشكولاتة)، ويعاني زوجي مع والده بعض التوترات وعدم التوفيق إلاَّ أن الأحوال في تحسن.

إننا نعاونهما مالياً مما يجعل حياتنا أكثر صعوبة. وكانا قد خسرا كل شيء في حرب عام ١٩٦٧. وبعد ذلك مرة أخرى في حرب الخليج. وهما الآن بالكويت. إنهما بسيطان ونحن كذلك.

● أم زوجي حبيبة جداً إلي. ونبكي كثيراً عندما يحين وقت سفرنا. وكأني كنت أزور وأترك أهلي. كل من عائلتي وعائلة زوجي على علاقة حميمة متبادلة. وعائلتي ترسل هدايا، وتتصل تليفونياً عندما نكون هناك.

● قابلت عائلة زوجي في رحلة إلى بلده. إنها عائلة رائعة، لقد تقبلوني بقبول حسن برغم أني امرأة أمريكية كنت مطلقة ولي أولاد. . وبرغم أني لم أكن بعد قد أسلمت. وذلك لأني مهمة بالنسبة لابنهم وأخيهم.

وهناك بعض الجوانب التي لم أستطع تقريباً أن أوفيها. فلم يسبق لي أن أتيحت لي فرصة التعامل مع ٣٥ وأكثر من الأقارب، أو أن أدمج مصالحي بمصالحهم. ولم يحدث أن شعرت بالراحة وبالاندماج مع نسوة أقضي معهن عدة أيام في تجمعات كبيرة. ولقد جعلتهم يخصصون غرفة لأسرتي في أحد أفراح زفاف العائلة لكي أجمع فيها زوجي وأولادي معاً عندما أريد. . إنها فكرة غريبة. . كما أعلم. وكان زوجي يتحمل بصبر وبأسلوب لائق خصوصياتي في التفكير (idiosyncasies) في أغلب الأحيان، وعندما لم يكن يفعل كانت أمه تقول له أن الأفضل أن يقوم بجولة مشي معي.

والفائدة من التعامل مع هذه العائلة هي أنها حقاً عائلة بكل حسناتها وسيئاتها. وهو أمر لم أصادفه أبداً من قبل في عائلتي ذاتها.

● قابلت العشرات من أقارب زوجي في الأسابيع الأولى من زيارتنا لمصر. وكانت تجربة مجهدة. والآن أستطيع القول أنني معهم على خير ما يرام، وأنني ارتبطت بهم بعد أن عشت معهم شهرين بينما كان زوجي يعمل بالسعودية. لقد تقبلوني وشعروا بارتياحهم معي. وأغلب ظني أن ذلك راجع إلى أني أبديت لهم احترامي وأني أحب ابنهم. والفائدة أني سوف أتعلم اللغة العربية. والمشكلة أنهم دائماً على حذر من الأمريكان بصفة عامة.

بل إن هناك من المشتركات من كن مقبولات بحرارة من عائلة الزوج أكثر من عائلاتهن. والخطاب التالي كتبته سيدة لصديقتها بالولايات المتحدة أثناء زيارتها هي وزوجها لأهل زوجها بإيران.

● إنني هنا منذ أسبوع تقريباً وكل شيء رائع حقاً. إنني أعتبر أم زوجي كأمي تماماً. كم هي رائعة. كان هذا الأسبوع الأول ممتعاً. حيث المقابلات مع عائلته، ومحاولة تذكر ما هي العادات التي تستخدم ومتى. حتى إن زوجي يقول لي: إن كل فرد يقول إنهم يحبونني. وأشعر كما لو أنني مقبولة. إنهم يعاملونني كملكة. وأم زوجي تقبلني طول الوقت، وتخدمني على قدم وساق. ولكن لا أدري على وجه التأكيد ما يمكن أن يحدث لو استمرت إقامتي معهم. لقد تصرفت عدة تصرفات (worrying) غير ضرورية.

ولقد استقبلنا بالمطار جمع غفير من عائلته، وكان مشهداً مؤثراً للغاية، ولحظات لن أنساها. أمه كالملاك. لا أتصور كم طال انتظارنا كي نراها. لقد قضيت وقتاً طويلاً أذرف الدموع بسبب ما رأيت هنا. نظام العائلة هنا فريد في تماسكها بما يفوق الوصف. والسبب في بعض دموعي يرجع إلى أني شعرت بحب عائلة زوجي في أسبوع واحد بما يفوق حب عائلتي التي من دمي، والتي لم تكلف خاطرها حتى بتوديعي.

امتزاج الثقافات

كانت الزوجات يتعلمن الإسلام، وفي نفس الوقت إذا كان زوجها من بلد آخر، كن يحاولن إدخال كثير من جوانب الثقافة الجديدة في العائلة. وأشارت المشتركات إلى مزج الثقافة الأمريكية مع خلفية زوجها الثقافية التقليدية، مع بذل الجهد من أجل تفسير كل هذا إسلامياً.

● كثير من التقاليد وما يتعلق منها بالمزاج، وبطريقة الطبخ والاستحمام والتحدث، هي من تقاليد بلد زوجي. أما أسلوب الحياة الذي نشأت عليه في طفولتي فمختلف عن الوضع الحالي حوالي ١٠٠٪، وهذا الاختلاف غير مقبول في نظر تقاليدنا الأمريكية.

● بطريقة أو بأخرى اتجهت حياتنا أكثر إلى التقاليد والثقافة الإيرانية، بما فيها الطعام وطريقة إعداده، ونموذج حجابي وكثير من أعمالي. غير أن أسلوب كلامي وسلوكي (mannerism) وتفكيري لا يزال أمريكياً خالصاً.

● هناك امتزاج في الثقافات: لا أحذية داخل المنزل. . طريقة الاغتسال بعد استخدام المراحيض. . الرد على التليفون (assalamu alaikum) هذه تقاليد إسلامية، وطعامنا فارسي في ٧٥٪ من الأحوال.

● حياتنا اليومية حقيقة ليس بها ثقافة عراقية ، قد يكون بها قليل من الثقافة العربية. أولادي يلعبون لعبات باللغة العربية كان زوجي يلعبها في طفولته. ويعلم زوجي أولادنا اللغة العربية والقرآن مرتين على الأقل في الأسبوع.

● حياتنا اليومية تتضمن كثيراً جداً من تقاليد وثقافة وطن زوجي سوريا. أغلب صديقاتي من بلاد أخرى. وثقافاتهن أيضاً متأثرة. والأهم هو أن أم زوجي تعيش معنا في زيارات ممتدة إنها تحضر إلينا معها جزءاً من سوريا. وفي غيابها تكون طريقتنا أمريكية إسلامية تقريباً. إنها تركيبة من الثقافات.

● يشجعنا زوجي على تعلم اللغة العربية، وبطريقة مماثلة يحاول هو أن

يتعلم التقاليد الأمريكية (Americanisms) مثل أغاني لعب الأطفال، وقصائد الشعر، والأمثال المأثورة. إننا نحاول أن نمزج ثقافتنا بطريقة مناسبة ومريحة. وتعود كلانا على أن نكون محاطين بأناس ذوي ثقافات ولغات مختلفة عنا.

● ثقافتنا الوحيدة هي الإسلام حتى أني لا أحاول اتباع الثقافة الأمريكية. إنني أحاول أن أضع الإسلام في المقام الأول في كل شيء أعمله. عائلة زوجي متمسكة بالتقاليد والثقافة الهندية. وهذا يسبب مصاعب كثيرة عند زيارتنا لهم.

● حياتنا اليومية تشمل تقاليداً أو ثقافة إيرانية. كيف لا.. وزوجي إيراني. وهذا لن يتغير أبداً. إنه يروي لنا القصص الإيرانية، ونغني الأغاني الإيرانية، ونتناول أنواعاً من الأطعمة الإيرانية.

● حياتنا اليومية هي حياة كل يوم العادية تماماً. أما ما يختلف عن عائلتنا فهو أننا نحاول أن ننظر إلى الحياة من منطلق إسلامي، ونشرح الإسلام لأولادنا مستعينين بالأحداث التي تقع في حياتنا اليومية.

● منذ أن أسلمنا أنا وزوجي صار الإسلام المؤثر الرئيسي على حياتنا. ولا شك أنه مرتبط بأنواع أطعمة هذا البلد. وبقليل من الأقوال عند الاستيقاظ، وفي المرحاض والحمام، وعند النوم.. وأشعر أنني أدخلت تقاليدي الإسلامية في عائلتنا لأني حقيقة أريد عائلة ذات وجهة إسلامية. لقد ابتكرنا كثيراً من التقاليد الجديدة. وزوجي وحيد هنا في أمريكا.. إنه يشتاق بشدة إلى عائلته التي تركها في بلده وهو في الثامنة عشر. لهذا فإني أحاول التخفيف من حزنه باهتمامي وعنايتي ببيتي بجدية ومحبة.

تبدو المشتركات في هذا البحث سعيدات نسبياً بزواجهن وقت الرد على قائمة الأسئلة، ولقد انجذبن إلى هؤلاء الرجال المسلمين المنتمين إلى بلاد مختلفة، بفعل بعض الخصائص التي رأين فيها درجة عالية من النضج والإيجابية. ولم تكن كل المشتركات متزوجات من رجال مسلمين وقت اعتناقهن الإسلام، فإن بعضهن أسلمن وهن عازبات، وفيما بعد سعين من أجل الزواج

من مسلم ممارس لدينه.

وكما هو الحال في أي دين، إذا كان الزوجان «متشابهين عقلياً» في ممارستهما الدينية، فإن ذلك يعمل على تحقيق الانسجام والاستقرار في حياتهما معاً.

* * *

٨ ـ تنشئة الأطفال في ظل عقيدة أخرى..

أطفال مسلمون في المجتمع الأمريكي..

في الماضي كنا نصطحب أولادنا معنا إلى مخيمات الكنيسة للمعسكرات الكنسية العائلية السنوية خلال فترة نشأة الأولاد. وكانت جودي تذهب إلى مخيمات معسكرات الشباب. هذه هي الأرضية التي حدثت عليها تجارب النمو الجيدة في حياتها الروحانية خلال فترة طفولتها وشبابها.. في حفلات السمر.. في خدمات الصلاة في صفوف الدراسة (classes).. في دراسة النصوص المقدسة.. في الرفقة الطيبة لأصدقاء مسيحيين، فانطبعت حياة جودي باختبارات (challenges) لعبادة الله واتباع إرادته.

وفي سن الخامسة عشر وأثناء مشاركتها في معسكر للشباب كتبت جودي قصيدة شعرية أحست كأنها «إلهام». والقصيدة تتحدث عن حياتها بطريقة فريدة.

الإلهام:

في أي مكان أكون فيه هو منزلي

والناس الذين في صحبتي هم عائلتي

ستكون هناك أشياء مختلفة

حيثما أتجول.. حيثما أذهب

سوف أذهب وأنا سعيدة

لا تقلق علي.. إنني لا أسير وحدي

فإن الله يسير إلى جانبي

وأثناء سيرنا معاً نتحدث بنبرة مفعمة بالعاطفة

معاً نحافظ على صحبة كل منا.

سأذهب حيثما يريد مني.. إلى حيث يقودني..

ولو أن الطرق قد تكون طويلة ومفزعة

لن أتذكر الكلمات الجافة التي تقال

وإنما أتذكر الناس الذين أعتقد أنهم سوف يساعدون وهم متعبون مرهقون..

الأوقات التي سوف أتذكرها ستكون أوقاتاً سعيدة.

لن يهم ما سيقوله الآخرون

الباطل الذي سيكون هناك لن ينتصر

لأن الله معي على طول الطريق

جودي أنوي يونيو ١٩٧٨

كنا ذاهبين إلى ذات المخيمات في إجازة نهاية هذا الأسبوع. ولكن هذه المرة كان هناك فرق. إذ كان الحاضرون مجموعة مختلفة من الناس. كان جودي ورضا قد أدرجا اسمهما في المخيمات التابعة لمجموعتهما الإسلامية. وكنا مدعوين للذهاب. وكما كان جميلاً أن نساعد في بعض عمليات الطبخ، ونتعرف بالناس. ونحضر للمعاونة مع حفيدنا. كنا وحدنا الغير مسلمين من بين الحاضرين. ولم يبد أحد أي التفاتة إلى أني لم أكن أغطي رأسي بوشاح.

كانت إجازة نهاية الأسبوع هذه مع المسلمين مريحة للغاية، أغلبهم في سن البلوغ مع أولادهم. وكل النساء يرتدين الحجاب، وملبس الرجال بسيط، وسعادة الأطفال كبيرة بوجودهم خارج الدار. وكان حمام السباحة موضع انجذاب شديد، غير أن التعليمات كانت مختلفة هذا الأسبوع. إذ كانت البطانيات معلقة كالسياج

حول حمام السباحة لعمل حاجز حيث ذهبت النساء للاستحمام مع أولادهن الصغار. وكان هناك وقت آخر مخصصاً للرجال والأولاد الأكبر سناً.

وفي أوقات تناول الطعام أكلنا جميعاً ومعاً في صالة الطعام. واستمتعنا بتفاعل الزيارة والمشاركة. كان يسود جو من الصداقة والتعاون حيث كان الرجال والنساء يعملون في المطبخ، والعناية بالأطفال، والصيد في البحيرة، والتمشية، وفي إمتاع بعضهم البعض بصفة عامة. كان الرجال والنساء يبدون الاهتمام والاحترام في تعاملهم مع بعضهم البعض كما تقضي بذلك مبادىء السلوك الإسلامية. والحق أنني لم أكن أعلم كيف كان ذلك يتم غير أن الرجال كانوا يجتمعون معاً كما كانت النساء معاً.

ورأيتهم يصلون في صالة الطعام عدة مرات، ويصطفون صفوفاً، الرجال معاً ومعهم كبار الأولاد، والنساء معاً بينما الأطفال الصغار يشقون طريقهم بين صفوف المصلين دون أن يزعجوا أحداً. كانت صالة الطعام هذه هي التي حضرت إليها من قبل مع نساء المعاشات حيث درسنا وصلينا وسعدنا بالصحبة. شعرت بالقرب بيني وبين هؤلاء المسلمين. كانوا عباداً لله حضروا إلى هذه الأراضي التي في نظري مقدسة. ليؤدوا صلاتهم، ويعربوا عن تمسكهم ورغبتهم في العيش حياة طيبة، تماماً كما سبق أن فعلت مرات ومرات في الأعوام الماضية مع غيرهم.

وكان يسعدني أن أعلم أن أحفادي سوف ينشأون في عائلة بهذا النوع من الاستمساك بالله وبالأسرة. وذات يوم وأنا في منزل ابنتي، كنت أجلس على السرير ومعي الحفيدة فاطمة. وكانت جودي في نفس الحجرة تؤدي صلاة الظهر باللغة العربية. وكانت ترتدي ملبس الصلاة. وتصلي على سجادة خاصة. وكان حفيدي (Emaun) الذي يقارب الأربع سنوات يسير نحوي ببطء. كان قد استمع إلى والده (Baba) (كما ينطقها) ووالدته (Mama) وهما يصليان إلى الله باللغة العربية عدة مرات في اليوم. وذلك خلال سنوات عمره المعدودة. وقال لي Emaun: «يا جدتي هل أنت تؤدين «نماز» (namaz)؟ قلت: «هل تقصد الصلاة؟» قال:

«نعم» قلت: «إنني أصلي إلى الله، ولكن بطريقة مختلفة» سأل: «وماذا تقولين يا جدتي؟».

فأجبته أنني أؤدي صلاتي الخاصة إلى الله. وهنا أدرك Emaun أنني لا أتكلم سوى الإنجليزية، ولا أعرف لغة بابا الفارسية، ولا لغة صلاتهم العربية. ولهذا قال بعد ردي عليه: «ولكن يا جدتي، الله لا يعرف الإنجليزية». وفيما بعد تحدثت إليه جودي وساعدته على أن يفهم أن الله يعرف كل اللغات.

* * *

ويلقن الإسلام للمولود منذ أولى لحظات حياته، إذ يقوم الأب أو أي شخص بالغ بالهمس في أذني الطفل بكلمات آذان الصلاة وإقامة الصلاة. وفي العادة تذبح شاة خلال الأيام أو الأشهر الأولى بعد ميلاد الطفل. ويوزع اللحم على المحتاجين. واختيار الاسم الحسن من الأمور الهامة جداً حيث يؤثر الاسم على الطفل بشكل إيجابي. ويجب اختتان الصبيان. وتقع على الأبوين مسئولية تعليم أولادهم الوضوء والصلاة في سن التاسعة. ومن عقائد الإسلام أن الله يثيب الآباء بالبركة والغفران عن بذل الجهود الطيبة في تربية الأطفال.

وتوضح ردود المشتركات اللاتي لديهن أطفال أن أهم الأدوار والالتزامات أن يتحملن المسئولية العائلية كاملة.. من تشكيل الأولاد النموذجي في السلوك اليومي والالتزام الدائم. وتريد المشتركات تنشئة أولادهن لمواصلة حمل العقائد والتعاليم الإسلامية. وممارستها ممارسة عملية ملتزمة. وإني أرى ذلك التدريب(١) والتشكيل اليومي الواضح مع أحفادي.

وذكرت المشتركات أن مسئوليتهن كزوجات وأمهات هي توفير الجو الهادىء

---

(١) ولماذا تسميه المؤلفة تدريب وتشكيل يومي؟ ولماذا لا تسميه أداء الفرائض والسنن الإسلامية التي لا يكون المسلم مسلماً إلا بها؟ وهي كلها عبادات تتجاوب مع الفطرة السليمة. ولا تشبه عملية التنصير والتهويد التي يذكرها الحديث النبوي. (المترجم).

والمريح في السكن يتغذى فيه الزوج والأولاد. وإذا كان للزوجة عمل خارج المنزل، فلا ينبغي أن يتعارض مع مسئوليتها كزوجة وأم. إن حقها في الإعالة (التي تقع مسئوليتها على الزوج بتوفير الدعم المالي الكامل للأسرة) مكفول أساساً من أجل تحريرها في أدوارها في الإنجاب والإرضاع وتربية الأولاد.

● أما بالنسبة لتربية الأولاد، فأنا الوكيل الأول المقيم معهم ٢٤ ساعة يومياً. وتقع في الغالب عليّ مسئولية التربية والنظام بينما يقوم الأب بدور فعال جداً في رعاية الأولاد وتعليمهم.. إلخ.

● القرآن يعلم الأولاد أن عليه (أو عليها) احترام الوالدين وطاعتهما. إلا لو طلبا منهم شيئاً يصادم تعاليم القرآن. ويتعلمون في المدارس الإسلامية الالتزام بطاعة واحترام الأم. إذ سوف يأتي وقت تبلغ فيه الأم سن الكبر، ويحين عندئذ دورهم في رعايتها. ويطلب منهم تقبيل يد أمهم[١] التي عن طريقها سيدخلون الجنة.

التأكيد على التدريب الإسلامي

عبرت المشتركات عن قلقهن بشأن تربية الأولاد في عديد من الأماكن. إنهن يحرصن بصفة خاصة على أن تنقل للأولاد القيم والمفاهيم الإسلامية عن الجماعة المسلمة وعن الدين. وبما أنهم يعيشون في بلد غير إسلامي، فإن الصعوبة تزيد بعض الشيء، مما يشعرهن بضرورة بذل المزيد من الاهتمام بشأن تدريب الأولاد[٢].

● منذ أن أسلمت أصبحت شديدة القلق بشأن ما تسمعه طفلتي وما تراه

(١) تقبيل أيدي الأمهات والآباء وكبار السن والعلماء ليس له سند في الدين الإسلامي يأمر به أو يحث عليه. وإنما هو تقليد وعرف غير ديني في بعض البلاد وليس كلها. (المترجم).
(٢) انظر التعليق في هامش الصفحة السابقة.

وما يؤثر عليها. أريد تنشئتها على أن تختار الإسلام بنفسها لنفسها. ولا أجبرها عليه. طبعاً وأنا أربيها أتخذ القرارات التي أراها صحيحة. إنني ألقنها قيماً أخلاقية نادراً ما تدرس للأطفال هذه الأيام في هذا البلد. وأعتقد أن مسئوليتي كأم أن أربي الجيل الجديد للمسلمين ليكونوا مسلمين صالحين، نجلات وأنجال صالحين، أخوات وإخوة صالحين، أزواج وزوجات صالحين، أمهات وآباء صالحين.

زوجي في نظر ابنتي هو النموذج الأمثل لدور الرجل. إنه ليس أبوها الطبيعي، إلا أنها تحبه كما لو كان كذلك. وهو يحبها أيضاً كما لو كانت ابنته الحقيقية. إنني أشعر أنه يريد أن ينقل إليها أفضل القيم، وإلى أولادنا الذين سنرزق بهم.

وسوف أكون معهم معظم الوقت بحيث أن ما يتعلمونه سوف ينقل إليهم أغلبه عن طريقي. إنني أرغب بشدة أن يكون زوجي أكثر فعالية في تربية أولادنا لأنهم يحتاجون إلى نماذج نشطة لدور الرجل المسلم.. نريد أن نعطيهم الحب والحنان، ونحاول تشكيلهم بلطف حتى يكبروا، وهم على علم بأنهم جزء من أسرة مسلمة يسود فيها الحب.

● علينا كمسلمين أن ننشيء ونعلم أولادنا على قدر ما نعلم وأكثر. والإسلام يشجعنا على تحصيل العلم. وكل شيء أفعله كأم يدخل فيه شيء إسلامي: تلقينهم الحب، تعليمهم القرآن، والصلاة، والعادات الحسنة، والنظافة.. إلخ. والحق أن كل شيء يصبح سهلاً عندما يكون الإسلام في قلبك. وهناك أشياء كثيرة بشأن تربية الأولاد أكثر مما أقول. وإنما كل ما عندي من معلومات يأتي من الإسلام. ويلعب زوجي دوراً هاماً في تربية الأولاد أكثر مما ينتظر من والد يعمل من الثامنة إلى الخامسة. وعليّ أن أكون أكثر من مثل، وأن أفعل أكثر وأكثر بل وأحسن ما في وسعي في الرعاية والاهتمام.

● نحاول أنا وزوجي أن ننشيء أولادنا على عقائد الإسلام. ومع ذلك فهي عملية صعبة بمجرد أن يبلغ الأولاد سن المدرسة. إنهم يتعرضون لأمور كثيرة

إلى درجة أن من الأفضل ألا يتعلموا أشياء وهم في سن صغير. Alhamdulillah لدينا نجلتان محجبتان، ولهذا أظن أننا نعمل بشكل جيد. وآمل من أولادي أن يشعروا دائماً بحرية الحضور إلي لمعاونتهم في أي سؤال عن الإسلام. وفي المقابل، أنتظر منهم أن ينصتوا إلى أي توجيه لهم يصدر مني.

كثيرات من المشتركات أعربن عن أن أمومتهن لم تختلف كثيراً عن الكيفية التي كانت عليها تربيتهن. فيما عدا التأكيد على المبادىء الإسلامية والتمرس عليها. وهن مدركات، ومتنبهات إلى المؤثرات الموجودة في حياة أولادهن، ويحاولن تجنيبهم الضار منها حتى في ظل توجيههم الوجهة الإسلامية.

● ينشأ أولادي على مثل ما نشأت عليه ما عدا أني آمل أن أعلمهم في المنزل (home school). تربيت في طفولتي في عائلة متماسكة جداً: قيد على التليفزيون، وعلى عديد من الكتب، وعديد من المعسكرات، فقيود على الصديقات وعلى الجمعيات. وكان يوم الأحد يوماً عائلياً صرفاً.

زوجي يعمل ٥ أو ٦ أيام في الأسبوع، من ١٢ إلى ١٤ ساعة يومياً. وفي فترة الراحة يلعب مع الأولاد. وكثيراً ما يأخذ طفلنا الذي عمره ثلاث سنوات خارج المنزل لإعطائي فرصة للراحة.. ألازمهم ٢٤ ساعة. ولذلك فمعظم التربية والنظام مني. يجب تربية أولادنا ليتكون عندهم شعور بالاعتداد بالنفس وبالثقة بالذات. وعليهم أن يتعلموا الإسلام على أنه مبني على مبادىء وقيم ومنطق لا مجرد و... و... علينا أن نساعدهم على العثور على أفضل عمل في الحياة.

● برغم أن بعض ممارساتي في تربية الأولاد مستمدة من تقاليد عائلتي منذ طفولتي، إلاّ أنها متأثرة بالإسلام. لا سبيل إلى فصل هذا عن ذاك. علينا تنشئة أولادنا إسلامياً إذا كنا نريد الوفاء بجزء من التزاماتنا كمسلمين.. كتعليمهم الصلاة والصوم.. زوجي متعاون جداً، ولكنه أغلب الوقت خارج المنزل. ولهذا تقع معظم مسئولية تعليم الأولاد عليّ. أتعشم أن يحترمني أولادي ويطيعوني كما ورد بالقرآن.

● كان الإسلام مرشداً لي في تربية أولادي. فقد ولدوا مسلمين. وهم يعرفون الإسلام ويحترمونه ويمارسونه. ويؤدون الصلوات الخمس مثلي. ويدرسون تعاليم الإسلام أسبوعياً. الإسلام هو أسلوب حياتنا.. زوجي شريك متساوي.. يريد أن يكون جزءاً هاماً في حياة أولادنا، وهو كذلك.. علاقتهم بوالدهم وطيدة.. وعائلتنا قوية.. لا وجود لخطر مشاكل الضلال. أولادي على أرض صلبة في وقت يزخر بعنف العصابات وبضغوط أخرى مماثلة.

يميل الآباء إلى الإعراب عن سياسة «حب متينة» ويتوقعون أن يحترمهم الأولاد وأن يستجيبوا لهم. والنظام قائم.. ولكن بطريقة مفعمة بالحب والتوجيه. أما العقاب القاسي والخشن فغير وارد في بيان المشتركات، ولا أي تنويه إلى أن الخشونة والانحراف في السلوك يمكن قبولهما في نظر الإسلام. وتعكس الإجابة التالية رؤية عن النظرية والتطبيق في مجال السلوك كما توضحه إحدى المشتركات:

● يجب على الآباء أن يكونوا محبين وعطوفين على أولادهم. ويحرم الإسلام الإهانة والضرب والتوبيخ القاسي وإثارة المشاعر. وهي صور سيئة لا يجوز للآباء اللجوء إليها.

ولدينا مأثورات عديدة عن النبي محمد ﷺ ضد سوء المعاملة، من أجل هذا حاولت أن أشرح شفهياً لأولادي مآل الكفر، كما أوضحت لهم السلوك الصحيح. والأولاد وهم في سن مبكرة لا يتوقع منهم أن ينجزوا الأفعال الحسنة. وهم لا يستطيعون الاستفادة من الشيء الرائع لأنهم لا يفهمونه. إنهم يفهمون فقط أنهم سيتعرضون للإصابة. فإذا انطلق طفل يجري في الشارع، أمسك به في يده، وقربه إليك، وضمه بين ذراعيك.. خذه إلى مكان آمن وراقبه حتى لا يتكرر منه ذلك. أما الصفع أو الضرب فلا يردع الطفل. وإنما يغضبه ويجرح مشاعره.. وهذا يدفعه إلى محاولة تكرار الخطأ في غياب رقابة الأهل.

يناقش زوجي الوقائع التي تحدث وتصرفات أولادنا. ويبرز أخطاءهم في أحكامه لأنه يحبهم ويريدهم أن يتعلموا إتيان الأعمال الصحيحة إذا تعرضوا لمواقف

مشابهة مستقبلاً. إنه يريدهم أن يتعلموا أنهم مسئولون ليس فقط عن تصرفاتهم، وإنما أيضاً عن نتائج هذه الأعمال. وأنا أيضاً أناقش المشكلات مع أولادنا. ومع ذلك فأنا وزوجي لا نؤنب الولد معاً. فإذا كان أحدنا يناقش، يظل الآخر صامتاً، لأننا لا نريد مهاجمته. وبعد ذلك نعانقه، ونشجعه، ونذكره أن نقد تصرفه إنما تم بحب، وأننا نريد له الأحسن. وأن عليه أن يتعلم من خطئه ولا يكرره.

وطبعاً نسامح أولادنا عن أخطائهم. ولا نظل نتحدث عنها المرة تلو المرة. إذ لا ينبغي على الآباء مداومة إزعاج أولادهم. فالأولاد في حاجة إلى الشعور بالأمان في بيوتهم، لا أن تتوتر أعصابهم عن كل ما يفعلونه. وبعض الأطفال أكثر حساسية من غيرهم. فلا يتحملون النقد بسهولة. ويحتاجون إلى جرعة مدح أكبر لكي يؤكد لهم الآباء حبهم لهم. وقد يزيد المدح من تقديرهم لأنفسهم وعندئذ يصبحون أكثر ثقة بأنفسهم وبقدراتهم.

ونحن كآباء، لا نطلب من أولادنا سوى احترامنا، واحترام الناس، واحترام أنفسهم. وإذا كان الطفل قليل الاحترام لغيره، فقد تصبح هذه عادة لديه يصعب التغلب عليها. . أولادنا لا يزالون في سن مبكرة، ولا يستطعون اتخاذ قرارات البالغين. وأنا وزوجي نتخذ القرارات التي تخصهم. فمثلاً قررنا عندما يصل أولادنا إلى المرحلة الثانوية (Junior High School) أن نتولى تعليمهم بالمنزل، ولن يكون لهم خيار في هذا. لأننا كآباء نعرف ما هو الأفضل لهم. فالمدارس الحكومية (public school system) تعرض أولادنا دائماً للتحدث عن (أو تعاطي) المشروبات الكحولية، والمخدرات والجنس والعنف. وبعد ثلاثة شهور قضاها ابني (middle) في المدرسة المنزلية (home school) قال لي إنه سعيد أنه في مدرسة البيت لأنه لا ينسى تنمر زملائه عليه في العام السابق، وما كان يعانيه منهم يومياً.

ونشجع العناية بالصحة البدنية بترتيب نصف ساعة كل صباح للتمارين الرياضية، ولهم نصف ساعة أخرى حرة بعد الوجبة الخفيفة (lunch) للعب كرة السلة، أو على الكمبيوتر أو للقراءة. وبعد انتهاء الدراسة يمكنهم لعب الكرة

(soccer) بالفناء الخلفي، أو ركوب الدراجات في شارعنا. وهم يختارون نوع الوجبة الخفيفة (snack) التي يعدونها لأنفسهم. وبعد ذلك يكون عليهم تنظيف المطبخ قبل مغادرته. فمع كل مسئولية يتحملونها، يسعدنا أولادنا بأنهم يتعلمون، وتزيد قدراتهم على الاستقلال.

تربية وتعليم الأولاد على قمة الأولويات، على أن توضع في إطارها الصحيح. فالبعض يختار لأولاده التدريس بالمنزل.. وآخرون لديهم فرصة وجود مدرسة إسلامية.. وغيرهم يرون أن مدرسة الحكومة يمكن أن تفي بالغرض مع خلفية من القيم تلقن بالمنزل. أما الخطوط العريضة للتعليم الإسلامي للأطفال فتقضي بعدم التعليم اعتماداً على «الكتاب» قبل سن السادسة. إلا أن هناك تدريبات أخرى وتعليم آخر في شئون الحياة يجب إتمامها خلال سنوات التكوين الأولى.

● تقضي الأصول تربية الأولاد بغرس القيم العائلية والقيم الإسلامية في الأطفال. وإذا كان معنى ذلك ضرورة ممارسة الحياة في مكان مغلق (بعيداً عن المدرسة الرسمية أو الجيران الأصدقاء) فلا مفر من ذلك. والأولاد المسلمون لا يحتاجون إلى تعليم تشكيلي حتى السن السادسة أو السابعة إلى أن يحين الوقت للجلوس ولتلقي العلم. ولن أدخلهم مدرسة من هذا النوع قبل ذلك. علماً بأني لست ضد الاطلاع على النظم النفسية الغربية للطفل عن السلوك والتعليم، وإنما ينبغي أن تنسجم هذه مع المفاهيم الإسلامية.

زوجي يساعد في شئون الأولاد ويجالسهم عندما أكون في العمل أو في التدريس.. إنه يهتم بتنشئة الأولاد، وهو محب وحنون. وهو إلى حد ما صارم، وهذا شيء جيد.

المدارس الإسلامية مدارس خاصة، تحصل بها رسوم للتعليم لتساعد في تغطية التكاليف، وهناك الانتقال إلى ومن المدرسة. وهو موضوع يثير قلق الأسر ويتطلب قطع عدة أميال.. أما الذين لديهم القدرة على ترتيب الدراسة لأولادهم في المدارس الإسلامية فراضون كل الرضا ومتعاونون جداً. ففيها تدرس اللغة

العربية التي هي لغة المسلمين الدينية بالإضافة إلى النظام مع اللطف والحنان، وكذلك دراسة القرآن، وكيفية ارتداء الحجاب، فضلاً عن الممارسات والالتزامات الإسلامية. والأولاد في المدارس الإسلامية يشيدون علاقات صداقة مع أقرانهم المسلمين، ويتلقون مستوى تعليمي مقابل وإن اختلف عن مستوى المدارس الرسمية.

● لا شك أن كوننا مسلمين له تأثير على طريقتنا في تنشئة أولادنا، الذين يذهبون إلى المدرسة الإسلامية برغم ما أتحمله من مشقة قيادة ١٥ ميلاً لتوصيلهم هناك. زوجي في المنزل ولهذا فهو يشارك معنا فعلياً. ويلقن أولادي أنهم مدينون لي بالاحترام العظيم، وأن الجنة تحت أقدام الأمهات. أما التزامي تجاههم فهو رعايتهم وتنشئتهم ليكونوا مسلمين على أكمل وجه.

● إننا نتابع مبادىء الإسلام، ولهذا فإن أصول تربية أولادنا متأثرة بكليتها بالإسلام. ونكرر شكرنا للمدرسة الإسلامية على ما تقدمه لنا من دعم. ويشارك زوجي بهمة عالية في الاهتمام برعاية الأولاد. ويسعده أن يقضي الوقت معهم، مما يتيح لي فرصة للراحة. وهو يحب أيضاً أن يقضي وقتاً معي، ولهذا نرسل الأولاد أحياناً إلى جليسة (baby Sitter) (وهي صديقة مسلمة).

والبديل عن المدرسة الإسلامية هو التعليم المنزلي. وهو مشروع ناجح جداً في بعض العائلات حيث تكون الأم بالمنزل وعندها الخبرة والصبر على أداء العمل. وأحياناً تشارك أمهات في مسئولية تعليم أولاد الغير. وتوجد جمعية معاونة لآباء الأولاد المسلمين الذين يتعلمون منزلياً سواء وقتاً كاملاً أو بعض الوقت هي (الجمعية الإسلامية للتعليم المنزلي بشمال أميركا) (The Islamic Home School Association of North America (IHSANA) التي تساعد بإصدار نشرة (newsletter)[1].

---

(١) رسالة إخبارية، صحيفة تشتمل على أنباء أو معلومات ذات أهمية، وبخاصة بالنسبة إلى جماعة معينة (قاموس المورد ـ المترجم).

● تربية الأولاد في الإسلام هي من أهم الأمور. وهي من أفضل الأعمال التي يتقرب المسلم بها إلى الله. وأول شيء هو احترام طفلك، واحترام رأيه وإن بدا ذلك صعباً. ولأننا نريد تنشئة أولادنا ليكونوا مسلمين صالحين، فإننا نجنبهم المؤثرات السلبية على قدر الإمكان. وفي حالتنا قررنا أن المدارس الرسمية وما بها من الضغط المقابل، ومن سلبيات أخرى في التعليم ليست الاختيار الأحسن لنا. والبديل هو التعليم المنزلي. ونظراً لأني أريد لهم حرية أن يكون لهم أصدقاء، فإني أتركهم يلتقون بأولاد أمريكان (غير مسلمين). ولكن إذا لاحظت أية سلبية فإني أسحبهم، وأشغلهم بنشاطات أخرى.

ويتحمل الأب جانباً نشطاً في تربية الأولاد. ويشارك في تلقينهم التعاليم الإسلامية: القرآن والصلاة، والقصص الإسلامي. وهو يقضي الكثير من وقت راحته معهم. إذ أن تنشئة الأولاد في أي مجتمع تنطوي على التزام من الأم والأب معاً.

● بسبب المؤثرات «السلبية» التي من خارج المنزل، لم يرغب زوجي في إلحاق الأولاد بالمدرسة الرسمية، مما اضطرني إلى إيجاد البديل، وهو التعليم المنزلي. فمعظم مهمة تنشئة الأولاد تقع على عاتقي. وزوجي يساعد إذا طلبت منه المساعدة، ولكن ليس بالدافع الذاتي.

مسئوليتي أن أضبط سلوكهم نحو مثل أعلى واحد، . ألا وهو النبي محمد (ﷺ). وحقي أن «أتوقع منهم الطاعة والتعاون في هذا الشأن. وحقوقهم هي أن يتوفر لهم المأوى والغذاء والملابس والتربية والتعليم. أما التزامهم فهو أن يجعلوا من هذه المهمة اليومية عملاً ممتعاً، وأن يكونوا شاكرين لكل ما يتحصلون عليه.

● الكيفية التي أربي بها ولدي متأثرة جداً بكوني مسلمة. وأنا مدركة تماماً للمؤثرات الشيطانية الوافدة من كل جانب، ولذلك قبل ستة شهور مضت لم يكن عندنا تليفزيون. ولقد علمت ولدي تعليماً منزلياً منذ أن كان في الصف الثاني (second grade)، وفي تخطيطي الاستمرار.

زوجي يشارك على قدر إمكانه.. ويساعد إذا لم يكن لديه عمل.. ولنا عائلة كبيرة حولنا (سبعة بالغون) تساعد هي أيضاً. وعلى ابني أن يطيعني ويتذكر الله. وعليه مهام وواجبات حول المنزل. وعليّ توفير الحب والغذاء والملبس والتعليم. وقدر متوازن من اللعب في حياته حتى أحقق له أكبر قدر من اليقين في الله (God-conscience) وفي الإسلام.

مشتركة واحدة كتبت تعليقاً على تجربة إلحاق الطفل بالمدرسة الرسمية برغم أن الردود على أسئلة البحث توضح أن ٤٧٪ من العائلات لها أولاد بهذه المدارس. وأحياناً يلتحق بها طفل واحد فقط من الأسرة. ويختلف الالتحاق بحسب المرحلة، ثانوية كانت أم إعدادية. وهناك الذين ألحقوا أولادهم بمدارس خاصة غير إسلامية.

● نحاول أنا وزوجي أن نربي أولادنا على أن يكونوا أتباعاً صالحين للإسلام.. ونأخذ بناتنا إلى فصول التفسير.. وننجز أشياء كثيرة مع أصدقائنا المسلمين. إننا نعمل على تقديم نماذج جيدة لأولادنا لاعتقادنا في أهمية أن نجعلهم على صلة وثيقة بنا وبالتالي بالعقيدة الإسلامية. ونشجع النشاطات الخارجية مثل روضة الأطفال (preschool) والألعاب الرياضية لكي لا يشعروا بالعزلة. وسوف نزودهم بنشاطات بديلة مع تقدم «سنوات نموهم» حتى لا يشعروا بالنفور إذا لم يسمح لهم بالاشتراك في النشاطات المدرسية التي لا تتناسب مع مبادىء المسلمين المختلطة (mixed slumber parties).. إلخ ونرى أنه ليس هناك ما يمنع من تكوين أتباع مخلصين للإسلام بالمدارس الرسمية، لأننا رأينا حالات حقيقية ناجحة، إلا أنه إذا ظهرت مشاكل خطيرة، فسوف نبحث عن طرق بديلة للتربية.

مشاكل متبادلة من الآباء

أثبت البحث أن الوالدين يشتركان في رعاية الأولاد وتدريبهم. وهناك إشارة إلى حقوق الأطفال وحقوق الوالدين من منظور الحقوق التي يجب أن تمنح

للأولاد من الآباء، وتمنح للآباء من الأولاد. وشعرت المشتركات أن حقوق الأولاد لا تشمل حصولهم على أي شيء يريدونه بدوافعهم الشخصية. فمن حق الأولاد أن يوجهوا إلى الطريق الشرعي من خلال إرشاد عائلي صالح. ومن حقهم أن يتحقق لهم الأمان والرعاية الكافية، والمعاملة التي تساعدهم على المحافظة على احترامهم لذواتهم. ومن جهة أخرى فللآباء الحق في احترام أولادهم لهم ورعايتهم لهم. والأصل في هذه الحقوق هي الاحترام، والعمل بعزم وجدية، والإحساس بالسلطة ـ التي يكون المحافظة عليها صعباً في أوضاعنا الديمقراطية، حيث يطالب الأولاد «بحقوقهم» في وقت مبكر من عمرهم بالنظر إلى ما يريدون فعله.

● هناك حديث نبوي معناه أن أول مدرسة هي حضن الأم. إن الشيء الوحيد الذي تغير عندي منذ إسلامي هو إدراكي لحقوق أولادي. إنه من السهل إسكاتهم ولكن من حقهم أن يُنصت إليهم. كان من اليسير ضربهم على أردافهم، ولكن هل الضرب مشروع؟ لا يجوز ترك علامات أو آثار للضرب في الداخل أو الخارج. وينبغي عليّ أن أكون مدركة دائماً لحقوقهم ولمسئوليتي تجاههم من حيث المأكل والملبس والتربية والتعليم سواء أكاديمياً أو دينياً. وسوف نُسأل يوماً عن كل هذا.

● أصول تنشئة أولادنا محافظة وصارمة ومغمورة بالحب والعناق والقبلات. ولقد شارك زوجي في كل نشاطات تربيتهم. إن حقوقي نحو الأولاد تساوي حقوق زوجي نحوهم، إن لم تكن الحقوق أكثر بعض الشيء لصالحي. والتزاماتي تجاههم أن أوفر لهم البيئة، والمبادىء والحب التي يحتاجون إليها، إلى أن يدركوا سن البلوغ، وهم على درجة عالية من الحنان والكمال، ومن حسن الرؤية لما هو صحيح وما هو خطأ. أما حقوقهم والتزاماتهم تجاهي فهي أن يعاملوني باحترام.

وكما سبق أن أوضحنا، أن الآباء يشتركون اشتراكاً فعالاً في العناية بالأطفال

سواء كانت الزوجة تعمل خارج المنزل أو تتولى تربيتهم وتعليمهم أم لا. ويشعر الآباء بالحاجة الماسة إلى مساهمتهم في إرشاد أولادهم إذا كانوا يعيشون في بلد لا يتوافر فيه الدعم المطلوب لمبادئهم الإسلامية. وكذلك عند افتقاد وجود عائلي ممتد يشجع على مزيد من المشاركة مع الأولاد. غير أن مبررات مشاركة الآباء النشطة، غير مذكورة بردود المشتركات. ومع ذلك، تقدر المشتركات تماماً مشاركة أزواجهن في العناية بالأولاد وتدريبهم.

● إنني قلقة بشأن ما يتعلمه أولادنا وبشأن من هم الذين يعلمونهم، بدرجة أكبر مما لو لم أكن مسلمة. ودور زوجي فعال في المشاركة بقضاء الوقت معهم في المساء، وبلعبه معهم، وبالقراءة لهم، وبتعليمهم الأشياء. وهو يساعد في تغذيتهم وفي تدريبهم، وأحياناً يعطيهم حماماً. وهو يصطحب ابننا معه أحياناً عندما يخرج، لكي تتاح له فرصة قضاء المزيد من الوقت معه، ولكي يمنحني فترة للراحة. وأنا ملتزمة ٩٥٪ من وقتي بالاهتمام بكل ما يحتاجون إليه. وأقوم بعمل أي شيء معهم في حدود المعقول. ولدي الإذن دائماً من زوجي لكي آخذهم معي حيثما أذهب.

● من أول يوم وزوجي غاية في النشاط والعون في تربية الأولاد. ولقد تولى رعاية ابنتنا طوال عدة سنوات أثناء عملي خارج المنزل. لم يحدث أن ضربها أو أنبها، وكان يلعب معها كثيراً. وأحياناً أشعر أن زوجي له توقعات ربما لا تكون في حدود المعقول بشأن الملبس إلخ. عندئذ نتكلم ونصل إلى حل.

● أصول تربية طفلي لم تتأثر بكوني مسلمة. فقد كنت دائماً قبل إسلامي أفعل ما أفعله الآن. ومستوى صبري وتفهمي في التعامل مع الأولاد قد تقدم، غير أني لم أدخل أي تغييرات على الأصول. ويشارك زوجي في العناية بالأولاد بقدر ما في طاقته. وعندما يكون هو بالمنزل نقسم الأعمال المطلوبة بيننا بالتساوي. ويعطي حماماً للأولاد في المساء كل يومين. ويساعد بيده في غسل أيديهم وأسنانهم، ويشارك في المناقشة وتقديم الحجج وإعداد بعض الوجبات الخفيفة

(snacks)، وفي المناسبات يقرأ لنا قصة المساء. أطفالي صغار (٦، ٤ سنوات). وحقوقنا وواجباتنا نحو كل واحد منهما لا تزال جوهرية.

تعكس ردود المشتركات بشأن مسئولياتهن عن تربية الأولاد، مدى الجدية في تقديرهن لهذا الدور. إنهن يشتقن إلى تزويدهم بنوعية معينة من التدريب وبالفرص المواتية التي يمكن أن تظهر في طفلهن حتى يكبر ويصل لسن الرجولة، وأن يكون مطيعاً لله ومسلماً صالحاً وممارساً لدينه.

أما الأمهات المسيحيات اللاتي ربين أولادهن في ظل تراثهن الديني، فكن أيضاً يشتقن إلى أن تكون مهارتهن متناسقة مع واجب تربية الأطفال في العقيدة المسيحية التي توصلهم إلى الله.

كم هي متشابهة رغباتنا..!؟

* * *

٩ــ احترام الديانات المختلفة..

العمل معاً من أجل إقامة وصيانة علاقات وطيدة..

كان لاختلاف أسلوب حياة جودي، ولتغير ملبسها وقع صعب على العائلة كلها في بداية الأمر. فقد أبدى عم جودي الذي يكبرها بسنين معدودة، وهو وثيق الصلة بالعائلة، ما كان قد خطر على ظنه من أن وشاح جودي يثير الضحك في نظر أي زائر. ولقد جرح هذا القول جودي بشكل فظيع. وكان هو قد رأى جودي في أحلامه وكأنها في خطر، وكأنه هو الذي أنقذها بينما ابن عمها الذي كان من أعز أصدقائها منذ الصغر ـ لم يعد يدري كيف يتعامل معها وهي في هذا الأسلوب الجديد للحياة. أما الجدة فلم تستطع أن تفهم مغزى اختيار جودي الذي أدى إلى كل هذه التغييرات، غير أن هذه الجدة التي تتميز بالحنان واللطف كانت قادرة على التعامل مع الموقف بأسلوب مفعم بالحب. ولقد حدثت ضغوط من أفراد آخرين من العائلة، ولكن مع مرور الزمن صارت الأمور أيسر. ونحن ممتنون للزمن، ولمتانة أواصر القرابة التي تمتعنا بها طوال سنوات، والتي جعلتنا نعمل معاً برغم التغييرات التي طرأت على العلاقات العائلية. ولا شك أن جودي ورضا قد قاما بواجبهما في هذا الجانب. إذ كان عليهما أن يقررا أين يكون عطاؤهما، وما هو الأهم بالنسبة إليهما، وكيف يمكنهما المحافظة على تمسكهما بعقيدتهما، مع المحافظة على العلاقات العائلية.

* * *

يحتاج كل شخص (وكل عائلة) أن يحدد هويته. وهوية عقيدته، وما هي القيم المهمة عنده. هذا جانب في غاية الأهمية في مسيرة نمو كل إنسان بغض النظر عن ثقافته. وبناء على ذلك نجد اختلافاً شاسعاً في العقائد وفي الممارسات

داخل العائلة أو داخل الأمة أو داخل النظام الديني.

ويضم العالم الإسلامي كثيراً من البلدان والثقافات والشعوب المتنوعة عرقياً. وما قد يعتبر معيارياً أو نموذجياً في إحدى المناطق قد لا يكون له أي وجود في منطقة إسلامية أخرى[1]. وهناك خمسة نماذج في النشاط الإنساني:

١ـ الواجب.

٢ـ المندوب (ما يستحسن عمله).

٣ـ المشروع (أي الحلال).

٤ـ التحذيري.

٥ـ المحرم.

فالأعمال الواجبة والأعمال المحرمة هي عالمية وكلية وينبغي مراعاتها في جميع الأنحاء الإسلامية. ومثال الأعمال الواجبة: الصلاة في اليوم والليلة، وصوم رمضان. أما الأعمال المحرمة فشرب الخمر، والغش والخداع، والكذب، وأكل الخنزير. والأحوال الثلاثة الأخرى: المندوب (وهو على جانب كبير من الأهمية) والمشروع (الحلال). والتحذيري.. كل هذه الأعمال تدخل في الفئة التي تخضع للاختيار الشخصي. وتشمل أداء صلوات إضافية، والزواج وإنجاب الأطفال، وعمل الخيرات. أما الأعمال التحذيرية فتكون في السلوكيات كالقيل والقال. وهناك خطوط عريضة لأسلوب الحياة تتأثر كثيراً باختلاف التجمعات الإسلامية، وبالمذاهب الإسلامية المتبعة والمواريث التراثية الخاصة بالبلد الأصلي للزوج.

وتحاول المشتركات أن توفق بين ما كن عليه في الماضي من عادات أمريكية وبين الممارسات الإسلامية. إذ أدى اختيارهن لدين جديد إلى ضرورة تغيير

---

(١) هذا الكلام لا ينطبق على الأصول الإسلامية فهي متفق عليها في البلاد الإسلامية جميعاً، أما الفروع فقد يقع فيها الخلاف. والإسلام يسعها كلها في رحابه الواسعة (المترجم).

العادات التقليدية التي تتباين بين المسلم وغير المسلم. . وقد تتصادم العقائد. . مما يقتضي من العائلات الأصلية ومن النجلات إعادة بناء طرق جديدة للتعامل. وفيما يلي بعض الخطوط العريضة التي يمكن الاسترشاد بها طالما أن لنا تعامل مع مسلمين سواء في مكان العمل أو في محيط العائلة أو في الأماكن العامة أو كأصدقاء أو كمعارف.

اعتبارات تتعلق بالمأكل والمشرب

منتجات الخنزير والمشروبات الكحولية من المحرمات عند المسلمين. ولهذا فهم يراجعون بعناية البيان (Labels) الملصق على السلع للتأكد من أن المحرمات لا تدخل في المأكولات المشتراة.

ويحرص كثير من المسلمين الممارسين على ألا يأكلوا إلا اللحوم الحلال أي المذبوحة بالطريقة الشرعية. والتي تشترى من محلات مخصوصة أو تقوم العائلات بالذبح بنفسها للحصول عليها.

والاستفسار مقدماً هو الحل الأمثل لتحديد الطعام الأفضل لتقديمه إلى الأسرة المسلمة عند حضورها للزيارة. وتعتبر الوجبات النباتية أو السمك هي البدائل المقبولة. أو يمكن إحضار أكلة حلال كطبق رئيسي تقدم في نفس الوقت مع أي طعام موجود. وتعرب بعض المشتركات عن مدى القلق بشأن المأكل عند زيارتهن لعائلاتهن.

● يأتي الضغط عادة عندما نزور الآباء. ولأننا لا نأكل سوى اللحم المذبوح طبقاً للشريعة (أي اللحم الحلال)، ونمتنع عن أكل أي شيء. لهذا نحضر معنا أكلنا. وبرغم أننا شرحنا لهم منهج الإسلام في الذبح، فإني أشعر أنهم يتضايقون من إحضار أكلنا. . ويعتبرون هذا رفضاً لهم. . أو كأن طعامهم ليس طيباً بالقدر الكافي أو أنه غير نظيف. مع ذلك عندما يحضرون لمنزلنا للزيارة يأكلون أي شيء أطبخه. وأشعر أننا نقضي وقتاً أكثر متعة. وأقل ضغطاً.

● لن أترك أولادي أبداً مع والدي.. إذ يوجد الكثير جداً من الخنزير بالمنزل.

● الأكل هو أسوأ شيء بالنسبة لي عند زيارة أهلي. إنهم لا يهتمون بما يأكلون. وأحياناً يجن جنون أبوي عندما أقول لهما أنني لا آكل من طعامهما.

● أنا لا أترك أولادي مع عائلتي. فلم يحدث أن زرناهم لأكثر من ساعتين في المرة الواحدة منذ أن أسلمت وهكذا.. أتلافى قضية كامنة.. ألا وهي الطعام الحلال. إن والدي لا يفهمان أو لا يقبلان مفهوم الطعام الحلال والحرام. إننا فقط نهرب من المشكلة، فلا نأكل بمنزلهما.

المشروبات الكحولية تغضب معظم المسلمين، ويشعرون بالراحة أكثر إذا لم تقدم في حضورهم. وقد يتجنبون المطاعم التي بها «بار» أو يقدم فيها الخمر (liquor). وفي الغالب لا يحضرون وجبات العمل الخفيفة، ولا رحلات الشركة للتنزه في الهواء الطلق حيث يقدم الكحول.

التحشم في الملبس والعلاقات الاجتماعية

يحرص كثير من المسلمين على تجنب الأماكن أو وسائل الإعلام التي تعرض صوراً لأشخاص يرتدون ملابس خفيفة وغير كافية. أو نشاطات تعتبر مزعجة ومهينة. حتى أحواض السباحة العائلية قد يعتبرونها خارج الحدود. وقد ترتدي المرأة الحجاب وتغطي رأسها بطريقة عادية في حضور رجال غير الأب أو الزوج أو الابن أو الأخ. وهي تقدر لأي عائلة مساعدتها في توفير أي شيء تغطي بها رأسها إذا حضر رجل بطريقة مفاجئة.

ومن المهم أيضاً الحذر من أنواع من برامج التليفزيون تعرض في حضور أولاد مسلمين. فبعض عروض الأطفال التي يراها معظم الأولاد الأمريكان قد لا تعتبر مناسبة للأولاد في نظر الأم والأب المسلمين. ولذلك يجب على غير المسلمين أن يجدوا ما هو مسموح به إذا اشترك الأطفال المسلمون في المشاهدة

وحتى كثير من البالغين المسلمين لا يسمحون لأنفسهم بمشاهدة أي شيء يعرضه التليفزيون. فمشاهد اللقاءات والتواعد، والرقص، والنساء شبه العاريات مشاهد مألوف تجنبها.

● من الناحية الإسلامية، لا أحب لأولادي مشاهدة التليفزيون وهو يقدم العروض التجارية أو مناظر الرقص، أو الموسيقى المثيرة، أو مواقف اللقاءات (dating situation)، أو الانحلال، أو أي شيء من هذا القبيل. وأفضل ألا يستخدموا الآلات الموسيقية، أو موسيقى البالغين ذات إيقاع «الروك أند رول» ولو كانت مصحوبة بأغاني أطفال. لقد فعل أبويّ بي خيراً حين منعوا عني هذه الأشياء.

وتوجد قواعد عامة في تعامل النساء ـ الرجال. فالرجال لا يصافحون النساء بالأيدي.. وفي الغالب لا ينظرون مباشرة إليهن.. ولا يقتربون منهن إلى حد اللمس.. ولا يتعاملون معهن بفضول وصداقة مكشوفين. فالرجل يكون قليل الكلام ولطيفاً. والأفضل عادة أن يحدث الرجال الرجال والنساء النساء. أما النسوة فيحيين بعضهن البعض بالتقبيل على الخدود.

الاحتفال بالأعياد وتقديم الهدايا

الاحتفال بالأعياد الرسمية الأمريكية صعب لدى العائلات الأصلية التي بها أمريكيات اعتنقن الإسلام، وكذلك لدى المسلمين بصفة عامة. فحفلات المكاتب التي تقدم فيها المشروبات الكحولية ـ والرقص أو علاقات الغزل والعبث.. وتقدم الهدايا كالخمر، ويقدم لحم الخنزير (ham) ولحم الديك الرومي، فضلاً عن زينات الاحتفالات الوطنية والمسيحية الدينية. كل هذا غير مقبول لدى المسلمين. ولهذا يكون المبدأ العام المتبع من المسلمين في عالم الأعمال هو تجنبها.

أما في الأوساط العائلية فيحتفل بالأعياد بطرق متنوعة. فبعض المشتركات يقاطعن جميع الاحتفالات التقليدية الغربية. والبعض الآخر قمن بتعديل

الاحتفالات حتى تتاح لهن فرصة التواجد مع العائلة. وآخرون لا يزالون على عهدهم السابق في الاحتفال (أي ما قبل اعتناق الإسلام).

● أولادي يدينون بخير دين. وأبواي وأصهاري يهتمون كثيراً بالكرسمس. إننا نقبل هداياهم، ونشرح لأولادنا فكرة الكرسمس. وهم لا يقدمون لنا الخنزير ولا المشروبات الكحولية. عائلتي هي حياتي. لا مشاكل.. بل كثير من الحب.. وعل الدوام.

عيد الشكر قد يكون أحد الأعياد التي يمكن بسهولة المشاركة فيه إذا قدم اللحم الحلال أو البديل. وقد تتغير المواقف باعتبار أن للزوجين أطفالاً. وأحياناً يشعر المسلمون بالرغبة في الانسحاب من الحفل الذي يعكس معنى الاحتفال بعيد ديني غير إسلامي أو بعيد وطني. وعلى نفس المنوال عدم الاحتفال بأعياد الميلاد باعتبارها غير إسلامية، أما النشاطات الأخرى فتخضع للتفاوض بين الأطراف.

الأعياد الإسلامية على جانب كبير من الأهمية في نظر المسلمين الذين يتمسكون بالاحتفال بها على أكمل وجه. وعيد الفطر أهم الاحتفالات السنوية يقع في أول يوم بعد شهر رمضان (شهر الصوم). وأحياناً تقدم فيه الهدايا وترسل كروت المعايدة، وقد تحضر العائلات الأصلية إذا كان ذلك مناسباً وبموافقة العائلات، وقد يكون ذلك استثناء، لأن الاحتفال بالعيد يكون في الغالب بمشاركة جمع من المسلمين. واجهت المشتركات مشاكل بشأن المشاركة في احتفالات مسيحية أو وطنية مع عائلاتهن، وكان يجب تحديد مدى رغبتهن في الحضور مع عائلاتهن في مثل هذه المناسبات.

● أحاول أن أتجنب الحديث عن «الأعياد». ويدرك أخي وأخواتي أنني لا أحتفل بها ويحترمون رغبتي.. غير أن أهلي لا يتفهمون موقفي، ويظلوا يسألونني كل عام عما إذا كنت سوف أحضر الاحتفال أم لا.. وماذا سيفعلون بالهدايا التي أحضروها لي ولزوجي ولأولادي.

جدتي - أم أبي كانت مريضة وأبي شاب. وجدي كان يدمن الخمر. أما

جدتي لأمي فقد هجرت والدتي وهي في سن الثانية. ولهذا فإن أهلي دائماً يحاولون أن يعملوا أشياء متميزة في الاحتفالات من أجل أخي ومن أجلي (لأنهم يشعرون أننا وحدنا العائلة بالنسبة لهم). ولقد كان لامتناعي عن حضور الاحتفال بالكرسمس وقع صعب جداً عليهم. ثم توصلنا إلى تفاهم معهم بحيث يمكنهم شراء هدايا الكرسمس لأولادنا. ثم لا يفتح أولادنا الهدايا إلا بعد أن نقرأ آيات من القرآن الكريم عن ميلاد عيسى وعن مريم أم عيسى، ونذكر أحكام العقيدة في القرآن.

نستمتع في عيد الشكر باللحم الحلال للديك الرومي، وبعدم تقديم لحم الخنزير. لقد عدلنا العيد من أساسه حتى يتاح لنا الأكل معاً. وقد وافق أهلي على ذلك. مما يساعد على إقامة روابط وذكريات عائلية متينة والمحافظة عليها.

وغضب أبي وأمي وأخي لأن هدايا «العيد» الإسلامي حلت محل هدايا الكرسمس. والواقع أنني أحرص على التأكيد على الأعياد الإسلامية من أجل أولادي. ولقد حدثت مناقشة شديدة مع أمي بشأن الكرسمس، ولهذا أركز أكثر فأكثر وإلى أبعد الحدود على الأعياد الإسلامية.

● عائلتي لا تحتفل بالكرسمس باعتباره عيداً مسيحياً (أي على أنه ميلاد المسيح)، ولكن لما كان الجميع في عطلة عن العمل يوم الكرسمس، وأن كثيراً من الإخوة والأخوات قد تزوجوا متدينين، فإننا الآن نجتمع في الكرسمس على وجبة عائلية مع تبادل الهدايا.

● أريد أن أشرك عائلتي أكثر في احتفالاتنا الإسلامية. ولكن معنى ذلك في كثير من الأحيان السفر ساعتين أو ثلاث إلى حيث يعقد اجتماع المسلمين. ولم يحدث هذا في فرص كثيرة. أما الجانب الرئيسي في الاحتفال الإسلامي فهو في إقامة صلاة جماعية خاصة، لا يشارك فيها أهلي باعتبارهم غير مسلمين.

● أرسلتُ بطاقات العيد والحلوى إلى أولاد إخوتي وأخواتي بنين وبنات.

● كان العيد الإسلامي الماضي هو المرة الأولى التي قدمتُ فيها الهدايا

لعائلتي مقابل الهدايا التي قدموها لنا في الكرسمس.

● في أعيادي الإسلامية عيد الفطر وعيد الأضحى أرسل إلى أمي بطاقات المعايدة التي أصنعها بالمنزل. وأكتب عليها بعض المعاني مثل الحديث النبوي الذي يقول أن الجنة تحت أقدام الأمهات.. إلخ. وأدعوهم إلى تناول الطعام بالحديقة العامة أو بالمسجد.. أمي وأختي تحضران لكي تريا ما الأمر.

● لم تشترك عائلتي أبداً في أي من أعيادنا الإسلامية لأنها تقيم في ولاية أخرى. إنهم يعاملوننا بفتور، وكل منا يتيح للآخر أن يظل كما هو. أتحدث مع بعض الأقارب بالتليفون، وأرسل الخطابات وبطاقات المعايدة في عيد الشكر وفي الكرسمس. وإذا تعذر الاتصال بهم في الكرسمس، أطلبهم بالتليفون في أول يوم من يناير وأعرب لهم عن تمنياتي لهم بعام سعيد.

● عقب زواجنا، ذهبنا إلى أهلي في الكرسمس وتبادلنا معهم الهدايا. ولكن هذا العام لدينا طفلة، ونريد أن يألفوا فكرة أننا لا نرغب في المشاركة في الكرسمس. ولقد أرسلوا إلينا هدايا هذا العام وشكرناهم، ولكننا لم نرسل إليهم هدايا أو بطاقات معايدة ونخطط للاحتفال بالعيد الإسلامي، ونرسل لهم بطاقات معايدة، نشرح لهم فيها ما نفعل، ومن حسن الحظ أن ابنتنا تنمو ولن تكون هناك مشكلة مع الوقت. وأريد أن تتعرف ابنتي على جانبي في عائلتي. وسوف نبذل جهدنا لترتيب هذا الأمر.

● أعتقد أن النقطة الرئيسية في الضغط والتوتر في نظر عائلتي هي الكرسمس.. ما إذا كان مسموحاً لهم بتقديم الهدايا لنا. وحضورنا إليهم لتناول الطعام.. إلخ. لقد تحدثت وقتاً طويلاً لكي أتوصل إلى حل بخصوص الكرسمس، لأني لا أستطيع أن أدير ظهري لعائلتي الأصلية. ولقد ذهبنا أنا وزوجي للعشاء معهم وتقبلنا الهدايا منهم مع التفاهم معهم على أننا لا نشاركهم هذا الاحتفال، وأننا لن نبادلهم الهدايا. ومع ذلك سوف نبادلهم الاحتفال بإشراكهم في الأعياد الإسلامية. ولقد اتفق الجميع على هذه الفكرة.

● عائلتي لا تعنيها أعيادنا الإسلامية. ولقد حدثتهم بشأنها قبل وقتها بأسابيع أو شهر، غير أنهم لم يظهروا أي اهتمام. وأعتقد أنهم يتجنبون أن يكونوا حولنا في تلك الأوقات.

يتواكب تقديم الهدايا مع الأعياد ومع أعياد الميلاد. وبالانفتاح للمناقشة بشأن كيفية الاحتفال تتحقق متعة المشاركة كعائلة أو كزملاء في العمل. وبابتكار بعض التقاليد الجديدة التي تحترم مشاعر كل الأطراف، تصبح المناسبة ذات معنى خاص لم يكن لها من قبل.

والآباء (أو غيرهم من الأقارب) قد يفضلون تفويت فرصة تقديم هدايا إلى المسلمين في أعياد غير إسلامية - واختيار أوقات أخرى لتقديمها، سواء في أعياد المسلمين ذاتها أو لمجرد تقديم هدايا. وقد يرى شخص ما وجود فرصة العيد ويسأل عن إمكان إرسال هدايا في ذلك الوقت، مع الاستفسار عن أنسب الهدايا. وقد تستبعد تماماً بعض أنواع من الهدايا، كألعاب الأطفال الأميركية مثل Ken, Barbie, Power Rangers, Turtles, Batman. وكذلك بعض ماركات الملابس مثل ماركة Thomas the Tank Engine، أو ملايات السراير Barney. وإذا ما تكلم الآباء مع ابنتهم، فسوف يكتشفون أن عندها أفكاراً ممتازة. وإذا كان الآباء يريدون تقديم هدايا، فيمكنهم اتباع الخطوط الرئيسية التالية والمتفق عليها، ويقدمونها والسرور يملأ صدورهم.

● إنهم يعرفون أننا مسلمون، وأننا لا نحتفل بالأعياد المسيحية بنفس طريقتهم. وأحياناً ترسل والدتي هدايا إلى أولادي بدون سبب معين، وإنما لمجرد أنها رأت أشياء سوف تعجبهم. وهي ترسل أيضاً هدايا الكرسمس، ونقبلها كهدايا بمناسبة العام الجديد، ونحن نحتفل بميلاد عيسى عليه السلام (may God's Peace be upon him) بالصلاة.

وتعيش عائلتي الأصلية على مسافة بعيدة منا. وهي لا تعلم إلا القليل عن الإسلام وعن الأعياد الإسلامية. وحتى الآن لم يشاركونا في أعيادنا الإسلامية ولو

أنهم كانوا أقرب لاشتركوا أكثر بقدر ما كان ذلك سيوافقهم. .

● أخواتي وأبواي (أبي وزوجته) لديهم حساسية من عدم مشاركتنا لهم في الأعياد المسيحية. وهم دائماً يسألون قبل تقديم أو فعل أي شيء يمكن أن يعبر عن صلته بمثل هذه الأعياد. إنهم يحترمون أعيادنا. لا أقلق على أولادي معهم. فمن العوامل المساعدة أن العائلة تضم أدياناً مختلفة: المسيحية واليهودية والبوذية والإسلام. ومن قواعد عائلتنا غير المنطوق بها (unspokenrule) احترام عقائد الآخرين ما داموا لا يسيئون إلى أنفسهم أو إلى غيرهم. وكذلك يفعل أبواي.

ترك الأولاد في رعاية الغير

بعض الآباء المسلمين يوافقون على ترك أولادهم في رعاية أجدادهم أو الغير لمدة ساعات أو وقت الليل. ولكن لا يحدث ذلك كثيراً. لأن الآباء المسلمين يشعرون بمسئوليتهم الجسيمة، ويرون أن أشياء كثيرة يجب أن تكون تحت سيطرتهم في محيط أولادهم، فضلاً عن أشياء أخرى خارج إطار العائلة المسلمة. وهذه حقيقة للعائلة كبيرة العدد، أو حتى مع أولاد الجيران غير المسلمين. بل لا بد من الحذر عند ترك الأولاد في رعاية مسلمين آخرين.

والأفضل أن ننصت إلى قلق الآباء المسلمين، ومحاولة اتباع القواعد. وقد تتطلب بعض الأشياء البسيطة مثل عادات استخدام الحمام، تتطلب الشرح لغير المسلمين. ويستحسن أن يكونوا مؤيدين للنظرة الإسلامية الدينية التي لدى الأولاد، ومحجمين عن المذاهب المخالفة. وعناية خاصة بالبرامج التليفزيونية والموسيقى التي تعرض في حضور الأولاد. . وتقديم الطعام الحلال واستبعاد الطعام المحرم له أهمية عظمى.

● كثيراً ما يطلب أبواي من الأطفال أن يناموا عندهما. ولقد لاحظ الأطفال وغيرهم أن أمي تسألهم عما إذا كانوا قد صلوا أم لا. وتذكرهم بذلك. (وتكون الصلاة مناسبة إذا تم أداؤها من وجهة النظر الإسلامية). والذي يقلقني

هي ابنتي ذات العشر سنوات. وتظن أمي أن ابنتي لا زالت صغيرة حتى نحرص على أن تكون ملابسها محتشمة. ولهذا فهي تشتري لها الجيبات القصيرة جداً (mini - skirts) والتي أخفيها بسرعة. لم تلبس ابنتي الحجاب بعد. وإن كانت متقبلة للفكرة، وإيجابية جداً في موقفها منه. وهي ترتدي خارج البيت ملابس متحشمة معظمها من القطن المطبوع بكم طويل وبنطلونات واسعة أو جيبات طويلة (long skirt).

● أزور أهلي بشكل منتظم.. وأترك أمي ترعى الأولاد لمدة ثلاث أو أربع ساعات، أما أن يكون أولادي في بيت أمي مع أحفاد آخرين فيصعب عليّ تركهم. والذي أخشاه بشدة بشأن أولادي هو أن يلتقطوا أفكاراً غير إسلامية من قرنائهم أكثر من الأشخاص البالغين (فمثلاً عندما يلعب الأولاد لعبة (Barbie) فهم في العادة يحددون موعداً للقاء (Ken) مع (Barbie). وأولاد العم أيضاً لهم أصدقاء (girl friends, boy friends) من الجنس المقابل في المدرسة وهم يثرثرون في هذا الموضوع.

● والداي يرحبان بأولادي ترحيباً شديداً، وأمي رائعة في معاملتها لأولادي.

● تأكدت عائلتي أنهم لن يستطيعوا تغيير موقفي فيما أختاره الآن ألا وهو الإسلام. وأولادي لا يعاملون معاملة مختلفة عن غيرهم من الأطفال فيما عدا أنهم لا يشربون البيرة، ولا يأكلون الخنزير أو أي طعام حرام.

● اعتاد إخوتي دائماً أن يتركوا أولادهم في فصل الصيف عند أبواي لمدة أسبوع أو أسبوعين. ولكن أولادي لا يذهبون أبداً لزيارة أجدادهم إلا معنا أنا وزوجي. ولم يحاول أهلي أبداً أن يضغطوا علينا أو أن يقنعونا بتركهم لأنهم يعلمون أن أولادنا لا يأكلون طعامهم.

● أعلم أننا لو تركنا ابنتنا لما تكبر وحدها عند أمي، فستحاول تنصيرها، وهو ما لا أسمح به. وكوني لا أستطيع أن أثق كثيراً بأمي يجلب لي كثيراً من

الحزن، حتى إن زوجي لا يستطيع أن يتفهم سبب عمق هذا الحزن عندي. يجب عليّ أن أهجر أمي بسبب تعصبها. وإذا فعلت ذلك فلن يكون فقط لصالح زواجي وعائلتي بل سيكون أيضاً لصالحي.

● يصعب عليّ ترك ابني عند آبائي لأنهم يكثرون إطعامه اللحم البقري المملح (junk)، ويفسدونه بكثرة التدليل. وهذا معلوم في طبع الكبار. والذي كان يقلقهم أكثر في شخص ابني أنه لم يكن يأكل أي شيء سوى اللحم الحلال. وكان يضايقهم أنه لا يأكل إلا السمك والوجبات النباتية.

● أكد لي أبواي إنه لو حدث لا قدر الله أن أصابني أنا وزوجي أي مكروه، فإنهما سيضمنان أن تكون نشأة أولادنا نشأة إسلامية، وأن يكونوا على صلة وثيقة بعائلة زوجي. مشاغل عائلتي وعائلة زوجي واحدة. والاحترام بينهما متبادل.

الصلوات اليومية

في أغلب المناقشات الحارة التي تدور في المدرسة بشأن الصلاة، لا يعطى أي اعتبار لمن يدين بغير المسيحية. بينما ينشأ الشباب المسلم على أداء خمس صلوات في اليوم، منها على الأقل صلاتان تؤدى في فترة المدرسة. فأي اعتبار لتوفير ما يلبي حاجة هؤلاء من مكان ووقت لأداء الصلاة يحتمل استبعاده في مناقشات الصلاة المدرسية.

وهذه مشكلة نجدها عند هؤلاء المسلمين في عالم الأعمال، الذين يحتاجون إلى توفير المكان والوقت لكي تتحقق لهم الخصوصية لبضع دقائق وربما مرتين خلال اليوم الواحد، لأداء هذا الالتزام الديني.

وعندما تزورنا جودي ورضا، يكون لهما كامل الحرية في دخول أية غرفة أخرى بالمنزل لا تستخدم وقت صلاتهما. وإذا كان الآباء غير المسلمين لا يرتاحون إلى مثل هذا النظام، فيمكن الاتفاق بين الأطراف على غير ذلك.

● آبائي يراعون عقائدنا باهتمام لا مشكلة عندهم بشأن صلاتنا في منزلهم. وهم يدققون في تحديد ما نأكل، ويمتنعون عن النطق بما يسيء إلينا.

يشعر المسلمون بعدم الراحة إذا أديت أمامهم الصلوات باسم المسيح عيسى ويحاولون تجنب الأماكن والمواقف التي تحدث فيها.

● أنا شاكرة لآبائي لتفهمهم شعورنا بالضيق إذا حضرنا صلاة تؤدى باسم عيسى. ولهذا فإنهم يختتمون صلاتهم بعبارة: «باسم إلهنا المشترك» (In the name of our Mutual God).

المناقشات الدينية والسياسية

لقد وجدت المسلمين على يقين مما يؤمنون به. إنهم يشعرون أن الحقيقة معهم، ولا يستطيعون أن يفهموا لماذا لا يرى غير المسلمين هذه الحقيقة. وشأن كل الشعوب، توجد آراء وتفسيرات متنوعة بين المسلمين. وقد تتعالى الأصوات في المناقشات السياسية والدينية سواء كانت بين مسلمين، أو بين مسلمين وغير مسلمين.

وذات يوم وبعد أن دخلت في مناقشة إما دينية أو سياسية مع جودي ورضا انطلقت أبكي. لقد كان هذا كثيراً بالنسبة لي. وقلت: «يا جودي. إننا لن نتكلم في هذا الموضوع بعد ذلك أبداً، إنه يجرحني كثيراً». فقالت جودي: «لا.. يا أمي.. يجب علينا أن نتكلم فيه». وهنا تدخل رضا وقال هذه الكلمات الحكيمة: «أحياناً حتى في عائلتي، نجد أشياء لا نستطيع أن نتحادث فيها.. وفي نفس الوقت يجب أن نظل معاً.. لأن الحب يجمع بيننا».

كانت هذه نصيحة صائبة تصلح في جميع الأحوال.. إننا نحاول أن نتكلم.. وجودي ورضا يعرفان تماماً إلى أي مدى يستطيعان أن يضغطا عليّ قبل أن اضطرب.. وعندئذ يتراجعان. إن عقائدهما تعني الكثير في نظرهما حتى إنهما يريدان أن يشاركهما الغير فيها، وعندئذ يمكن أن يؤدي هذا إلى مواقف متفجرة

للعائلة وللمعارف.

● إنني أحب أبواي بشدة، واحترمهما إلى أقصى درجة. وكم أتمنى أن يسألاني عن عقيدتي أو أن يقرآ شيئاً من القرآن الكريم. لا شك أنني أحب أن يعتنقا الإسلام. ولكن في هذه النقطة أو في أي وقت في المستقبل القريب، لا أرى ذلك واقعياً.

● عندما أزور عائلتي أشعر كأني محاطة بالأوثان. إلا أنهم لو اعتنقوا ديني الإسلام (my Islam)، سوف أسامحهم على عقائدهم.

● آمل أن تظل الأمور تسير على ما هي عليه. وأن أظل على صلة وثيقة بأهلي، ولا سيما بعد أن رزقنا الآن بطفل. إنهم أهلي، ومن واجبي أن أعتني بهم. كل شيء يبدو في نظرهم نقاط ضغط وتوتر في العائلة. من الصعب التحدث معهم عن أي شيء سوى الطقس والسيارة التي نفكر في شرائها، والإجازة التي سوف نقضيها في الصيف القادم.

أوضحت ردود المشتركات على قائمة الأسئلة أن هناك طرقاً متنوعة للعمل بجدية لصالح العائلة الأصلية. كما توجد عائلات على درجات متفاوتة من الانفتاح والتفتح، وهناك تباين من حيث مدى البعد، ومدى الانفتاح الذي يمكن أن يحدث. وبرغم أن أسئلة البحث لم تكن موجهة مباشرة عن العلاقات في عالم الأعمال، فإن لديّ انطباع من خلال المحادثات التي تمت مع بعض المسلمين عن وجود إحباط لديهم بشأن العلاقات الاجتماعية، والأعياد وعدم التفاهم، والشعور بالمواقف المسبقة المتخذة ضدهم.

ولقد أوضحت القصص بجلاء أن في كثير من الأحيان كلما كانت العائلة والمعارف أكثر تعاوناً ومساندة كلما قل شعور النساء بوجوب أن يكن متحفظات ويحتمل أن يكون الموقف المتزمت ناتجاً عن رد فعل وقائي بسبب انعدام الدعم والثقة.

* * *

١٠ ـ النجلات يتكلمن..

ماذا تريد المتحولات إلى الإسلام أن نعرف؟

مضى اثني عشرة عاماً على اختيار جودي أن تصبح مسلمة. وتطلب التئام جرحى عدة سنوات، بعدها وجدت نفسي على خير ما يرام (Okay) تجاه جودي المسلمة. وما زلت من حين لآخر أشعر في نفسي بوخزة ندم حينما أرى اختيار ابنتي وقد جمد أشياء كان في الإمكان تحقيقها.. إما كأم مع ابنتها أو كأجداد مع أحفادهم. غير أن احترامي الآن كله لجودي. ولكل ما أظهرته حياتها من نتائج طيبة وصحيحة.

لقد وجدت نفسي مشتاقة إلى معرفة المزيد عن النسوة الأخريات اللائي اعتنقن الإسلام. كيف تقبلت عائلاتهن هذا الحدث؟ وهل استطاعت النجلات أن يعملن بجدية من أجل إصلاح ذات البين مع عائلاتهن الأصلية؟ وهل ستساعد قصتي على التحرك نحو التعافي؟ لقد أردت أن أساعد عائلات ما زالت تعاني من الحزن والأسى بسبب عدم تقبلها لهؤلاء النجلات ولا للطريق الديني الذي اخترنه.

اتخذت قراري بأن أعمل شيئاً أشارك به مع غيري، لما تبين لي مدى القوة والنزعة الخيرة التي رأيتها في أسلوب حياة ابنتي، وحياة أصدقائها وصديقاتها المسلمين.. هذا القرار اتخذته في صباح يوم أحد. وكنت ما زلت في سريري.. وأتذكر الآن وأنا أحرك ساقي من فوق السرير وأضعها على الأرض.. وأذكر وأنا أنهض من السرير كأني كنت أخطو الخطوة الأولى نحو محاولة جديدة مفعمة بالتحدي وبالمغامرة.

تحدثت مع جودي عن أفكاري.. وكانت جودي في بداية متابعتها لمحاضراتها لنيل درجة الماجستير في التمريض، وعندها طفلان صغيران، وتعمل بعض الوقت. كل هذا جعلني واثقة أنها لن ترحب بتحمل مسئوليات أخرى جديدة.. لكن العجيب أنها وافقت.. وعلى أن تدعو إلى منزلها عدداً من النساء الأميركيات بالمولد اللاتي اعتنقن الإسلام للتحدث معاً حول مدى إمكانات مشروع الكتاب. فإذا اتفقت المجموعة على فائدته، فسوف تنطلق فيه جودي.

حضرت امرأتان فقط لمقابلتنا، وكان من خلال دعمهما وتشجيعهما ولأفكارهما عن طريقة تنفيذ مشروع هذا الكتاب الفضل أن استجمعت العزم والتصميم والحماسة للمضي قدماً على مدى سنوات ثلاث في جمع المعلومات عن الأمريكيات المسلمات وفي كتابة قصتي، وفي اكتشاف سبل مشاركتي فيه.

في هذا الاجتماع الأول، ناقشت الأمريكيتان المسلمتان أهمية الموضوع في نظرهن لمساعدة أفراد العائلات على مزيد من فهم مبررات اختيار بناتهن.. كيف؟ وماذا يفعلن؟ وكيف طال انتظار البنات لقبول العائلات لهن؟ وكانت المرأتان تريدان أن تتقاسما مع الناس إدراك معنى أن يكون الإنسان مسلماً.

لقد تعلمت كثيراً من هاتين المسلمتين. وأنا شاكرة لهما أن شاركاني في حياتهما من خلال ردهما على قائمة الأسئلة. ولقد عمل هذا الكتاب على التخفيف من آلام الجروح التي لم أكن أعلم أن كان لها وجود. فضلاً عن أنه هون عني الكثير، مما يدعوني إلى تحية هؤلاء الأمريكيات اللاتي تمتعن بهذه القوة على السير في هذا الطريق الديني. وقليل منا من له هذه القدرة.

* * *

ومن خلال قائمة الأسئلة، روت المشتركات قصص اعتناقهن الإسلام. وأوضحن فرص الابتهاج والنضال في اضطلاعهن بتطبيق الأحكام العملية الإسلامية، وكيف تعاملن مع عائلتهن الأصلية، ومع الأزواج، والأصهار، ومع الأولاد، وفي عالم الأعمال. وكان آخر سؤال في قائمة الأسئلة هو: «ماذا تحبين

أن يعرفه عامة الناس في أمريكا عنكن فيما لم يرد ذكره في البحث؟ ما الذي يمكن قوله لنا»؟ إليكم ما كتبنه. فلنستمع لهن:

من نحن؟

● الذي أحب أن يعلمه عنا عامة الناس في أمريكا هو أننا بشر مثلهم تماماً. نتحمل نفقات معيشتنا (إذ ليس عندنا من ثروة البترول شيء)، ونقلق بشأن الغد. ونريد السلام. لنا إيمان راسخ، ونحاول أن نعيش حياتنا، حتى يتحقق لنا القبول عند الله. لم يطالبني زوجي بارتداء ملابسي الإسلامية. ولست واقعة تحت أي ظلم أو اضطهاد. أستمتع بكامل حريتي، فأنا متحررة من قيود الموضة والملابس، والشعر، والأحذية وما شابه ذلك. حق الإرث مضمون لي ولأولادي بعد سداد الديون. أنا لا أكره أمريكا ولا الأمريكان. وما زلت أحب عيسى (عليه السلام). وأوجه صلاتي إلى ذات الإله الواحد الذي وجه عيسى صلاته إليه. أنا لا أكره اليهود ولا إسرائيل. والواقع أنني أحب أن أعيش في إسرائيل إذا علمت أنني سوف لا أتعرض للاضطهاد. أما الذي أكرهه حقاً فهو الظلم، والكذب وعدم التقوى، والإضرار بالغير، والإجهاض، واستعراض الأجسام العارية.. وكل ما يخالف تعاليم الله. لأني أحب الله.

● لقد اخترت هذا الطريق لأني أحبه. وأنا لا أتخلى عن أي شيء لا أريد أن أتخلى عنه. لم يحدث لي غسيل مخ. أنا إنسانة مثقفة وأتمتع بكافة القرارات للتفكير الرشيد. أنا لست خائنة لوطني، وإنما أنا مدافعة عن العالم. سوف أظل دائماً مسلمة سواء كان زوجي معي أم لا.. لم أتحول إلى الإسلام لأني أحب زوجي.. وأريد أن ينشأ أولادي نشأة مسلمة.. وأتوقع بالفعل أن يكونوا مسلمين، وابنتي ترتدي الحجاب. ويسألني الناس دائماً عن كل هذه الأشياء. سوف أجعل أولادي يعيشون في وسط إسلامي لا في وسط غير إسلامي ثم أطالبهم بأن يكونوا مسلمين.

● عامة المسلمين ينشدون السلام. وما يقال من أنهم متطرفون وثوريون

وسياسيون. لا ينطبق إلا على قلة قليلة. أما غالبية المسلمين (وبالمناسبة، يقدر عدد العرب بخمس العالم الإسلامي) فهم مسالمون يحبون السلام. انظر إلى الأندونيسيين الذين لا نسمع عنهم شيئاً وقد تجاوز عددهم بكثير عدد العرب.

● إنني على استعداد للاتصال بهم. وللإجابة على أسئلتهم، إذا ما كانوا يحترمون آرائي وعقائدي.

● أنا مسلمة بمحض إرادتي الحرة. وإنسانة لي عقلي الخاص. أدرس الحقائق قبل أن أشرع في عمل شيء. الإسلام أعظم اختيار قررته في حياتي. أنا سعيدة أنني امرأة مسلمة. من العسير جداً الاتصال بعائلتي بعد هذا التغيير الضخم والكامل.

أشجع الآباء أن يسألوا بناتهم المسلمات عن سبب هذا التغيير. وأن يحاولوا أن يفهموا أولادهم.. ليس من السهل أن يعيش الإنسان في هذ المجتمع الأمريكي بعد أن يصبح مسلماً لأنه صار يرى الأشياء والناس بنظرة مختلفة، وهم أيضاً ينظرون إليه على أنه مختلف. ومن العوامل المساعدة بشكل كبير، أن ترى أفراد عائلتك على الأقل يتحدثون إليك عن هذا الدين، ويحاولون أن يفهموا ماذا تفعل، وما مدى أهمية هذا التغيير في نظرك.. إننا نتغير إلى الأحسن من أجل مرضاة الله.

● الشيء الوحيد الذي أشعر أن الأمريكان في حاجة إلى معرفته هو أن أي إنسان يعتنق الإسلام، لا يكون بسبب إكراه وقع عليه. فلا أحد يستطيع أن يجبر أحداً على أن يصلي، أو يتعلم اللغة العربية، أو أن تلبس المرأة ملابسها بكم طويل، وتكون محتشمة، وتغطي شعرها.. أو أي عمل ديني يكون واجباً على المسلم. إننا أمريكيات لنا حقوق مماثلة تماماً لأي أمريكي لكي نعمل وندعم ما نؤمن به.

● أود أن أذكر الأمريكان بصفة عامة أنني إنسانة مثلهم تماماً ولا أحب أن يسخر مني أحد. وأشعر بالحزن عندما يسخر أحد من ملابسي.. هل يسخر أحد

من راهبة مسيحية بسبب ملابسها، أو من أي امرأة (Amish) أو (Mennonite)[1] لأنها تلبس قبعة.

لم يحدث غسيل لمخي بمعرفة زوجي. فأنا إنسانة ذكية اختارت أن تكون مسلمة. ويتأسس الإسلام على مفهوم أنه لا إكراه في الدين. فمن حقك أن تؤمن بطريقتك. وأنا أحتاج أن يكون إيماني على طريقتي.

بعض الذين يريدون أن يحطوا من قدر الإسلام، يدعون أن المرأة في الإسلام تعامل معاملة مواطن الدرجة الثانية، أو هي أقل من الرجل. فهم يزعمون أن المرأة المسلمة عليها إطعام الرجل والأولاد أولاً، ولا تأكل إلا ما تبقى منهم. وهذا تشويه جسيم للحقيقة. حقاً تأكل المرأة أحياناً متأخرة عن غيرها، ولكن هذا ليس عقاباً أو حكماً مفروضاً عليها لأنها امرأة. فإذا أطعمت المرأة غيرها أولاً، فهي إنما تفعل ذلك بسبب حبها واهتمامها. وهي تعلم أن الأولاد يحتاجون بشدة إلى الطعام لكي يظلوا بصحة جيدة ويبقى نموهم طبيعياً. وهي مدركة أن الرجال يحتاجون إلى الأكل للمحافظة على قوتهم حتى يمكنهم التوجه إلى عملهم أو إلى المدرسة. إنها تطمئن أن النساء الحوامل يشربن اللبن، ويأكلن الكثير من الفواكه والخضروات. ويتناولن الفيتامينات اللازمة. تشعر المرأة إنها لا تستطيع أن تأكل وتشبع جوعها إذا كان الآخرون في حاجة إلى شيء.

لا يحتفل المسلمون بالكرسمس، وأملنا أن يستمتع أقاربنا وجيراننا والعاملون معنا المسيحيون بعيد سعيد. ونرجو ألا تظنوا أن أطفالنا محرومون لأننا لا نقيم شجرة الكرسمس ولا زينته. فإن لنا أعياداً أخرى لم تعرفوها. ونعتقد أن أولادنا

---

(١) عضو في كنيسة تعارض تعميد الأطفال، وأخذ القسم، وعقد قداس علني يطالب باستخدام القوة أو بالخدمة العسكرية، ويرتدي هؤلاء الأتباع ملابس عادية ويعيشون ببساطة. وينتمون إلى كنيسة Anabaptist التي أنشئت عام ١٥٣٠م بهولندا وبـ Friesland (قاموس المورد ـ المترجم).

سعداء، ويكبرون على أحسن ما يكون حالهم.

● أنا لست مكرهة على شيء، ولا يقلل من قدري أن أرتدي الملابس اللائقة وأحب أن يعلموا أن زوجي يقوم بغسل الملابس بالماكينة، ويساعد في التنظيف (حتى مرحاض الحمام)، ويعاونني في الإشراف على الأولاد لأتمكن من الخروج من البيت. وما بالك بما يزعمون عن المرأة المتحررة؟ فالمرأة المسلمة لا تغير اسمها بعد الزواج، فلا التزام علينا أن نحمل الاسم الأخير لأزواجنا. وعندما تتزوج ابنتي، سوف يبقى اسمها الذي يميزها كشخص، وكإنسانة على قدم المساواة مع غيرها. لسنا في حاجة إلى همزات وصل (hyphens).

● غير صحيح أن جميع المسلمين بأمريكا إما أجانب وإما أفارقة أمريكيين. فهناك الكثير من المسلمين الأمريكان البيض في هذا البلد. ويرى عدد وافر من الناس أن من العسير تصور أن يكون الإنسان أبيضاً وأمريكياً ومسلماً في نفس الوقت. لقد منحنا الإسلام حقوقاً أكثر من النساء المسيحيات وغيرهن من النساء.

● يمكنك القول.. إنني مختلفة قليلاً لأني أشعر بالأهمية الكبرى للمظاهر الروحانية في عقيدتي، لدرجة تتجاوز مشاكل يوم بيوم بشأن الملبس والمأكل إلخ. إيماني عميق ولن يتذبذب. وهناك شيء آخر خاص بصحتي فقد تم تشخيص مرضي منذ ست سنوات على أنه ورم لمفاوي (Lymphoma). ولقد مررت بدورة علاج بالكيماويات ولم أعد في حاجة إلى علاج لمدة خمس سنوات. ولقد رزقت بطفلين (خمس سنوات و١٥ شهراً) بعد إصابتي بالسرطان.. حياتي ممتعة إلا أنها صعبة مع هذه المشكلة الإضافية الملقاة على عاتقي. إيماني بالله ساعدني بشكل هائل في ذلك الوقت العسير. وأيقنت تماماً أن إصابتي بالسرطان كانت بإذن الله. وأنا ممتنة لأن هذا المرض علمني الكثير.. علمني أن أعيش الآن؛ أي وقتي الحاضر، وأن أعتز بنفسي وأحب عائلتي، وأن لا أقلق إلا على الأمور الكبرى «لا تعرق من أجل سقط المتاع». لقد حول المرض حياتي حتى أصبحت أكثر حزماً

وأكثر صراحة مما اعتدت أن أكون. ولكن هذا موضوع مستقل يحتاج إلى كتاب في حد ذاته.

● لا تحكم عليّ من خلال ما يفعله القلة من المسلمين من أعمال غير إسلامية باسم الإسلام. تعال للتعرف عليّ، وتتحدث معي، وتدعوني إلى مدارسك وإلى كنائسك.. ودعنا نتحاور بشأن دين كل منا. لا تخف من الإسلام. ابدأ بالتعرف عليّ. اسألني عن الكتب التي تصف الإسلام بدلاً من الصحف والكتب المعادية للإسلام والتي كتبها «خبراء الشرق الأوسط» (Middle East experts). لا تظن أنني معاقة بسبب ملابسي. وعندما تنظر إليّ، تذكر زوجة إبراهيم (عليه السلام) وأم عيسى. فأي الملابس كانت ملابسهما؟ لا جديد في الموضوع. إنه جزء من تراثك.

● لدى مشاعر مختلطة.. إنني أتحدث إلى عامة الناس عن الإسلام. وأقول لهم إننا مثلهم تماماً. لدينا أحلامنا وأهدافنا.. نحب عائلتنا. غير أن بعض مواقفنا وتناولنا لحل القضايا (problem - solving) جد مختلفة، إننا غير مكرهين ولا مضطهدين بسبب عقيدتنا بل إن عقيدتنا من ذات أنفسنا. إننا مثل كل الناس منهم الطيب ومنهم السيىء، يجب على الأمريكان والأوروبيين أن يكونوا على حذر.. لأن حكوماتهم سجلت في جداول أعمالها العداء السافر ضد الإسلام (أصدر الكونجرس قراراً في منتصف الثمانينات معلناً أن الإسلام هو الخطر الأكبر في نظر الولايات المتحدة) إذ عليهم التمييز فيما يقولون، والبحث عن الحقيقة. نحن المسلمون علينا الامتناع عن التخفي وعن تقديم الأعذار وعن الدفاع عن أنفسنا. إننا نمثل القيم الإيجابية. وأحياناً الخيالية التي تأسست عليها هذه الأمة الأمريكية، وإنما مع بعض الفروق الإيجابية. إننا كمسلمين نشعر أننا في حاجة إلى تنظيف بيوتنا، وأن نراجع أنفسنا، وأن نعيد فحص ما نقدمه على أنه الإسلام، وذلك قبل أن نقرع باب بيت أي إنسان لكي نحدثه عن الإسلام.

● (من مشتركة في سن الأربعين غير متزوجة ولها ابنة في سن المراهقة)

أن أكون مسلمة هو أروع وأصعب شيء في حياتي. ففي الإسلام كل الإجابات وكل الأدوات. لقد فصلت من وظيفتي في ٢٨ فبراير ١٩٩٤. وقدمت شكوى إلى لجنة أوهايو للحقوق المدنية (Ohio Civil Right commission) لأني أشعر أن إنهاء خدمتي راجع إلى ارتدادي (reversion) (تستعمل هذه الكلمة أحياناً بدلاً من كلمة اعتناق Conversion) إلى الإسلام. مع كل معركة يأتي الفرج. والقرآن الكريم مصدر لا ينضب من الإجابات والنصيحة والإنذار. إنني ممتنة إلى الله بسبب هذه المعارك. فبرغم أنني إنسانة ضعيفة فإنني أتأرجح بين السرور بنسبة ٨٠٪ من وقتي، وما هو أقل إيجابية بنسبة ٢٠٪ ومن أكبر نعم الله عليّ توكلي على الله (my reliance on Allah)، وإصلاح مزاجي الحاد (ذهب الآن). وتعلمي الصبر والسلام والطمأنينة التي يعكسها اسمى المسلم على نفسيتي، والذي يعني لنا جميعاً أن الله موجود. . الله موجود. وأكبر الصعوبات أجدها في التخلي عن عاداتي القديمة، ومحاولة السيطرة على حياتي، وحاجتي إلى أن أفهم، وأن أتقبل حقيقة أنه برغم أن الإسلام متصف بالكمال إلا أن المسلمين ليسوا كذلك.

● أنا لست أجنبية. . ولست غريبة. وأتوقع أن أعامل وأن تعامل عائلتي بالاحترام الذي نستحقه، وآمل أن يكون لثقافة ولحكومة هذه البلاد نظاماً لمستوى معيشة يتيح لأسرة مسلمة أن تعيش دون الحاجة إلى الاستدانة أو الاعتماد على إعانه اجتماعية (welfare).

● أريد من الناس أن يفهموا أنني لا أعبد البقر، ولا يقع عليّ أي اضطهاد بسبب الإسلام، وأن الإسلام يحرر المرأة، وإنني أعبد الله كما يفعل المسيحيون واليهود. وأن المسلمين ليسوا كلهم إرهابيين. وأملي في الناس أن يفتحوا عقولهم، وأن يتوقفوا عن هذا الجهل. امتنعوا عن التحديق والضحك من النساء المحجبات. إنه حقهن. ولم يحدث أن أزواجهن أو آبائهن قد أجبروهن على ذلك. اقبلونا كأمريكيات وعيشوا واتركوا غيركم يعيش.

● لسنا غبيات. . ونحن هنا لعبادة الله أولاً وأخيراً لا عبادة رجالنا. واجبنا

هو هذه الحياة. ونحن سعيدات بهذا الاختيار.

● مجرد أنني أغطي رأسي لا يجعل مني إلهة، أو متزمتة، أو امرأة مضطهدة، أو امرأة ضعيفة. إنني أكره ذلك.. فحيثما أذهب يحدق فيّ الناس (وأحياناً بنظرات لها مدلول خاص). كل ما أريده هو أن يتركوني وشأني أعيش حياتي كما أريد.

● من أكبر الاعتقادات الخاطئة أن كل المسلمين الذين تعلموا الإسلام على يد أمريكان آخرين. وأنا وزوجي خير مثال على ذلك.

● أفضل الأحداث التي مرت في حياتي كلها هو أنني أصبحت مسلمة. وبرغم إمكان اختلاف النظرة الدينية والسياسية بين كثير من الأمريكان، فإن أملي أن يكونوا متفتحي الذهن بالقدر الذي يكفي لكي يفهموا أن ما يوصف بأنه «مختلف» ليس معناه أنه «سيىء». فإن المسلمات اللاتي يتمتعن بحقوقهن في ظل الإسلام، غير مقيدات بالسلاسل في بيوتهن، ولا يضربن ولا يعذبن بطريقة منتظمة. إننا جزء من المجتمع، وعلينا واجب في غاية الأهمية. ولقد قال الإمام علي بن أبي طالب: إن الأمم تربى في كنف الأمهات.. أمامنا مهمة كبرى يجب إنجازها.. وآمل من عامة الأمريكان ألا يهونوا من شأن هذا العمل العظيم.

ماذا يعني الإسلام؟

● يحتاج الأمريكان أن يفهموا أن المسلمين يعيشون حياتهم على النحو الذي يشعرون أن الله يريده منهم. إننا أتباع دين يساء فهمه بدرجة خطيرة. وهو أسرع الأديان انتشاراً في العالم. وفي خلال العشر سنوات القادمة إن شاء الله سيكون الإسلام ثاني أكبر ديانة في الولايات المتحدة. لماذا يتحول الأمريكان من المسيحية إلى الإسلام؟ مطلوب من الأمريكان ألا ينظروا إلى الصور التقليدية القديمة. وأن ينظروا إلى الإسلام الواقعي. إسلام السلام، الإسلام الذي يكتسب

أكثر فأكثر أتباعاً كل يوم. وتحقيق المجتمع الإسلامي في نظري ليس معناه أن يصبح المجتمع متعصباً أو مقاتلاً. بل معناه أن يتحقق مجتمع يتبع أفراده النظام الأخلاقي الذي منحنا الله إياه، فضلاً عن الالتزامات الدينية والشرائع الاجتماعية. الإسلام ينظم كل جوانب حياتنا. وهو لكل زمان ولكل الشعوب. إذا نظر الأمريكان إلى الإسلام نظرة دقيقة فاحصة، وتحققوا مما نقول. عندئذ وأخيراً يصبح الإسلام مفهوماً.

● الإسلام ليس سجناً للنساء كما هو معتقد في أمريكا لسنين طويلة. والإسلام له خطوط عريضة وقوانين حساسة كما هو شأن كل مجتمع فاضل، إلا أن الإسلام يتميز بالمرونة بينما غيره قوانينه «مكتوبة بالحجر». لا يمكن تعديلها.

● أود أن يعرف عامة الأمريكان أن النساء المسلمات لسن مواطنات من الدرجة الثانية. إننا لا نسير خلف أزواجنا، ولنا حقوق ثابتة. والإسلام ليس ديناً متطرفاً، ولا يؤمن بالتطرف. وإنما يدعو دائماً إلى الطريق الوسط. الإسلام ليس عربياً، ولا أفريقياً ـ أمريكياً. إنه دين لكل الناس من كل الجنسيات. الإسلام دين لا يتقيد بزمن أي أنه يصلح لكل زمان ومكان. إن جمال الإسلام وقدمه ليس لهما حدود. وخلاصة القول أن الإسلام دين السلام والسعادة.

● لو أنك رأيت ما هو الإسلام في حقيقته. فسوف تعجب به بشدة وعلى الفور. ما يزال الإسلام مثلاً أعلى في أذهاننا.

العلاقة الزوجية في حماية كاملة، والجنس يزدهر خلف الستار. وتكون الشوارع آمنة. ولا يتعرض أولادك إلى الجنس والمخدرات. ويتعلمون القيم والمهارات العملية.

وسوف يكفي دخل زوجك لدعم الأسرة، تاركاً لك حرية العمل أو إنجاب الأطفال بالعدد الذي ترغبين وتعليمهم وتربيتهم.

وسوف يعيش الناس بلا خوف من البطالة أو حبس الرهن (mortage foreclosure). وسوف يعتمد الاقتصاد على وحدات عمل صغيرة محلية.. وعلى نظام مصرفي خالٍ من الربا. وسوف تعود الحياة إلى ما كانت عليه من سهولة ويسر.

كل هذا مجرد بداية.. إذا كنت تستطيع أن لا تدخل مسجداً جميلاً وواسعاً وتشارك في الصلاة الحقة إلى الله سبحانه وتعالى. فسوف ترضى رضاً حقيقياً، وتزداد شرفاً وكرامة. وسوف يتحقق كل هذا في يوم من الأيام برحمة من الله.

● الإسلام طريقة للحياة.. يلبي كل جوانب الحياة. لقد اخترت الإسلام كطريق للحياة عن اقتناع.. لا بالقوة أو إرضاء لزوجي. إنني أحب إسلامي (my Islam) وأشعر أنني ولدت مسلمة، ولكن تربيتي كانت مسيحية. والآن ها قد عدت وليس ارتددت ـ إلى طريق الدين الصحيح المستقيم. لقد نجحت ورجعت إلى الإسلام. وأدعو الله أن يحفظ قلبي دائماً نقياً وعلى الصراط المستقيم.

● كمسلمة أود أن أقول إن الإسلام حررني بطرق متعددة. أما معظم الأمريكان فيرون أن النساء المسلمات وكأنهن قطاع من المضطهدين، ولكني أريد منهم أن يعلموا أنه إذا كانت النساء المسلمات مضطهدات، فإن ذلك يرجع إلى أنهن هجرن الإسلام الحقيقي، واتبعن ممارسات بلدهن الثقافية. أما الإسلام فإنه يطرح جانباً كل هذه النفايات التي تجعل النساء في أدنى منزلة، ويرفعهن إلى أعلى.. إلى منزلة احترام الذات والثقة بالنفس.

وتشعر غالبية النساء الأمريكيات أنهن أكثر نساء الأرض تمتعاً بالحرية. والحق أنهن لم يتخلصن بعد من قيود الاضطهاد. فأي امرأة ترغب في أن يكون لها جسم بالغ الكمال خشية الرفض، وأي امرأة تريد أن تكشف جسمها لتجذب ما يسمى بالانتباه. وأي امرأة تقبل أن تتقاضى أجراً أقل من أجر الرجل في عمل مماثل. وأي امرأة من هذه الفئة هي امرأة ما زالت تعاني من

الاضطهاد. وأن الحل الوحيد هو أن تطرح سلاسل العبودية هذه جانباً، وتقبل الله والإسلام لحياتها.

● المسلمات الأمريكيات لسن مضطهدات، والحجاب حق من حقوقهن وليس عقاباً لهن. إننا نعتبر أسلوب الغرب في الحياة خطوة إلى الخلف وليست إلى الأمام. قد ترى نساء الشرق الأوسط ما يسمى بفتنة وسحر أسلوب الحياة الأمريكية الغربية، وذلك بسبب أن ممارسات بلادهن الثقافية ليست الإسلام. ولو أن الإسلام كان قد تحقق في واقع بلاد أخواتنا الشرقيات، لناضلت نساء الغرب من أجل الحصول على حقوقهن الإسلامية.

● أحد أهم الحلول التي أريد أن أوضحها ليس لعامة الأمريكان وحدهم، وإنما أيضاً لكثيرين من المسلمين أنفسهم هو ألا يحكم على الإسلام إلا بحسب مزاياه وجدارته وفضيلته. ليس بحسب سلوك المسلمين. الإسلام أكمل نظام لأن الله هو الذي خلقه، كما خلقنا نحن، برغم أننا لم نخلق متصفين بالكمال. لنا إرادة حرة. ونختار طرق حياتنا. ونتخذ قراراتنا الخاصة، وأحياناً تكون قراراتنا صحيحة، وأحياناً لا تكون. وآمل يوماً أن يفهم غير المسلمين أن المسلم ـ المسلم الحقيقي ـ الذي يعيش بحسب شريعة الله ليس إنساناً متعصباً (fundamentalist). وأن يفهم المدلول الحقيقي لهذه الكلمة. وبغض النظر عن ١٤٠٠ سنة مرت منذ نزول الوحي من الله إلى النبي محمد (ﷺ)، فإن الإسلام لم يطرأ عليه أي تغير. والواقع أن قوانين الله[١] لم يحدث لها أي تغيير منذ أن خلق الله آدم. والله لم

(١) الشرائع السماوية تحتوي على نوعين من التشريعات: «تشريعات خالدة» لا تتبدل بتبدل البلاد والأزمنة. و«تشريعات موقوتة» بآجال زمنية طويلة أو قصيرة، لذلك فهي تنتهي بانتهاء وقتها، وتجيء الشريعة التالية بما هو أوفق وأنسب بالأوضاع التي استجدت. ولولا اشتمال الشرائع السماوية على هذين النوعين من التشريعات ما وجدنا فيها العنصرين الضروريين لسعادة المجتمع البشري: عنصر الاستمرار الذي يربط حاضر البشرية بماضيها، =

يخلق أناساً يختلفون عن الذين خلقهم من قبل. فكلنا بشر من خلق الله. ولنا عند ميلادنا نفس الشوق إلى الحب والعطف والغذاء والحماية فضلاً عن نفس الحاجة إلى عبادة الكائن الأعظم. وتتغير هذه الحاجات مع نضج الإنسان، وتتشكل حسب البيئة، وإنما تظل كحاجات إنسانية جوهرية. ومع ذلك فإن التغيير لا يبدأ من البلاد أو من الزعماء. وإنما يبدأ من البيت مع الأطفال حيث تحكم الأم. وعندما تفهم النساء المسلمات في العالم هذه الحقيقة، عندئذ سوف يبدأ التغيير إلى الأحسن.

كيف نحن كمسلمين نختبر أمريكا؟

● يبدو الأمريكان بصفة عامة أن لهم ميل إلى النظم المقولبة (Steriotype). فما أن يروننا بالوشاح حتى يتصوروا تلقائياً أن أزواجنا يسيطرون علينا، وأننا مستمسكات بالقديم البالي.

● ستكون هذه الإجابة أصعب الإجابات بسبب المرارة التي أشعر بها تجاه هذا الوطن. فالقول: «أرض الحرية، ودار الشجعان» غير صحيح، وإنما نفاق الحكومة يجعلني أتميز غيظاً. إن غطرسة هذا المجتمع تثير سخطي بادعائه أنه أحسن المجتمعات على الكرة الأرضية وأغزرها ثقافة. وذلك فيما يتعلق بحقوق المرأة. وحقوق الإنسان، وحقوق الأطفال. وحقوق الأقليات. والرد الذي أنطق به عندما أشعر بالضيق إزاء هذا التعالى هو «هذه هي أمريكا التي يتمتع كل فرد فيها بحق اختيار العقيدة التي يؤمن بها؟!». أنا شخصياً لا أصدق أن التجربة الأمريكية ناجحة. فقد تجرد المجتمع من كل القيم. وحرفت الكنيسة المسيحية الكتاب المقدس بأن منحت الشعب فلسفة تقرر غفران جميع الذنوب، مهما

= وعنصر الإنشاء والتجديد الذي يعد الحاضر للتطور والرقي نحو مستقبل أفضل وأكمل («الدين» د. محمد عبد الله دراز) (المترجم).

كانت. وأنا أعلم أنه لا وجود لمجتمع كامل. ولكني أريد أن أزيد الأفضلية لأولادي في النجاح بوضعهم في محيط ذي ثقافة واحدة. . الثقافة والمجتمع المبنية على القيم العليا، المجتمع الذي أمامه عدد محدود من الاختيارات في مجال السلوك المقبول. زوجي وأنا نستطيع أن نحقق فرصاً عالية الكفاءة الفنية (High tech) التي تنتمي إلى الغرب دون أن نسمم أفكار أولادنا بالثقافة المجردة من القيم (value- deficient)، ثقافة الولايات المتحدة.

● النساء الأمريكيات اخترن أو قبلن الإسلام بعد بحث وفهم، ليس تحت ضغط القوة أو بتأثير الأزواج. هل مجرد أن سمعنا عن قصة رجل إيراني مجنون كان يسيء معاملة عائلته وبفرض أن القصة حقيقية هل معنى هذا أن البلد كله بهذا الشكل؟ . . إنني استحث الشعب الأمريكي أن يتفكر في هذه النوعيات من إساءة المعاملة، والمضايقات التي تقع هنا كل ثانية. إنني استحث الشعب الأمريكي أن يتفكر في هذه النوعيات من إساءة المعاملة، والمضايقات التي تقع هنا كل ثانية. إنني أطالب الشعب الأمريكي بأن يستخدموا عقولهم التي وهبهم الله إياها، وألا يقضوا حياتهم نائمين.

● أشد ما آلمني أن أعلم أن المسلمين والإسلام أسيء فهمهم بشكل مزعج من معظم الأمريكان. ونتيجة لذلك تظهر الحزازات. والنظرات القذرة، والتعليقات البذيئة، مما يعوق حقوقنا كأمريكيات في ممارسة ديننا بحرية. هذا الوطن مؤسس على يد أناس متدينين كانوا يبحثون عن وطن لا يتعرضون فيه للاضطهاد بسبب عقائدهم. لقد صرنا البلد البوتقة أكثر من أي وقت مضى، وإذ كنا نريد النجاح كأمة، وأن نحافظ على مثالياتنا الدستورية نابضة بالحياة. . فعلينا أن نفهم وأن نتقبل وأن يحترم بعضنا بعضاً، بغض النظر عن الدين، والعادات وطريقة الملبس. . إنني أشجع بقوة جميع الأمريكان كلما رأوا امرأة ترتدي ملابس طويلة ومتواضعة تغطي جسمها ما عدا الوجه والكفين بدلاً من التحديق فيها وإبداء مشاعر الحزن من أجلها أن نبتسم لها ونحييها بسلام. وأن نعلم أنها إنسانة قوية،

وواثقة من نفسها تحاول أن تعبد ربها وربكم بأحسن ما تستطيع. كلنا مواطنون في هذا الوطن، ومفروض أننا أحرار في أداء العبادة بالطريقة التي ترضينا. فلنعمل معاً من أجل المحافظة على هذه الطريقة.

* * *

الخاتمة

لما أتت جودي لزيارتنا في عيد الشكر هذا، وأخبرتنا باعتناقها الإسلام، كانت كأنها طعنتنا بسكين، كيف يمكن لابنتنا الحبيبة أن تفعل شيئاً بهذا القدر من الغرابة؟ لقد أصبنا أنا وزوجي جو بجرح عميق. والمؤكد أن جودي لم تقصد جرحنا ولكنها فعلت ـ وكنا غير قادرين على أن نستوعب ما فعلت. كنا كالمخدرين، لكننا أيضاً كنا غاضبين لأننا نريد ابنتنا جزءاً من عائلتنا. وكان لا بد من قرار. هل نعتبرها غير مرغوب فيها بمنزلنا، ونتعامل على أنها ماتت؟

لم تكن جودي أول ابنة تخيب أمل أهلها باتخاذها قراراً يتعارض مع تقاليدهم. والواقع، أن النجلات والأبناء نادراً ما يتخذون القرارات التي تنسجم تماماً مع آمال الأبوين. وكنا قد توصلنا إلى رد أبوي: «اخرجي ولا تعودي أبداً، إنك ميتة في نظر عائلتك» ومن حسن الحظ أننا استطعنا مقاومة هذا الاندفاع. فقد كان الإصلاح ممكناً. . وكعائلة سوف نحاول أن نفهم. وفي محاولتنا للفهم، نكون قد عبرنا إلى طريق ديني آخر، واكتشفنا طريقة للحياة وإن كانت غريبة على الأمريكان إلا أنها مفيدة، وموافقة لمتطلبات حياة كثير من الناس الذين اختاروا التجربة الإسلامية.

وجزء من هذا الاكتشاف أن وسائل الإعلام الأمريكية تصور الإسلام على أنه سلبي بصفة عامة، ولم تكن تعرض الجوانب الإيجابية على اختلافها. . كان الترويج للسلبيات. . وبالتالي كانت وجهة النظر المعروضة لا تأخذ في الاعتبار النساء المتصفات بالروعة والقوة اللاتي قابلتهن خلال هذه الدراسة. واللاتي اخترن الثبات على الطريق الديني المفعم بالرضا الذاتي والسرور الفوري.

اختيار الإسلام ديناً في أمريكا ليس خطوة سهلة. فالمسلمون في نظر غالبية الأمريكان يعتبرون غرباء. وارتداء الوشاح، والإعراض عن المشروبات

الاجتماعية، والبعد عن المضاربات، وعدم الاتصاف بالوطنية للولايات المتحدة أو كندا كل هذا لا يؤدي إلى كسب الأصدقاء. وبعض الأمريكان ينبذون هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام باعتبارهم «ليسوا أذكياء بالقدر الكافي» (not very smart). وتكشف دراسة المسلمين في أمريكا عن عدد هائل من المهنيين: أطباء، مهندسون، ممرضات، أساتذة بالجامعة، رجال ونساء أعمال، مدرسون فضلاً عن عمال ذوي الياقة الزرقاء، وطلبة، وربات بيوت.

والنظرة السائدة عند كثير من الأمريكان هي تصوير المسلمين بأنهم إرهابيون وعلى الفور يوجه إليهم اللوم عند وقوع أي عمل إرهابي. ويتحول هذا الرأي المسبق إلى هجوم على المسلمين. ففي أعقاب تفجير أكلاهوما سيتي (Oklahoma City) في أبريل ١٩٩٥، عانى المسلمون على طول البلاد وعرضها من الإهانات الشخصية، لأن الإعلام الأمريكي أسرع بإلقاء اللوم على إرهابيين مسلمين. فتعرض كثير من المسلمين للبصق عليهم وخوطبوا بقسوة، وتعرضوا للتهديد.. أو بطرق أخرى.. واعتبروا كما لو كانوا مسئولين عن التفجير لمجرد أنهم مسلمون. هذا السلوك وإن كان لا يمثل معظم الشعب الأمريكي يعكس نوعاً من التحامل ضد أقلية دينية في هذا البلد.

تأسست الولايات المتحدة الأمريكية على أكتاف الذين كانوا يبحثون عن مجال لأداء العبادة بحرية وطبقاً لرغبتهم الشخصية. ونحن المواطنون بالولايات المتحدة كان لنا الفخر بتاريخنا عن الحرية الدينية. سواء أردنا أم لم نرد أن نتقاسم هذه الحرية بالتساوي، فإن ذلك سوف يوضع تحت الاختبار، لأن الإسلام والديانات الشرقية الأخرى بدأت تنتشر وتحتل مكانها في الثقافة الأمريكية. والإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً بقارة أمريكا الشمالية. ومن الجدير بالاهتمام أن نتعرف، وأن نفهم هؤلاء المسلمين الذين يبحثون عن العيش، وعن تحقيق السعادة بيننا.

وبعض أولادنا الأعزاء علينا يختارون أحياناً اختيارات تسبب لنا ردود أفعال

تتراوح من عذاب القلب إلى راحة القلب. وقد تأخذنا بعض هذه الاختيارات إلى بعيد جداً. وبالعكس. . قد تؤدي إلى تفتح عيوننا على العالم الذي حولنا، إذا أتحنا لأنفسنا فرصة الدخول في هذا الطريق الديني الجديد بروح المغامرة والاكتشاف. ولقد كان قرار جودي باعتناق الإسلام هو بداية هذه المسيرة بالنسبة لي ولزوجي.

وفي مسيرتنا تعرفنا على أناس على درجة عالية من الروعة يحرصون على أن يعيشوا حياتهم بأكملها وبغزارتها، ويحاولون استبعاد ضحالة الثقافة السائدة، وتنشئة أولادهم على تقديس الله، واحترام حقوق الآخرين. كان الاختيار ماثلاً أمامنا. وكان علينا القبول أو الرفض. ونشكر الله أن اتخذنا طريق القبول. لقد كانت الرحلة مثيرة وواعدة، تقاسمنا خلالها الكثير، وتعلمنا من نجلاتنا، طريقاً دينياً جديداً.

* * *

ملحق ـ أ ـ قائمة أسئلة

إعداد

كارول أندرسون أنوى وجودي طاهر محمد زادة

(تم جمعها ابتداء من سبتمبر ١٩٩٣ إلى يوليو ١٩٩٤)

توجيه: نشكرك على رغبتك في الرد على قائمة الأسئلة هذه، وبها جزءان. الصفحة الأولى والأخيرة سهلتان ،مجرد جمع معلومات. وباقي الصفحات تشتمل على أسئلة للرد عليها تحريرياً من واقع تجاربك الشخصية.

وبعد استيفاء الصفحة الأولى، أجيبي من واقع تجاربك الشخصية مستخدمة الأسئلة المكتوبة ببنط صغير لإرشادك في الإجابة حيث ينبغي. ويمكنك الكتابة في المساحات بقائمة الأسئلة أو الكتابة على ورق منفصل.

ولك كامل الحرية في أن تصوري قائمة الأسئلة والخطاب التمهيدي، وتعطيهما لغيرك من النساء الأمريكيات بالمولد المسلمات. وشجعيهن على استيفاء البيان وأعيديها خلال ٦ أسابيع بعد استلام الأسئلة.

أولاً: بيانات إحصائية

العمر: المهنة: المركز في العمل:

التعليم (أعلى دورة تمت) المدرسة الابتدائية المدرسة الثانوية دراسات أعلى التعليم وقت التحول إلى الإسلام.

الحالة الاجتماعية: لم يسبق الزواج متزوجة مطلقة أرملة

لو متزوجة: جنسية الزوج عدد سنوات الزواج

عدد الأولاد: منهم:

إن كانوا في سن الدراسة   في مدرسة إسلامياً.

مدرسة التعليم العام   التعليم المنزلي.

كم سنة أنت مسلمة؟

راجعي المجالات الإسلامية التي تمارسين:

- تلبسين الحجاب   - الصلوات اليومية.

- صيام رمضان   - أكل اللحوم الحلال فقط.

- مواصلة دراسة القرآن والتعاليم الإسلامية.

الاسم: التليفون: العنوان:

ثانياً: تحولك إلى الإسلام

- صفي مسيرة تحولك إلى الإسلام.

- ما هو التزامك الديني قبل إسلامك، وما مدى هذا الالتزام؟

- صفي التغييرات التي كان مطلوباً إدخالها في حياتك كنتيجة لتحولك ولممارستك الإسلام.

- هل كانت هناك مجالات تركت خلفك وسببت لك الحزن والخسارة؟ كيف ساعدك هذا التغيير على أن تكوني ما كنت تريدين؟ ما هو الجانب الذي كان (أو الذي ما زال) أكثر دلالة في معناه في الإسلام بالنسبة لك؟

ثالثاً: تعلم العيش والممارسة كمسلمة

- كيف تعلمت أن تعيشي مسلمة؟

- من هو الذي (أو التي) كان له الحظ الأوفى في مساعدتك؟

- ما هو الشيء الذي كان له الحظ الأوفى في مساعدتك؟

- إلى أي مدى كانت السهولة أو الصعوبة بالنسبة لك في التطبيق العملي للمارسات الدينية؟

رابعاً: عائلتك الأصلية

- ما هو الأثر الذي وقع على علاقتك بأبويك أو بغيرهما من أفراد العائلة باختيارك الإسلام؟

- ما هو أملك إزاء علاقتك بأبويك أو بالعائلة؟

- ما هي النقاط أو الوقائع الرئيسية (إن وجدت) التي كان لها أو التي لها أثر التوتر على عائلتك الأصلية؟

- كيف تحتفلين بأوقات الأعياد التقليدية؟

- كيف تشركين عائلتك الأصلية في احتفالاتك الإسلامية؟

- ما هي المصاعب أو السعادة بالنسبة لك عندما تزورين عائلتك أو تتركين أولادك معهم؟

خامساً: زوجك

- كيف تقابلت معه؟

- ما هي الخصائص التي جذبتك إليه؟

- ما هي الحاجات عندك في حياتك التي بدا هذا الرجل قادراً على إشباعها؟

- ما هو نصيبه في تحولك إلى الإسلام؟

- كيف كان تقبل عائلتك لزوجك؟

١ـ قبل الزواج كصديق ٢ـ كخطيب ٣ـ كزوج.

- تحدثي عن حفل زواجك.

ـ ما هي العناصر الإسلامية التي كانت في الحفل.

سادساً: الوطن الأصلي لزوجك

ـ إلى أي مدى اشتملت حياتك اليومية على تقاليد وثقافة وطن زوجك؟

ـ ما هي أهدافك إزاء حياتك بوطن زوجك أو أمريكا أو كندا؟

ـ ما هي الجنسية الحاصل عليها زوجك الآن؟

سابعاً: عائلة زوجك

ـ هل قابلت عائلة زوجك المباشرة؟ وإذا كانت المقابلة قد تمت فكيف كانت التجربة؟

ـ كيف كان قبول عائلته لك؟

ـ إذا انتقلت إلى المنطقة التي تعيش فيها عائلته، كيف تتوقعين مدى التوفيق؟

ـ ما هي الفوائد أو الصعوبات التي تتوقعينها مقدماً إزاء عائلة زوجك؟

ثامناً: مركزك كامرأة

ـ ما هي الحقوق التي تمارسينها عملياً كامرأة مسلمة؟

ـ ما هي المجالات التي تكونين ممتنة عنها أو متخوفة منها فيما يتعلق بمركزك كامرأة متزوجة؟

ـ ما هي المجالات التي تشعرين أنها غير مفتوحة أمامك فيما يتعلق بمركزك كامرأة مسلمة متزوجة؟

تاسعاً: تربية الأولاد (إذا كان لديك أولاد)

ـ ما مدى تأثر قواعد تربية أولادك بكونك مسلمة؟

- إلى أي مدى يشاركك زوجك في العناية بالأولاد؟

- ما هي حقوقك والتزاماتك تجاه الأولاد؟

- ما هي حقوقهم والتزاماتهم تجاهك؟

عاشراً: فرصة تعبيرك عن أفكار ورؤى أخرى

ماذا تودين أن يعرف عامة الأمريكيين عنك، ولم يرد هنا سؤال عنه.

* * *

ملحق ـ ب ـ

قائمة أسئلة: عائلات النساء الأمريكيات بالمولد اللاتي تحولن إلى الإسلام

أولاً: بيانات إحصائية

الاسم: الهاتف: العنوان عنوان الابنة

مدة اعتناق الإسلام: مستوى التعليم: مستوى تعليم الزوج

المهنة: مهنة الزوج: عدد الأولاد:

على سلم معدله من ١ إلى ١٠ كيف كان شعورك بشأن إسلام ابنتك في الأيام القليلة الأولى من إبلاغك بالخبر، يمكن توضيح ما يتعلق بالأب وبالأم.

وعلى نفس المعدل ما هو شعورك الحالي بشأن إسلام ابنتك.

١ـ تحدث عن إسلام ابنتك.

٢ـ تحدث عن أثر إسلام ابنتك والتزامها الذي حدث على العائلة.

٣ـ ماذا تأمل بشأن علاقتك بابنتك في المستقبل؟

٤ـ ما هي نقاط أو أحداث التوتر مع ابنتك (ومع الزوج والأحفاد إن وجد). في الماضي والحاضر.

٥ـ كيف تتصرف في الاحتفال بأيام الأعياد التقليدية؟

٦ـ كيف تكون مشاركتك في الأعياد الإسلامية أو كيف تتمنى أن تكون؟

٧ـ ما هي الصعوبات أو السعادة لك عندما تقوم ابنتك (وعائلتها إن وجدت) بزيارتك في منزلك أو تقوم أنت بزيارتها؟

٨ـ إذا كانت ابنتك متزوجة من مسلم. تحدث عن تجربتك.

٩ـ ما هي أكبر همومك في الوقت الحاضر بشأن ابنتك واعتناقها للإسلام؟

١٠ـ ما هو الأثر ـ إن وجد ـ الذي نتج عن هذه التجربة على عقيدتك وعلى التزامك الديني.

* * *

محتويات الكتاب

* * *

هذا الكتاب

هو ترجمة كتاب DAUGHTERS OF ANOTHER PATH
النمو السريع للإسلام بأمريكا ظاهرة معاصرة .. لماذا تترك البنات الأمريكيات جذورهن المسيحية و يخترن الإسلام ؟.. وهو الدين الذى يطالب بالانضباط و الطاعة ويجعل الإنسان شيئا "مختلفا" فى المجتمع الأمريكى .

يكشف لنا هذا الكتاب عن بعض الأسباب و عن العملية الفكرية التى ترشد تلك الأمريكيات إلى رحلة جديدة فى حياتهن الروحية .

و سوف يمر القارى الكريم - أثناء قراءته - ببعض تجارب تعرضت فيها الأسر والأقارب للأسى و الإحباط من خلال تعاملهم مع بناتهم اللاتى اخترن طريقا دينيا مختلفا عن الآباء .

إلا أن الكتاب مفعم بالمودة والحنان عندما تروى لنا فيه المؤلفة - كأم غير مسلمة قصة توافقها مع تحول ابنتها إلى الإسلام بالإضافة إلى قصص أخرى عن ٥٣ امرأة أمريكية اخترن أيضا الإسلام دينا .

المؤلفة هى : Carol L. Anway (كارول ل.أنوى) :

حاصلة على درجة الماجستير فى التربية و الإرشاد والاستشارة . قضت سنوات عدة كمستشارة مدرسية . و ظلت إحدى عشر سنة تكتب وتكتب عن أسس التربية المسيحية بشأن الأولاد و العائلات والمرأة . وكثُرَ ترحالها داخل الولايات المتحدة وكندا لت[illegible] الدراسية عن التواصل الكهنوتى عبر الأجيال ، والتربي[illegible] ، وتدريب المدرسين فضلاً عن التدريب على القيادة الك[illegible] المعسكرات . و لقد كان لتربيتها ولكتاباتها ولتمسك[illegible] الروحية الفضل فى دعم نضالها من أجل المصالحة و [illegible] اختيار ابنتها للتحول الى الإسلام . و تشارك هنا الس[illegible] بتجربتها وبتجربة ابنتها فضلا عن تجارب النسوة اللاتى اخترن أن يكنّ مسلمات .

